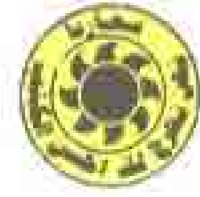
روايات
مصرية للجيب

ملف المستقبل

سري جدا!!

٥٤



عبر العصور

ملف المستقبل ● عبر العصور ● ٥٤ ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ●

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

المؤلف



د. نبيل فاروق

عبر العصور

- ما الزمن ؟.. وهل يمكن أن يسافر الإنسان إلى الماضى والمستقبل ؟
- مَنْ ذلك العدوّ ، الذى يطارده (نور) وفريقه فى مجرى الزمن ؟
- لمن يكون النصر فى هذه المغامرة المذهلة ؟.. ألـ (نور) وفريقه؟ أم لعدوّ يجوب (عَبْرَ العصور) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، واشترك مع (نور) فى حلّ اللُّغز .

٥٤



الثمن فى مصر
٧٥ ص
وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربيـة والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : أسرى الزمن



نور الدين



سلوى



رمزى



محمود

١ ــ زُوَّار فوْقَ العادة ..

توقَّفت سيَّارة (رمزى) الصاروخية ، أمام منزل (نور) ، فى الحادية عشرة من مساء تلك الليلة ، التى غاب فيها القمر ، وساد الظلام والهدوء ، وهبط (رمزى) من سيَّارته ، وهو يغمغم فى قلق :

ــ لماذا يدعونا (نور) إلى مقابلته فى تلك الساعة المتأخرة يا تُرَى ؟

هَبَطَ خلفه (محمود) ، وهو يغمغم :

ــ ربَّما كانت قضية جديدة .

هزَّ (رمزى) كتفيه ، وهو يقول :

ــ بالتأكيد .

عبر الاثنان حديقة منزل (نور) فى خطوات سريعة ، حتى وصلا إلى الباب فضغط (رمزى) زِرَّ الجرس ، وهو يغمغم :

ــ لولا موعدنا معه ما جرؤت على قرع جرس منزله فى ذلك الوقت المتأخر .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن تفتح (سلوى) الباب ، وهى تهتف فى دهشة :

— (رمـــزى) ؟!.. مرحبًـــا بك .. مرحبًـــا بك يا (محمود) .. ما الذى ....؟

بترت عبارتها قبل أن تكمل سؤالها ، الذى بدا لها منافيًا لقواعد اللياقة والذوق ، وأسرعت تفسح لهما الطريق ، وهى تهتف فى حرارة :

— تفضّلا .. سيسعد (نور) برؤيتكما .

دَلَفا إلى الداخل فى هدوء ، وسألها (محمود) :

— أين (نور) ؟

قبل أن تجيبهما جاء صوت (نور) ، وهو يقول فى ترحاب :

— هُنا يا (محمود) .. مَرْحبًا بكُما .

صافحاه فى حرارة ، وغمغم (رمزى) مجاملًا :

— كيف حال (نشْوَى) ؟.. ابنتكما الصغيرة .

ابتسم (نور) وهو يجيبه فى هدوء :

— فى خير حال .. لقد أوت إلى فراشها منذ التاسعة .

جلس الجميع فى حجرة المعيشة الأنيقة ، وران عليهم الصمت لحظات ، وكأنما يعجز كل منهم عن إيجاد عبارة مناسبة لمواصلة الحديث ، ثم مال (رمزى) نحو (نور) ، يسأله فى اهتمام :

— حسنًا .. لِمَ دعوتنا لمقابلتك الآن يا (نور) ؟

اتسعت عينا (نور) ، وهو يهتف فى دهشة :

— أنا ؟!.. أنا دعوتكما لمقابلتى ؟!

تبادل (رمزى) و (محمود) نظرات دهشة وحَيْرة ، قبل أن يهتف الأخير :

— بالطبع يا (نور) .. لقد تلقَّى كلَّ منا إشارة الاستدعاء السِّرِّيَّة ، عبْرَ ساعته الخاصة ، و ....

ومنعته نظرة الارتياع ، التى تجلَّت فى عينى (نور) من الاسترسال ، فبتر عبارته بغتة ، فى حين غمغم (رمزى) فى ذعر :

— من فعل إذن ؟!.. إن إشارة الاستدعاء بالغة السِّرِّيَّة .

هبَّ (نور) من مقعده ، وهو يقول فى توتُّر وجزع :

— أظن أنها لم تعد كذلك يا (رمزى) .

وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يستطرد فى انفعال :

— من الواضح أنَّ شخصًا ما ، أو مجموعة ما قد توصَّلت إلى شفرتنا السِّرِّيَّة ، وتعمل على استغلالها لجمع الفريق كله فى مكان واحد ، لغرض ما ..

شحُبَ وجه (سلوى) ، وهى تغمغم :

— هل تظن أنهم يهدفون إلى قتلنا معًا أو .... ؟



التفت الجميع إلى مصدر الصوت فى حركة حادَّة ، وأسرع (نور) ينتزع مسدَّسه الليزرىّ ، ويصوِّبه إلى الرجلين ..

قاطعها (نور) فى حزم :

ــ ليس هذا بالاحتمال المُسْتَبَعد يا (سلوى) ، وهذا يدفعنا إلى ضرورة التحرُّك فى سرعة ، ومحاولة حماية أنفسنا ، وفهم ما يدور حولنا ، قبل أن نخسر المعركة .

هبَّ (رمزى) و (محمود) من مقعديهما ، وهتف الأوَّل فى صرامة :

ــ لسْنا لُقْمة سائغة إلى هذا الحدّ يا (نور) .

وهتف (محمود) فى توتُّر :

ــ ولكن مَنْ فعلَ هذا ؟.. مَنْ ؟

جاءت الإجابة فجأة ، وبصوت هادئ عميق ، يقول فى حزم واضح :

ــ نحن .

التفت الجميع إلى مصدر الصوت فى حركة حادَّة ، وأسرع (نور) ينتزع مسدَّسه الليزرىّ ، ويصوِّبه إلى الرجلين ، اللذين يقفان هادئين ، أمام باب المنزل ، وقد ارتدى كل منهما زيًّا عجيبًا ، من قطعة واحدة ، يغطى جسديهما كله ، ويبدو كغلاف ملتصق ، يلتمع بضوء بنفسجى هادئ ، فيما عدا رأسيهما وعنقيهما العاريين ..

وعلى الرغم من الهدوء الذى يملأ ملامح الرجلين ،

والابتسامة العريضة على وجهيهما ، فقد بدوَا على نحو مثير للرهبة والقلق ، فى نفوس أفراد الفريق ، حتى أن أحدهم لم ينطق بكلمة لبعض الوقت ، قبل أن يلوِّح (نور) بمسدَّسه ، فى وجهى الرجلين ، وهو يهتف فى صرامة :

ـ مَنْ أنتما ؟ .. كيف عرفتما شفرتنا السِّرِّيَّة ؟ .. وكيف نجحتما فى التسلُّل إلى هنا ، على الرغم من وسائل التحذير والإنذار ؟

ابتسم الرجل الأكبر سنًا ، وهو يقول فى هدوء :

ـ اهدأ أيها الرائد (نور) .. إننا لسنا أعداء لك أو لفريقك كما تظن .. إننا أصدقاء و ...

قاطعه (نور) فى حِدَّة وصرامة :

ـ إننى لم أتلقَّ جوابًا عن أسئلتى بعد .

ابتسم الرجل ، وتبادل نظرة هادئة مع زميله ، ثم أجاب :

ـ أنا (طاهر) ، وهو (سليمان) .. ونحن مصريَّان مثلكم ، ونحتاج إلى معاونتكم .

قال (نور) فى صرامة :

ـ هذا لا يبرِّر أو يفسِّر وصولكما إلى هنا ، ومعرفتكما للشفرة السِّرِّيَّة .

ابتسم الاثنان ، وتبادلا تلك النظرة الهادئة مرَّة أخرى ، ثم قال (سليمان) :

ـ إننا زملاء أيها الرائد (نور) .. إننا نعمل ـ مثلكم ـ لحساب المخابرات العلمية المصرية .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة ساخرة :

ـ أخطأت .. من سوء حظك أننى أحتلّ مركزًا حسَّاسًا فى المخابرات العلمية ، يجعلنى أحفظ عن ظهر قلب ، أسماء ووجوه كل من يعمل لحساب المخابرات العلمية المصرية و ....

قاطعه (طاهر) :

ـ هذا ينطبق على القرن الحادى والعشرين أيها الرائد .

تبادل (نور) وفريقه نظرة دهشة ، ثم غمغم (رمزى) :

ـ ماذا تعنيان ؟

ابتسم (طاهر) و (سليمان) ، وهما يتبادلان النظرات ، ثم أجاب (سليمان) فى هدوء :

ـ نعنى أننا نعمل حقًّا فى المخابرات العلمية المصرية ، ولكن ليس فى هذه الحقبة من الزمن .

وأكمل (طاهر) فى بساطة :

ـ إننا ننتمى فى الواقع إلى مستقبلكم .. إلى القرن الخامس والثلاثين .. إننا زوَّار فوق العادة .

* * *

٢ ـ كل الأزمنــة ..

اتسعت عيون (نور) وفريقه فى ذهــول ، وهتــفت (سلوى) فى دهشة وارتياح :

ـ يا إلهى !!

ولم ينبس (محمود) ببنت شفه ، فى حين غمغم (رمزى) :

ـ إلى القرن الخامس والثلاثين ؟!!!

أما (نور) ، فقد كان أوّل من تغلّب على ذهوله منهم ، وعاد يلوّح بمسدّسه الليزرىّ فى وجهَى الرجلين ، وهو يقول فى صرامة غاضبة :

ـ لو أنها لخدعة ، فهى أسخف لخدعة رأيتها فى حياتى ، فأنا أرفض تمامًا فكرة التجوال عبر الزمن ، كما لو كان طريقًا ممهّدًا ، بلا رسم عبور .

غمغم (رمزى) فى توتّر :

ـ ولكننا مرّرْنا بتجربة مشابهة يا (نور)(*) .

(*) راجع قصة (ثقب فى التاريخ) .. المغامرة رقم (٤٣) .

هتف (نور) فى جِدّة :

ـ تجربة فردية يا (رمزى) ، وتحت ظروف عشوائية خاصّة ، من العسير تكرارها و ....

قاطعه (محمود) :

ـ لا تنس أن عودتنا إلى عصرنا لم تكن عشوَائية يا (نور) .

عقد (نور) حاجبيه فى ضيق ، فى حين قال (طاهر) فى هدوء :

ـ أنا أيضًا أُشاركك رفضك لفكرة الترحال عبر الزّمن أيها الرائد .

تطلّع إليه الجميع فى دهشة ، فابتسم ، وهو يردف فى هدوء :

ـ ولكن هذا لا ينفى كوننا من مستقبلكم .

صاحت (سلوى) :

ـ أىّ لغز هذا ؟

وهتف (نور) فى جِدّة :

ـ اسمع يا سيّد (طاهر) .. أو أيًا ما كان اسمك الحقيقى .. إننى أرفض حديثك كله ، وأصرّ على إثبات قولك أوّلًا ، قبل أن تلقى بنا فى نهر الحَيْرة والألغاز .

ابتسم (سليمان) ، وهو يقول :

ـ إثبات ذلك أمر بالغ البساطة أيها الرائد ..

ولم يكد يتم عبارته حتى اختفى فجأة ..

اختفى كما لو كان قد تلاشى تمامًا ..

وتراجع الجميع فى دهشة وذعر ، ثم هتف (نور) فى حِدَّة :

ـ أية حيلة تلك ؟.. هل ستحاولان خداعنا بألعاب الحواة والشعوذة ؟

جاءه صوت (سليمان) من خلفه يقول فى هدوء :

ـ بل هو العلم أيها الرائد .. علم القرن الخامس والثلاثين .

استدار الجميع إلى مصدر الصَّوت ، ورأوا (سليمان) يقف هادئًا ، مبتسمًا ، فهتفت (سلوى) :

ـ يا إلٰهى !!.. ماذا يحدث هنا ؟

هزَّ (سليمان) كتفيه ، وهو يقول فى بساطة :

ـ الانتقال الآنى يا سيِّدى .. انتقال ذرات الجسم دفعة واحدة من مكان إلى آخر .. إنه حلم علمائكم منذ الربع الأخير من القرن العشرين ، وهو ما زال يبدو لهم ، حتى هذه

اللحظة ، أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة ، ولكنهم سيتوصَّلون إليه فى منتصف القرن الثالث والعشرين ، وبالتحديد يوم الخامس من يوليو ، عام ألفين ومائتين وستة وأربعين ، وما ترونه الآن هو تطوير لنظرية الانتقال الآنى بعد اثنى عشر قرنًا من كشفها .

أراد (نور) أن يعترض ، وأن يجد ثغرة فيما رآه أو سمعه ، إلَّا أنه وجد نفسه يخفض فوَّهة مسدسه الليزرىّ ، وهو يغمغم فى استسلام :

ـ وما الذى جاء بكما من القرن الخامس والثلاثين إلى هنا ؟

أجابه (طاهر) فى هدوء :

ـ إننا لم نسافر عبر الزمن فى الواقع أيها الرائد (نور) ، وإنما عبر الفضاء .

هتف (محمود) فى حِدَّة :

ـ أهو لغز جديد ؟

هزَّ (طاهر) رأسه نفيًا فى هدوء ، وأجاب :

ـ كلَّا .. إنه أمر بالغ البساطة ، وسأشرحه لكم بالتفصيل .

وتنهّد ، وكأنما يعدُّ نفسه للحديث ، ثم استطرد :

ــ منذ قرن واحد فى زمننا .. أى فى القرن الرابع والثلاثين ، تقدّم أحد علماء الفلك المصريين لنيل جائزة (حورس) للعلوم ، ببحث أثار ذهول الجميع واستنكارهم فى البداية ، ولقد أسمى بحثه بـ (كل العصور) .. وملخّص ما ذهب إليه فى نظريته ، هو أنه توجد عبر الكون الآلاف .. بل ملايين المجرّات ، ومن بينها توجد عشرات المجرّات ، التى تشبه مجرتنا هذه ، بمجموعتنا الشمسية ، وكواكبها وأقمارها ومداراتها .. بل الحياة فوقها .. وهذا يعنى بالتبعية وجود عشرات من الكواكب ، التى تشبه تمامًا كوكب الأرض ، طبقًا للنظرية القديمة ، التى تقول : « البدايات المتشابهة تعطى دائمًا نتائج متشابهة ، حينما تتشابه ظروف النمو »(*) .. وبناء على نظرية عالم الفلك المصرى ، فإنه توجد فى الكون العشرات من أشباه كوكب الأرض ، بكل تاريخه ، وحلقات تطوّره ، وحتى الأشخاص الذين يحيون فوقه .. ولكن ..

صمت لحظة ، ليدور بعينيه فى وجوه الجميع ، وكأنما يحاول قراءة أثر حديثه فى ملامحهم ، ثم أردف فى هدوء :

(*) نظرية علمية صحيحة ..

ــ ولكن نظرًا لأن هذه الكواكب لم تنشأ كلها فى وقت واحد ، على الرغم من تشابهها التام ، فهذا يعنى أن كلًّا منها يمرّ بحقبة زمنية تخالف ما يمرّ به الكوكب الآخر ، وهكذا .. وطبقًا لهذه النظرية يكون التنقل بين هذه الكواكب ، تمامًا كالتنقل بين العصور والأزمنة ، ففى أحدها يحيا العالم فى عصوره الوسطى ، وفى آخر ما زال العصر الحجرى سائدًا ، وفى ثالث بلغ التطوُّر أوجه .. وهكذا دواليك ، وكأن كل هذه الكواكب تسير فى ركب زمنى واحد ، كل منها فى دوره ، فتجد حاضركم هو مستقبل كوكب آخر ، فى حين أنه تاريخ قديم لنا ، وقد يكون حاضرنا هو تاريخ كوكب آخر .

وعاد إلى صمته لحظة ، ليسألهم فى اهتمام :

ــ هل يمكنكم استيعاب هذه النظرية ؟

تبادل أفراد الفريق النظرات ، ثم أجابه (نور) :

ــ نعم .. على الرغم من تعقيدها ، فهى تقول فى اختصار إنه توجد فى الكون عشرات الكواكب ، التى تتشابه تمامًا مع كوكب الأرض ، بحيث يكون أكثرها تطوُّرًا هو نهاية تاريخ ، وأقلها هو بداية تطوُّر .. إنها نظرية طريفة حقًّا .

أجابه (سليمان) :

ـ وصولنا إلى هنا يؤكِّد صحة النظرية أيها الرائد ، فأنت وفريقك بالنسبة إلينا تاريخ قديم ، وأحداث نفخر بها ، ولقد استغرق الأمر وقتا طويلًا ، قبل أن ننجح فى تحديد الكوكب الذى يتفق تطوُّره مع زمن تواجدك وفريقك .

سأله (نور) فجأة :

ـ لماذا ؟!.. لماذا تبحثون عنى إذن ، مادمت بالنسبة إليكم مجرَّد تاريخ ؟

عقد (طاهر) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ لأننا نريدك أيها الرائد .. نريدك وفريقك فى مهمة خاصَّة ، فى القرن الخامس والثلاثين .

* * *



٣ ـ رحلة إلى كوكب المستقبل ..

« هل أعددتم كل شىء ؟ » .

ألقى (طاهر) هذا السؤال فى هدوء ورصانة ، وهو يتطلَّع إلى وجوه أفراد الفريق ، فأجابه (نور) :

ـ نعم .. لقد أرسلنا الصغيرة (نشوى) إلى جدتها ، وحصل كل منا على إجازة طويلة طارئة ، ويمكننا أن نذهب معك ، دون أن يعلم مخلوق مانحن بصَددِه .

ابتسم (طاهر) ، وهو يقول :

ـ حسنًا .. هيَّا بنا .

قادهم مع (سليمان) إلى الحديقة ، و (سلوى) تسأله فى قلق :

ـ كم ستستغرق رحلتنا إلى زمنكما ؟.. أعنى إلى كوكبكما ؟

أجابها (سليمان) فى هدوء :

ـ حوالى ساعة .

هتف (محمود) فى استنكار :

— ساعة ؟!.. هذا مستحيل !.. إن المسافة التى تفصلنا عن أقرب مجموعة شمسية ، يمكنها ان تتشابه مع كوكب الأرض ، لا يمكنها أن تقلّ عن ألفى سنة ضوئية و .... (*) .

قاطعه (سليمان) ضاحكًا :

— يا إلهى !!.. إنك تتحدّث عن علوم عفا عليها الدهر ياصديقى .. إن السفر عبر الكواكب يتم فى زمننا نحن عبر الثقوب الفضائية .

غمغم (محمود) فى دهشة :

— الثقوب الفضائية ؟!

ربّت (طاهر) على كتفه ، وهو يبتسم قائلًا :

— كنت أتمنى أن أشرح لك هذا الأمر ياصديقى ، ولكن من العسير أن تستوعبه ، فهو حصيلة تطوُّر علوم الفلك والفضاء ، عبر أربعة عشر قرنًا تفصل بين كوكبنا وكوكبكم ، ولكن يكفى أن تعلم أن هذه الثقوب الفضائية تختصر الزمن والمسافة إلى حدّ مُذهِل ، حتى أنه يمكنك عبْرَها من أن تختصر زمن الانتقال بين كوكبينا ، والذى يستغرق مالا يقلّ عن مليون سنة ضوئية ، إلى مالا يزيد على ساعة واحدة .

(*) السنة الضوئية : هى المسافة التى يقطعها الضوء فى سنة كاملة ، مع العلم بأن سرعة الضوء تساوى ٣٠٠٠٠٠ كيلومتر/ثانية .

غمغم (محمود) مشدوهًا :

— إنه أمر مذهل حقًا .

تدخّل (نور) فى الحديث ، وهو يسأل (طاهر) فى هدوء :

— هل يعدّ سؤالى فضولًا ، لو تساءلت عن وسيلة الانتقال ، التى سنستقلّها إلى كوكبكما ؟

ابتسم (طاهر) ، وهو يقول :

— كلّا بالطبع .. إنها هنا .. فى حديقة منزلك .

كان الجميع يقفون فى حديقة المنزل فى تلك اللحظة بالفعل ، فتلفّتوا حولهم فى حَيْرة ، ثم غمغم (رمزى) :

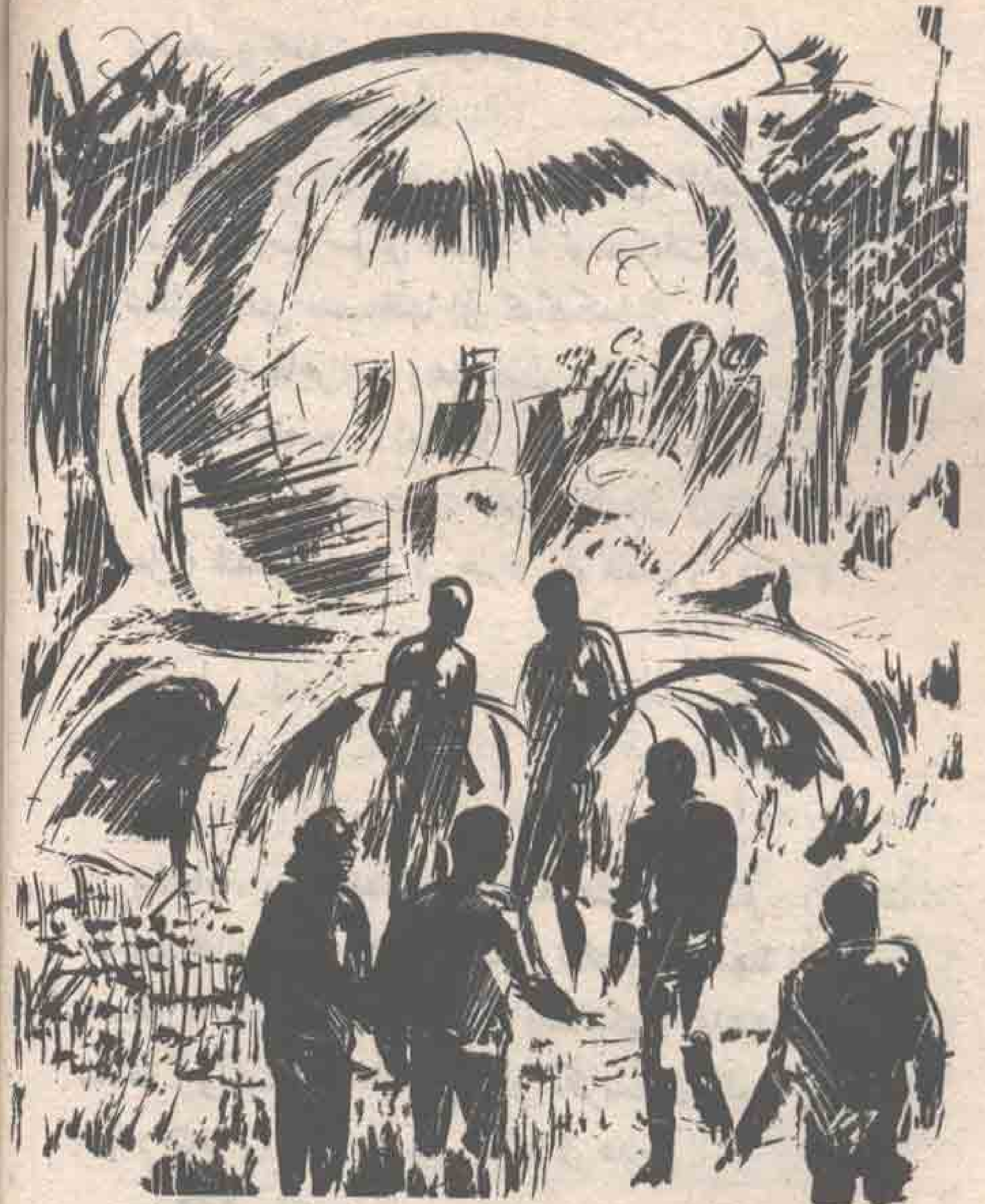
— أين ؟!

ضغط (طاهر) زِرًّا صغيرًا فى حزامه ، وهو يجيب فى هدوء :

— هنا .

وفجأة ، وبلا مقدمات .. وبلا صوت أو ضوء ، برزت أمامهم فقاعة زجاجية ضخمة ، تفلطح نصفها السفلى ، لتستقر به على أرض الحديقة ، وبداخلها مقاعد زجاجية شفافة ، وأزرار من الزجاج ، أو الكريستال الملوّن ، وأشار إليها (طاهر) ، وهو يبتسم ، قائلًا فى هدوء :

— ها هى ذى .



وفجأة ، وبلا مقدمات .. وبلا صوت أو ضوء ، برزت أمامهم فقاعة زجاجية ضخمة ، تفلطح نصفها السفلى ..

وتبادل مع (سليمان) نظرة ضاحكة ، وهما يتطلَّعان إلى علامات الانبهار ، التى ارتسمت على وجوه أفراد الفريق ، ثم قال الأخير فى هدوء :

ــ استعدُّوا أيُّها السَّادة .. الآن تبدأ رحلتكم إلى كوكب المستقبل .. مستقبلكم .

* * *

لو كانت هناك ذَرَّة واحدة من الشَّك ، باقية فى أعماق (نور) وفريقه ، فقد تلاشت تمامًا بعد ساعة واحدة من بدء الرحلة ، حينما وصلت الفقاعة الزجاجية إلى الكوكب الشبيه بالأرض ، فى قرنها الخامس والثلاثين بعد الميلاد ..

لقد كان أمامهم عالم المستقبل ، بكل ما يحويه من إنجازات علمية وحضارية مبهرة ، ومذهلة ..

البنايات بالغة الضخامة ، تتضاءل إلى جوارها ناطحات السحاب المعروفة ، فى القرن الحادى والعشرين ..

وحداتها طائرة .. متنقِّلة ، يمكن للمرء بواسطتها نقل منزله إلى أية بقعة يشاء من الأرض ..

لا توجد سيَّارات ..

أو طائرات ..

أو حتى صواريخ ..

كل الانتقال يتم بوسيلة الانتقال الآلى المذهلة ..
كل شىء يُدار بالخلايا الحيويّة ، التى هى الجيل المليون للكمبيوتر الصّناعِىّ ..
كل شىء مبهر ، مثير ، محيِّر ..
حتى مبنى المخابرات العلمية لم يعد منطقة سِرّيّة ..
إنه بناء بالغ الضخامة ، تعلوه لافتة من الليزر الضوئى المجسَّم ، تحمل اسم إدارة المخابرات ..
والتقى الفريق بالقائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، فى القرن الخامس والثلاثين ..
كان شابًا تؤكِّد ملامحه أنه لم يتجاوز الثلاثين بعد ، استقبلهم فى حرارة وتَرْحاب ، ودعاهم للجلوس على مقاعد هوائية ناعمة ، تتناسق تمامًا مع شكل الجسم وتضاريسه ، وتبعث فيه شعورًا بالراحة والأمل ، وقدَّم إليهم مشروبًا عجيبًا ، خُيِّل إليهم أنه يوزِّع الرَّاحة والحماس فى كل خلاياهم ، عبر عروقهم ، حتى أن (رمزى) هتف فى انبهار :
ـ ما هذا المشروب ؟
أجابه القائد الأعلى مبتسمًا :
ـ إنه نوع من المنشِّطات الصّناعيّة ، لا يؤدِّى إلى أية أضرار أو آثار جانبية على الإطلاق .. اطمئن .

سأله (نور) فى اهتمام :
ـ هل لنا أن نعرف سبب دعوتنا إلى هنا بالضبط ؟
تطلَّع إليه القائد الأعلى فى هدوء ، ثم أجاب :
ـ هل تعلم أنك وفريقك بالنسبة لنا تاريخ أسطورىّ أيها الرائد ؟.. سيدهشك أننا قد أقمنا مُتحفًا خاصًّا لإنجازاتكم ، فى نفس الموضع الذى كانت فيه إدارة المخابرات العلمية قديمًا .
عاد (نور) يسأله فى هدوء :
ـ هل يجيب هذا عن سؤالى ؟
أطلق القائد الأعلى ضحكة قصيرة ، وقال :
ـ تمامًا كما تقول كتب التاريخ عنك أيها الرائد (نور) .. صارم .. حازم .. جادّ .. شجاع ..
قاطعه (نور) فى هدوء :
ـ وفضولىّ .
ابتسم القائد الأعلى ، وقال :
ـ سأخبرك أيها الرائد .. سأخبركم جميعًا .
وبإشارة مبهمة من يده ، تكوَّنت وسطهم صورة هولوجرافية مجسَّمة لرجل طويل القامة ، ممشوق القوام ، واضح القوة والصرامة ، كثيف الشعر ، ناعمه ، أشيب

الفوْدَيْن ، عريض الفك ، ضيّق العينين .. أزرقهما ، أشار إليه القائد الأعلى ، وهو يسأل (رمزى) فى هدوء :

ـ بِمَ توحى إليك ملامح هذا الرجل ، يا طبيب الفريق النفسىّ ؟

تطلّع (رمزى) إلى وجه الرجل ، وقال فى هدوء :

ـ إنه رجل قوىّ الشكيمة ، شديد العزيمة ، بالغ الذّكاء ، يميل إلى السّيطرة والغرور ، وهو إما عالم فذّ ، أو قائد عسكرىّ خطير .

غمغم القائد الأعلى :

ـ إنه الأوّل .

ثم اعتدل فى مجلسه ، وشبّك أصابع كفّيه أمام وجهه ، وهو يستطرد فى لهجة تشف عن خطورة الأمر :

ـ هذا الرجل أيها السّادة هو الدكتور (خالد رضوان) .. أعظم علماء عصرنا ، وأكثرهم علمًا وعبقرية ، كما أكّدت أجهزة الفحص الحيوىّ .. والدكتور (خالد) هذا عالم كيميائى ، وفلكى ، وهندسى فذّ ، وهو الوحيد ، بخلاف قادة حروب الفضاء ، الذى يعرف مواقع الكواكب الشبيهة بكوكب الأرض ، والثغرات الفضائية ، التى تقود إليها .

وصمت لحظة ، وكأنما يستجمع أفكاره ، ثم عاد يواصل قائلًا :

ـ ولكن الدكتور (خالد) هذا مصاب بعقدة نفسية بالغة الخطورة ، ألا وهى شهوة السيطرة ، ولقد دفعته رغبته الجنونية فى التفوّق إلى إتيان عمل جنونىّ ، وهو الفرار إلى إحدى الكواكب الشبيهة ، التى لم تبلغ درجة تطور كوكبنا بعد ، أو حتى كوكبكم ، ومحاولة استغلال علومه المتطوّرة ، التى اكتسبها من القرن الخامس والثلاثين ، للسيطرة على الكوكب كله ، وهو يخالف كل القوانين التى وضعها مجلس شئون الفضاء الأعلى ، بشأن التعامل مع الكواكب الشبيهة .

وصمت لحظة أخرى ، ثم نهض من مقعده ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يسير فى أرجاء حجرته ، مردفًا :

ـ إن وضع الكواكب الشبيهة بالغ الحساسيّة والدّقة ، فالانتقال من أحدها إلى الآخر يشبه الانتقال من حقبة زمنية إلى أخرى ، فى تاريخ كوكب الأرض ، فكما أخبركم (طاهر) و (سليمان) ، فالتاريخ يسير على كل منها بوتيرة واحدة ، ولقد أثبتت أبحاثنا أننا على قمة هرم تطوّر الكواكب الشبيهة ، ويليها كوكبكم ، ثم ثمانية وسبعون كوكبًا آخر ، يمرّ كل منها بحقبة زمنية من حقب التاريخ ، الذى درستموه فى مدارسكم والقانون يحظر تمامًا التدخّل فى شئون أو تاريخ أحد هذه

الكواكب ، وإلّا اختلّ تاريخه ، واختلّت سلسلة تطوُّره ، فلا يصل أبدًا إلى ما نحن عليه .

واكتسب صوته صرامة وحزمًا ، وهو يستطرد :

ــ لهذا ينبغى منع الدكتور (خالد) من العبث بالتاريخ .

سأله (رمْزى) فى اهتمام :

ــ وإلى أى كوكب ذهب الدكتور (خالد) ؟

مطَّ القائد الأعلى شفتيه ، وأجاب :

ــ ماسجَّلته أجهزة معمله تشير إلى أربعة كواكب فحسب ، وأربع حقب زمنية ، فى أربع مناطق من العالم .. (روما) فى القرن السادس عشر ، و (أمريكا) فى القرن التاسع عشر ، و (فرنسا) فى القرن العشرين ، ومصر الفرعونية ، فى القرن الثلاثين قبل الميلاد .

غمغمت (سلوى) فى ضيق :

ــ وهل من المفروض أن نبحث عنه فى كل هذه الكواكب والحِقَب ؟

ابتسم القائد الأعلى ، وهو يغمغم :

ــ هذا ما نأمله .

سأله (نور) بغتة :

ــ ولماذا نحن بالذات ؟

ساد الصمت تمامًا بعد سؤال (نور) ، ثم قطعه القائد الأعلى ، وهو يقول فى هدوء :

ــ إن الدكتور (خالد) بالغ الذكاء ، كما سبق أن أخبرتكم أيها السادة ، والفريق الذى سيسعى خلفه ، لابد أن يفوقه ذكاءً .

والتفت إلى (نور) ، مستطردًا بابتسامة هادئة :

ــ والتاريخ يؤكِّد ، طبقًا لاختبارات أجهزة الدّراسات والفحوص الحيويَّة ، أن فريقكم هو الفريق الوحيد ، عبر التاريخ والأجيال ، الذى يمكنه هزيمة الدكتور (خالد رضوان) .

تبادل أفراد الفريق نظرات الدهشة والحَيْرة ، ثم التفت (نور) إلى القائد الأعلى ، وسأله :

ــ وماذا لو أجبنا بالموافقة ؟

تألَّقت عينا القائد الأعلى فى ظفر ، وقال فى حماس :

ــ فى هذه الحالة سنعمل بأقصى جهدنا لتأهيلكم للمعركة عبر الكواكب .. وعبر العصور ..

* * *

٤ ـ التأهيـل ..

عبر (نور) وفريقه بوَّابة من الكريستال السميك الشفَّاف ، وهم يرتدون تلك الأردية الفِضيَّة ، التى تسلَّموها من إدارة المخابرات العلمية ، للقرن الخامس والثلاثين ، لينتقلوا من غرفة التعقيم إلى معمل الإدارة ، حيث استقبلهم رجل متوسط الطول ، طيب الملامح ، باسم الثغر ، ضيق العينين ، يمتزج لون حدقتيه العسليتين بلون أخضر خفيف ، لم تكد أبصارهم تقع على وجهه ، حتى اتسعت عيونهم فى دهشة ، وهم يهتفون فى آن واحد :

ـ دكتور (محمد حجازى) ؟!

ابتسم الرجل ابتسامة أقرب إلى الخجل ، وهو يقول فى صوت هادئ :

ـ هذا هو اسمى حقًّا ، ولكننى لست ذلك الذى تعرفونه فى القرن الحادى والعشرين ، صحيح أننى نسخة طبق الأصل منه ، ولكننى لست هو .. إننى ، وبكل فخر ، أحد أحفاد أحفاد أحفاده ، عبر أربعة عشر قرنًا من الزمان .

هتف (نور) فى سعادة :

ـ ياللمصادفة !!.. لا يمكنك أن تتصوَّر مدى سعادتى للقائك .

صافحهم الدكتور (حجازى) المستقبل ، وهو يغمغم فى خجل :

ـ إن سعادتى تفوق سعادتكم بالتأكيد أيُّها السَّادة ، فأنا أقرأ تاريخكم فى إعجاب وإكبار ، حتى لقد تمنَّيت يومًا لو عدت إلى الماضى للتمتع بمقابلتكم .

ضحك (محمود) ، وهو يقول :

ـ ها قد ادَّخرنا جهدك ، وأتينا نحن إليك فى المستقبل .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وغمغم :

ـ إنه بالنسبة لى حاضر يا سيِّد (محمود) .

ثم استطرد فى اهتمام :

ـ والآن دعونا نبدأ برنامج تأهيلكم .

سأله (نور) فى اهتمام مماثل :

ـ هل لنا أن نعلم ما برنامج التأهيل هذا بالضبط ؟

أجابه الدكتور (حجازى) :

ـ إنكم ستذهبون إلى أربع حقب مختلفة من التاريخ ، وإلى أربع دول مختلفة ، ونجاحكم فى العثور على الدكتور (خالد) يستلزم معرفتكم بلغات هذه الدول ، فى تلك الحقب المختلفة من التاريخ ، ومعرفة هذا التاريخ أيضًا ، وتعليمكم كل هذا

كان يحتاج فى عصركم إلى شهور ، أمّا بوسائل التعليم المتفوّقة فى القرن الخامس والثلاثين ، فلن يستغرق ذلك أكثر من ساعات ثلاث ، ستجيدون بعدها الحديث بكل هذه اللغات ، كما لو كنتم أحد أبناء تلك الحِقْبة من الزمان ، وتلك الدول بالذات ، وهذا يستلزم تعليمكم الهيروغليفية ، وإيطالية القرن السادس عشر ، وأمريكية القرن التاسع عشر ، وفرنسية القرن العشرين .

سألته (سلوى) :

ــ من أية حقبة يبدأ بحثنا ؟

مطَّ شفتيه ، وأجاب فى هدوء :

ــ أكثرها قدمًا .. ستبدءون بالعصور الفِرْعَوْنيَّة .

ثم ابتسم ، وهو يستطرد :

ــ أمّا الآن ، فسنبدأ ببرنامج التأهيل ..

* * *

ارتسمت ابتسامة عريضة على وجه الدكتور (حجازى) المستقبل ، وتنهد فى ارتياح ، وهو يواجه أفراد الفريق ، قائلًا :

ــ ها قد انتهى برنامج تأهيلكم أيها السّادة .. إنكم تجيدون الآن اللغات الأربع إجادة فائقة ، وتعلمون الكثير عن تاريخ الحِقَب الزمنية ، التى ستقومون بزيارتها . بقى أن تعلموا قواعد العمل .

وناول (نور) قرصًا مستديرًا ، وهو يقول :

ــ بصفتك قائد الفريق ، ستحمل هذا القرص ، الذى سيكفل لك استدعاء مركبة التنقل وقتما تشاء ، وستجدون داخل المركبة كل الثياب ، التى تناسب الحِقَب الزمنية ، التى ستذهبون إليها ، ولن يسمح لكم باستخدام أية أسلحة ، باستثناء مسدَّس (نور) الليزرىّ ، وبحَذَر بالغ ، حتى لا تثيروا ذعر أو دهشة أهل الحِقَب الماضية ، ومن الضرورى ألّا يعلم أحد من أنتم ، ومن أين أتيتم .

سأله (نور) :

ــ وماذا علينا أن نفعل ، حينما نجد الدكتور (خالد) ؟

صمت الدكتور (حجازى) المستقبل لحظة، ثم أجاب فى صرامة:

ــ سنترك لكم الخيار .. إما أن تحضروه إلى هنا أو ....

وصمت لحظة أخرى ، ثم أردف فى حزم :

ــ أو تقتلوه هناك .

ساد الوجوم بعد تصريحه الأخير ، ثم غمغم (نور) فى حزم وصرامة :

ــ سنعود به يا دكتور (حجازى) .. سنعود به بإذن الله .

وأكملت (سلوى) فى توتُّر :

ــ أو نلقى حتفنا .. عبر العصور .

* * *

٥ ـ مصر الأهرامات ..

(مصر) .. عام ألفين وخمسمائة وستة وثمانين .. قبل الميلاد ..

كل شىء هادئ فى (منف) .. صحراء الجيزة الحالية(*) ..

وفجأة .. ووسط رمال الصحراء ، برزت تلك الفقاعة الزجاجية الضخمة ، واستقرَّت على قاعدتها المفلطحة ، وتناثرت الرمال حولها لحظة ، ثم عاد كل شىء إلى هدوئه وسكونه ، وغادر الفقاعة ثلاثة رجال وامرأة ، غمغمت فى توتُّر :

ـ سيمضى وقت طويل ، قبل أن أعتاد أسلوب الانتقال الآنى هذا .

لم يجبها أحد الرجال الثلاثة ، الذين انهمكوا فى تعديل ثيابهم المصريَّة القديمة ، حتى ضحك أحدهم ، وهو يقول :

(*) (منف) = مدينة قديمة ، من أعظم عواصم (مصر الفرعونية) ، معبودها (بتاح) ، امتدت من (أبو رواش) شمالًا ، حتى (اللشت) جنوبًا ، وعلى شاطئ النيل الغربى حتى مشارف (الجيزة) ، وعلى الشاطئ الشرقى حتى (مصر القديمة) ، التى عُرفت قديمًا باسم (خرى عحا) أى (مكان المعركة) .

ـ يبدو لى وكأننا نزمع القيام بمسرحيَّة تاريخية .

كان صاحب هذه العبارة هو (رمزى) ، الذى استطرد بعدها فى مرح :

ـ تُرى هل تتفق الأحوال النفسية لقدماء المصريِّين مع ما درسناه فى كلية الطب ، فى القرن الحادى والعشرين ؟

أجابه (نور) فى جِدِّيَّة :

ـ كلَّا بالطبع .. فهم فى هذا العصر لا يعانون متاعب المواصلات ، أو الضغوط الاقتصادية .

غمغم (محمود) :

ـ مَنْ يَدْرِى ؟

أشار (نور) إلى فريقه ليبتعد ، ثم ضغط القرص المستدير ، فاختفت الفقَّاعة فجأة ، وقال :

ـ إننا الآن فى عصر الملك (خوفو) يا رفاق ، ولو أن الدكتور (خالد) هنا ، فهو يختفى حتمًا فى زىّ كاهن ، أو رجل علم ، ولا ريب أنه سيحاول استغلال معارفه وعلومه ، للسيطرة على هذا العصر .

سألته (سلوى) فى توتُّر :

ـ من أين ينبغى أن نبدأ بحثنا ؟



شدّ (نور) على يدها مطمئنًا ، وهو يقول :
ــ سننتظر يا (سلوى) .. سننتظرهم فى هدوء ..

أجابها فى حزم :

ــ من قلب (منف) ، فهو سيختار نقطة انطلاق قويّة ، مادام يسعى لفرض سيطرته على العالم .

هتف (محمود) فجأة :

ــ هناك كوكبة من الفرسان تتقدّم نحونا ، على صهوة الجياد يا رفاق .

التفت الجميع إلى سحابة الغبار ، التى أثارتها حوافر الجياد ، وهتفت (سلوى) فى ذعر :

ــ ماذا نفعل ؟

شدّ (نور) على يدها مطمئنًا ، وهو يقول :

ــ سننتظر يا (سلوى) .. سننتظرهـــم فى هدوء ، ونتحدّث إليهم بلغتهم .

ازدردت لعابها فى صعوبة ، وانتظر الجميع حتى اقتربت كوكبة الفرسان ، وأحاطت بهم ، وكل فارس يصوّب إليهم رمحه ، وسألهم قائدهم فى صرامة ، بلهجته الهيروغليفية القديمة :

ــ من أنتم ؟ وماذا تفعلون هنا ؟

أجابه (نور) فى هدوء ، وبنفس اللهجة واللغة :

— إننا أصدقاء نتنزّه هنا أيها الأخ العظيم .

عقد قائد الفرسان حاجبيه ، وهو يتأمّلهم فى ريبة ، ثم غمغم فى شك :

— تتنزّهون ؟!.. أى قول هذا أيّها المواطن ؟.. كل عباد (بتاح) يتنزهون على ضفاف نيله العظيم ، فكيف تدّعى أنكم قد ولجتم صحراء النار للنزهة ؟

اصطنع (رمزى) ابتسامة مرِحة ، وهو يقول :

— إننا نميل إلى التغيير أيها الأخ العظيم .

هتف القائد فى استنكار :

— التغيير ؟!

ومال نحو (رمزى) ، وهو يقول فى صرامة :

— هل تحمل الـ(كا) أيها المواطن ؟

تطلّع إليه الجميع فى حَيْرة ، فالـ(كا) فى لغة المصريين القدماء تعنى (الروح) ، ولم يفهم أحدهم ما يعنيه سؤال قائد الفرسان ، فغمغم (نور) فى ضيق :

— كل مخلوق حىّ يحمل الـ(كا) فى أعماقه أيها الأخ العظيم .

ارتفع حاجبا القائد ، وهو يهتف :

— فى أعماقه ؟!

ثم اكتست ملامحه فجأة بمزيج من الصرامة والغضب ، وهتف فى لهجة قاسية :

— خيانة .

وفجأة قفز الفرسان من على جيادهم ، والتفّوا حول أفراد الفريق ، ورماحهم مشهورة متحفّزة فى وجوههم ، وهتف (نور) غاضبًا :

— ماذا يعنى هذا ؟

أجابه قائد الفرسان فى صرامة :

— لقد انكشف أمركم أيها الجواسيس .. إننا ننتظركم منذ زمن طويل ، ولقد أوقعنا بكم أخيرًا .

واكتسب صوته رنة الاحترام والتقدير ، وهو يردف :

— لقد كان (أمنحتب) العظيم على حق .

غمغم (محمود) فى ذعر :

— (أمنحتب)(*) ؟!

ثم هتف أفراد الفريق فى آن واحد :

(*) (أمنحتب) = من أشهر عباقرة وحكماء العصور الفرعونية ، اشتهر بغزارة علومه وشدة حكمته فى الطب والهندسة والفلك ، انتهى تاريخه على نحو غامض فى العصور القديمة .

— الدكتور (خالد رضوان) ؟!!.. لقد عثرنا عليه .

* * *

استقرّ الملك (خوفو) العظيم فوق عرشه ، المصنوع من الذهب والعاج ، وأشار بعصاه الذهبيّة فى وقار ، فتقدّم منه رجل مهيب ، وانحنى أمامه ، وهو يقول فى احترام :

— الخلود والدوام لربيب الآلهة العظيم .

ابتسم (خوفو) ، وهو يقول :

— أيا حكيم مملكة (مصر) العظيمة ، ما الذى تفتقت عنه قريحتك ، بشأن إنجازنا المرتقب ؟

فرَد الحكيم (أمنحتب) أمامه ورقة بردىً ضخمة ، وأشار إلى الرُسوم المدوَّنة فوقها ، وهو يقول :

— لقد انتهيت بفضل رعايتك من إنجاز عملى يا مَوْلاى .

تأمّل (خوفو) الرسوم فى اهتمام وعناية ، ثم ابتسم فى إعجاب وارتياح ، وهو يغمغم :

— رائع أيها الحكيم (أمنحتب) .. فلتباركك الآلهة .

انحنى (أمنحتب) فى ارتياح وسعادة ، فى نفس اللحظة ، التى هتف فيها حاجب البهو الملكى :

— الأمير (خان — حر) :

وبخطوات ثابتة قويّة واثقة ، عبر قائد الفرسان قاعة البهو الملكى ، حتى صار على قيد أمتار قليلة من العرش ، فانحنى فى احترام ، وهو يقول :

— لقد عثرنا على الجواسيس وأسرناهم يا ملك الملوك .

تألّقت عينا (أمنحتب) ، وهو يهتف فى لهفة :

— أسرتموهم ؟!.. أين هم ؟

ثم لم يلبث أن انتبه إلى خطإ سؤاله ، فى حضرة الملك ، فالتفت إليه مستطردًا :

— ينبغى للملك الإله أن يراهم أوّلًا بالطبع .

تجاهله الأمير (خان — حر) ، وهو يعتدل منتصبًا فى شموخ ، ويواجه مليكه قائلًا :

— هل يسمح ملك الملوك بإدخالهم ؟

أشار إليه (خوفو) بالموافقة ، فاستدار الأمير ، وأشار بيده فى صرامة ، فتقدّم إلى البهو أربعة جنود ، يدفعون (نور) ورفاقه بأسنة رماحهم ، حتى وصلوا إلى حيث يقف الأمير ، الذى قال فى لهجة آمرة :

— انحنوا .. أنتم فى حضرة (خوفو) العظيم .

تردّد (محمود) و(رمزى) ، وقطّبت (سلوى) حاجبيها فى غضب ، فى حين أجاب (نور) فى صرامة :

ـ لن ننحنى قبل أن يتحقَّق العدل .

ظهر الغضب على وجه الأمير ، واستَلَّ سيفه فى حركة حادَّة ، وهو يقول :

ـ ويل لك !! كيف تجرؤ على ..؟

قاطعه (خوفو) فى هدوء :

ـ رُوَيْدَك أيها الأمير .

ثم التفت إلى (نور) ، يسأله فى رصانة :

ـ أى عدل تنشد يا رجل ؟

هتف (نور) :

ـ إننا مصريُّون ، وعدل (خوفو) العظيم يمنع معاملة مواطنيه بهذا الأسلوب .

ساد الصمت لحظة ، ثم قال (خوفو) فى هدوء :

ـ أنت على حقّ .

ثم استطرد فى حزم :

ـ إذا كنت تحمل الـ (كا) .

مرة أخرى أثارت الكلمة حَيْرة (نور) وفريقه ، فلاذوا بالصَّمْت ، فاعتدل (خوفو) ، وعقد حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ الجواسيس وحدهم لا يحملون الـ (كا) .

ثم رفع ذراعه ، وضمّ قبضته ، وهو يردف فى خشونة وصرامة :

ـ والجواسيس هنا نلقيهم طعامًا للتماسيح .. اذهبوا بهم .

وفى حركة سريعة صارمة ، ارتفعت أسنَّة الرماح فى وجوه (نور) وفريقه ، وابتسم الأمير (خان ـ حر) ، وهو يقول فى سخرية :

ـ نعم يا مولاى .. سنلقيهم للتماسيح المقدَّسة .

* * *



٦ ــ الموت قبل الميلاد ..

« قفوا .. » .

انطلقت تلك الصيحة الصارمة تدوّى فى المكان .. على نحو أثار ذهول الحاشية الملكية كلها ، وأفقد الملك (خوفو) صوابه ، فهبّ من عرشه ، وصاح فى وجه (نور) غاضبًا :

ــ كيف تجرؤ على توجيه أمر لرجالى أيُّها الجاسوس الوقح ؟

أسرع (نور) ينحنى نصف انحناءة ، وهو يقول :

ــ معذرة يا ملك الملوك ، ولكننى خشيت أن تفقد أقوى سحرة وعرّافى مملكتك ، قبل أن يضعوا خدماتهم تحت قدميك .

عقد الحكيم (أمنحتب) ، الذى يقف فى ركن مظلم ، حاجبيه ، متسائلًا عمّا يعنيه (نور) بقوله ، فى حين غمغم (خوفو) فى دهشة واستنكار :

ــ ماذا ؟!

ثم استطرد فى سخط :

ــ هل تجرؤ فتدّعى أنك أنت وهذين الرجلين والمرأة ، أقوى سحرة وعرّافى مملكتى ؟

عاد (نور) ينحنى نصف انحناءة ، وهو يبتسم قائلًا :

ــ هل يسمح مولاى برؤية قدراتنا المتواضعة أوّلًا ، قبل أن يصدر أمره بشأننا ؟

غمغمت (سلوى) فى توتُّر وحَيْرة :

ــ ماذا يحاول (نور) أن يفعل ؟

أجابها (محمود) فى همْس :

ــ لست أدرى .. إنها مخاطرة جنونيّة .

أمّا (رمزى) فقد لبث ساكنًا مترقبًا ، حتى سمع (خوفو) يقول ، بعد بُرْهة من التفكير :

ــ نعم .. إننى أسمح لكم .

ثم استطرد فى صرامة :

ــ ولكننى سألقى بكم للتماسيح المقدّسة ، إذا ثبت أنكم مخادعون .

ابتسم (نور) فى دهاء ، وهو يقول :

ــ إننا نقبل هذا بنفوس راضية يا مولاى .

وأشار إلى صدره مستطردًا فى لهجة بدت لرفاقه ساخرة :

ـ أنا (نور ـ دين) .. أعظم عرّاف فى العالم ، والمرأة هى زوجتى ، وهذا (را ـ مزى) أعظم سحرة العصر .. والشاب الآخر هو معاونه .

عقد (خوفو) حاجبيه فى شك ، وهو يغمغم :

ـ وماذا لديك ياعرّاف ؟

مسّ (نور) جبهته بأنامله ، وأغلق عينيه على نحو أشبه بما يحدث على المسارح الهزلية ، وهو يلوّح بكفه الأخرى قائلًا فى عمق :

ـ دعنى أرى يامولاى .. دعنى أرى مستقبل حكمك ودولتك العظيمة .. إننى أرى بناءً .. بناءً شامخًا .. بناءً يحمل عظمة مولاى إلى كل الأجيال من بعده .

ازداد انعقاد حاجبى (أمنحتب) ، فى حين بدا الاهتمام على وجه (خوفو) ، وهو يسأل (نور) :

ـ أى بناء هذا ؟.. ماشكله ؟

غمغم (نور) فى أسلوب مسرحى :

ـ هرم يامولاى .. هرم ضخم من الحجر الجيرى والجرانيت .. هرم وضع تصميمه الحكيم (أمنحتب) ، ويسبغ عليه مولاى عطفه ورعايته .

هتف (خوفو) فى انبهار :

ـ وا (بتاح) ؟!.. هل سيكتمل هذا البناء أيها العرّاف ؟

صاح الأمير (خان ـ حر) فجأة :

ـ إنها لخدعة يامولاى .. لقد تسرّب سِرُّ هرمك العظيم على نحو أو آخر .. إن هذا الجاسوس يحاول خِداعنا .

عادت علامات الشكّ إلى وجه (خوفو) ، وهو يغمغم :

ـ نعم .. ربّما .

التفت (نور) إلى الأمير ، وهو يقول فى صرامة :

ـ إذن فالأمير لا يصدّق أننى أرى الغيب .

استلّ (خان ـ حر) سيفه ، وهو يقول فى حِدّة :

ـ إننى لا أومن سوى بهذا .

اتخذ (نور) وقفة قتالية بصورة غريزية ، وهو يقول فى حِدّة مماثلة :

ـ هل تحب أن تختبره ؟

صاح (خوفو) فى صرامة :

ـ كفى .. أنا صاحب الأمر هنا .

زمجر (خان ـ حر) فى غضب ، وأعاد سيفه إلى غمده فى عصبية واضحة ، فى حين استطرد (خوفو) بلهجة آمرة :

ـ دع الساحر يعرض مهارته أوَّلًا .

ارتبك (رمزى) ، وتطلَّع إلى (نور) فى توتُّر وحَيْرة ، فابتسم (نور) ، وهو يقول بالعربية :

ـ التنويم المغناطيسى يا عزيزى (رمزى) .. إنه لم يكشف بعد فى هذا العصر .

غمغم (رمزى) فى توتُّر :

ـ التنويم المغناطيسى ؟!

وفى هدوء التفت (نور) إلى (خوفو) ، وقال :

ـ معذرة يا ملك الملوك .. لقد كنت أحادث زميلى بلغة السِّحر .

ثم أشار إلى أضخم الحرَّاس حجمًا .. مردفًا :

ـ إن هذا هو أقوى حرَّاسك يا ملك الملوك ، وربَّما كان أشجعهم ، ولكن سحر زميلى سيحوِّله إلى أرنب جبان .

زمجر الحارس الضخم فى غضب ، فى حين حكَّ (خوفو) ذقنه بسبَّابته ، وهو يغمغم :

ـ حسنًا .. دعنا نرى ذلك .

زمجر الحارس مرَّة أخرى ، فى حين ابتسم (نور) ، وهو يقول لـ(رمزى) :

ـ هيَّا يا (را ـ مزى) .. قم بعملك .

تنحنح (رمزى) ؛ ليلقى عن نفسه توتُّرها ، ثم شدَّ قامته ، واتجه فى هدوء إلى حيث يقف الحارس العملاق ، الذى بدا مهتاجًا ، متحفِّزًا للقتال ، وهو يتوقَّع أن يبادره (رمزى) بالهجوم ، ولكن (رمزى) اكتفى بالتطلُّع إلى عينَي الحارس فى صرامة ، وهو يسأله بصوت عميق :

ـ ما اسمك ؟

زمجر الحارس فى شراسة ، إلَّا أن عينَىْ (رمزى) بدتا له وكأنهما تزدادان اتساعًا وعمقًا ، وتتحوَّلان إلى بحر لا قرار له ، وسمع صوته يدوِّى فى أذنيه هادرًا ، متكرِّرًا كالصَّدى ، وهو يسأله مرة أخرى فى صرامة :

ـ ما اسمك ؟

ارتجفت خلجات الحارس ، واتسعت عيناه فى ضياع وشرود ، وهو يغمغم :

ـ اسمى .. اسمى (وان ـ كو) .

خُيِّل للجميع أن بريقًا خافتًا ينبعث من عينى (رمزى) ، وهو يقول بصوته العميق :

ـ أنت جبان يا (وان ـ كو) .. جبان .. ترتعد خوفًا أمامى .

ولدهشة الجميع بدأ (وان ــ كو) يرتعد بالفعل ، وارتسم الخوف على وجهه ، وشحب وجهه ، فى حين واصل (رمزى) حديثه العميق ، قائلًا :

ــ انحن يا (وان ــ كو) .. انحن وتوسَّل إلىَّ ؛ لأبقى على حياتك .. اركع على ركبتيك يا (وان ــ كو) .

جثا (وان ــ كو) على ركبتيه ، وبدا صوته مرتجفًا ، أقرب إلى البكاء ، وهو يهتف فى ضراعة :

ــ الرَّحمة !! الرحمة !!

اتسعت عيون الجميع فى ذهول ، وابتسمت (سلوى) فى ظفر ، فى حين هتف (خوفو) :

ــ رائع !!

ثم التفت إلى (أمنحتب) ، الذى مازال يقف فى ركنه المنزوى ، وسأله فى انفعال :

ــ ما رأيك يا حكيم المملكة ؟

التفت الجميع إلى حيث يقف (أمنحتب) ، وحاول (نور) ورفاقه اختراق حجب الظلام ، ليتطلَّعوا إلى وجه (أمنحتب) ، الذى حرص على أن يبقى وجهه فى الظلام ، وصمت طويلًا ، قبل أن يقول فى هدوء :

ــ هكذا تتحقَّق النبوءة .. سيأتى إلى البلاد جواسيس غرباء ، يمتلكون قدرات مخيفة عجيبة ، وسيقوِّض قدومهم أركان مملكة (خوفو) العظيم ، ما لم ....

صمت لحظة ، ثم أردف فى قسوة وصرامة :

ــ ما لم يُقْتَلوا ؟

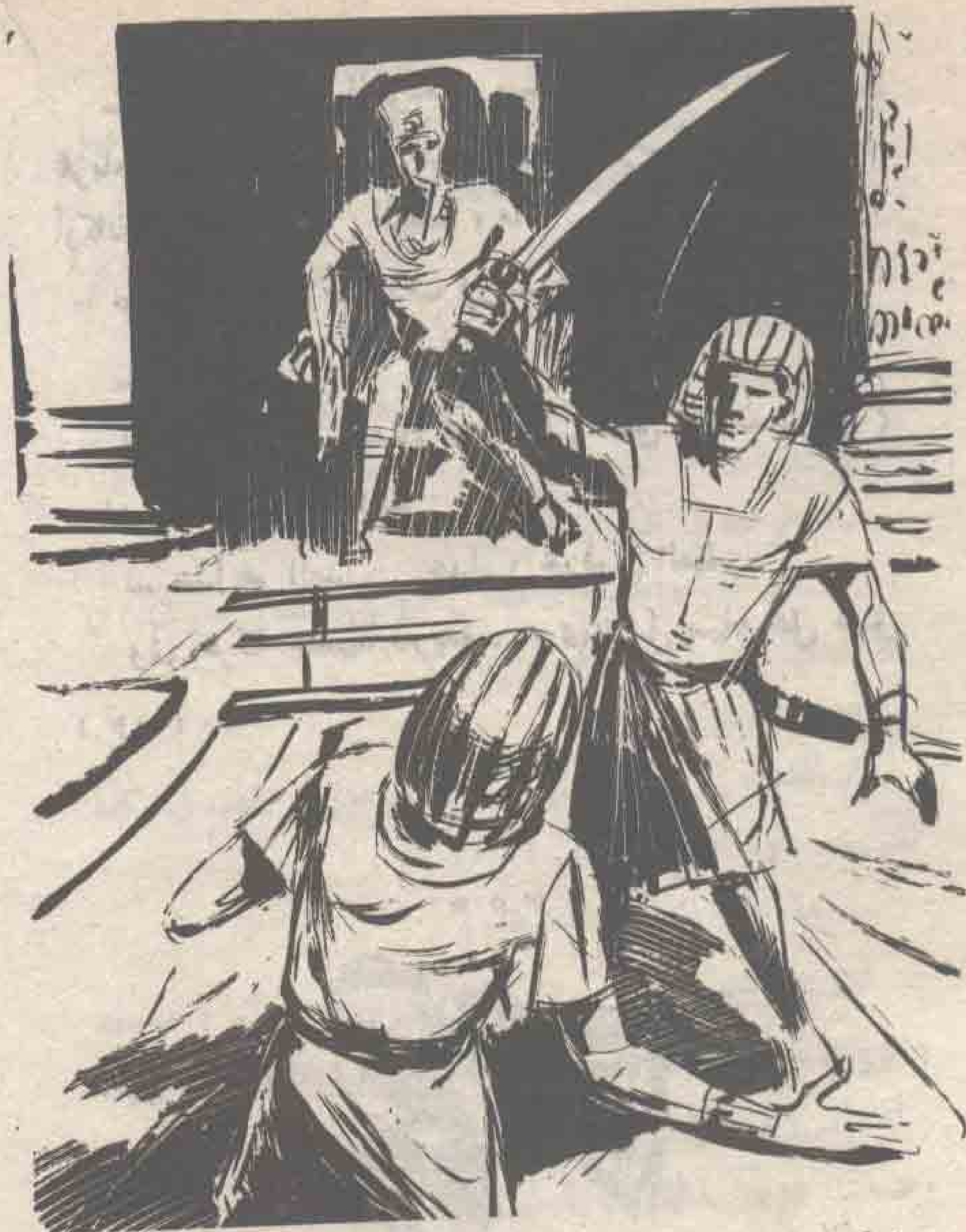
لم يكد ينطق بعبارته الأخيرة حتى استلَّ (خان ــ حر) سيفه ، وصاح فى شراسة :

ــ هذا هو العدل .. عدل (خوفو) العظيم .

وفى حركة عصبيَّة سريعة ، هوى نصل سيفه على عنق (نور) ..

* * *





لم يكد ينطق بعبارته الأخيرة حتى استلّ (خان ـــ حر) سيفه ، وصاح فى شراسة : ـــ هذا هو العدل .

٧ ـــ صراع الزمن ..

لا أحد يمكنه أن ينكر أن جند (مصر) هم خير الأجناد ..

ولقد كان الأمير (خان ـــ حر) مصريًّا ..

وكذلك (نور) ..

وهنا فقط يتجلّى أثر الزمن والتطوُّر ، فى أساليب القتال ..

لقد كان نصل سيف (خان ـــ حر) يتجه نحو عنق (نور) فى قوّة وسرعة ، حتى أن (محمود) و (رمزى) قد تراجعا فى ذُعر ، وأطلقت (سلوى) صرخة يأس وفزَع ، ولكن (نور) تحرَّك ..

تحرَّك فى سرعة ، ومرونة ، ومهارة ، وخِفَّة ، فانحنى متفاديًا نصل السيف ، وسمع صوته وهو يشقّ الهواء ، فوق رأسه مباشرةً ، ثم مال يسارًا ، وانتصب ليلكم (خان ـــ حر) فى فكّه لكمة قويّة ، ثم يُعْقِبُ ذلك بأخرى فى معدته ، وثالثة من حافة راحته على معصمه ، فأطار سيفه إلى آخر القاعة ، وابتعد عنه بحركة سريعة ، وهو يقول فى سخرية :

— ما رأيك أيها الأمير .. أما زلت لا تثق إلا فى سيفك؟
تفجرت صواعق الغضب فى وجه (خان — حر) ، وتحرك جنوده للفتك بـ (نور) ورفاقه ، ولكنه هتف بهم :
— كلا .. إنه لى وحدى .
ثم انحنى أمام (خوفو) ، وهو يقول فى غضب مكتوم :
— هل يسمح لى (خوفو) العظيم بتأديب هذا الجاسوس الحقير ؟
أشار إليه (خوفو) بالموافقة ، واستند بوجنته على قبضته المضمومة ، يراقب الأمر فى اهتمام ، فى حين التفت (خان — حر) إلى (نور) ، وضغط أسنانه ، وهو يقول فى غضب وصرامة :
— سنقاتل أيها الجاسوس .. سنقاتل حتى الموت .
وبإشارة من يده ألقى أحد رجاله خنجرًا إلى (نور) ، واستل هو خنجره ، وأسرع الرجال يحيطونهما فى نصف دائرة ، فى حين قال (خان — حر) فى حدة :
— الخنجر هو وسيلة القتال الوحيدة أيها الجاسوس ، ومن يفقد خنجره أولًا .. يقتل .
ثم انقض على (نور) بغتة ، وهوى بخنجره على موضع القلب فى صدره ..

* * *

قتال على الطريقة الفرعونية ..
قتال يحتاج إلى مرونة ، وشجاعة ، وقوة ، وجرأة ..
وكل من المتصارعين يمتلك كل هذه الصفات ..
لقد هوى خنجر (خان — حر) على صدر (نور) فى قوة وسرعة ، ولكن (نور) تلقاه على نصل خنجره ، ودفعه بعيدًا ، ومال جانبًا فى سرعة ، وقفز عاليًا ، وركل (خان — حر) فى وجهه ركلة قوية ، ألقت هذا الأخير أرضًا ، ولكنه عاد يقف على قدميه فى مرونة ، وانقض على (نور) ..
كان الأمير (خان — حر) قويًا ، شجاعًا ، عنيدًا ، باسلًا ..
ولكن (نور) كان مؤهلًا ..
كان يجيد كل الأساليب القتالية والدفاعية المتطورة ، التى أنجبتها علوم عصره ..
كان الصراع صراعًا زمنيًا ..
وفى مهارة تفادى (نور) انقضاضة (خان — حر) ، ودار على أطراف أصابع قدمه اليمنى كلاعبى باليه ، واندفعت قدمه اليسرى تركل (خان — حر) فى معدته ، وصدره ، وعنقه ووجهه ، بركلات قوية متتابعة ، قبل أن يقفز (نور)

فى الهواء ، ويدور حول نفسه دوْرة رائعة ، ركل خلالها (خان ــ حر) فى جانب وجهه ، فألقى به أرضًا ..

وقبل أن يستعيد (خان ــ حر) توازنه هذه المرَّة ، انتزع (نور) خنجره من قبضته ، ولوَّح به فى سخرية ، وهو يقول :

ــ ماذا كنت تقول عمَّن يفقد خنجره أوَّلًا أيُّها الأمير ؟

هبَّ (خوفــو) من عرشه فى غضب ، وأشار بعصاه الملكية ، وهو يهتف بحرَّاسه :

ــ اقتلوهم .. اقتلوهم جميعًا ..

واندفع الحرَّاس نحو (نور) ورفاقه ، وأسنَّة رماحهم تحمل الموت ..

الموت الأحمر الدموىّ ..

* * *

كانوا اثنى عشر حارسًا ، يحملون السيوف والرماح ..

وقائدهم (خان ــ حر) ..

وأبطالنا الأربعة ..

وتفادى (رمزى) نصل رمح ، ولكم صاحبه بين عينيه ، فألقى به بعيدًا ، وقفز (محمود) مبتعدًا عن نصل آخر ، وصرخت (سلوى) ، وهى تحاول الفرار من ثالث ..

وفجأة حدث ما لم تسجِّله النقوش الفرعونية أبدًا ..

انتزع (نور) مسدَّسه الليزرىّ ، وأطلق أشعته وسط البهو الملكى ، وهو يصيح فى صرامة :

ــ كفَى ..

تسمَّر الجميع مبهورين ، مشدوهين ، مذهولين ، أمام تلك الظاهرة ، التى تفوق أبشع ما راودهم فى كوابيسهم ومخاوفهم ، وهبَّ (خوفو) من عرشه ، وهو يهتف فى ذُعْر :

ــ الرحمة يا (بتاح) !! رحماك أيها الإله العظيم !!

أطلق (نور) أشعة مسدَّسه الليزرىّ على نصْلِ رمح ، وارتجف الجميع حينما ذاب الرمح تحت تأثير الأشعة القاتلة ، وصاح (نور) :

ــ سيحدث هذا لأوَّل من يتحرَّك منكم .

ثم قفز إلى حيث انتصب العرش الملكى ، وأمسك بتلابيب (أمنحتب) ، وجذبه فى عنف إلى دائرة الضوء ، وهو يقول :

ــ اخرج إلى الضوء يا حكيم المملكة .. إننا نتشوَّق لرؤية وجهك .

سقط الضوء على وجه (أمنحتب) ، واستبانت ملامحه للجميع ، فهتفت (سلوى) :

ــ يا إلهى !!

واحتقن وجه (رمزى) وهو يهتف :

ــ ولكنّه .. ولكنّه ..

أكمل (محمود) صائحًا :

ــ ولكنه ليس الدكتور (خالد) .

جذب (نور) (أمنحتب) فى قسوة ، وألصق فوّهة مسدّسه الليزرىّ بصدغه ، وهو يسأله فى صرامة :

ــ مَنْ صاحب النبوءة إذن ؟.. من أخبرك بقدومنا ، وجعلك تحذّر الملك منّا ؟

هتف (أمنحتب) فى ذعر :

ــ إنه الكاهن .. الكاهن الأعظم (هاى ــ مون) .

سأله (نور) فى خشونة :

ــ وكيف علم بقدومنا ؟

ارتجف (أمنحتب) ، وهو يقول :

ــ (هاى ــ مون) يعلم كل شىء .. إنه أعظم كهنة العالم .. إنه هو الذى .. هو الذى وضع تخطيط الـ .. الهرم .. هو الذى يملك وحده ذلك الضوء القاتل ، الذى تملكونه ..

لم يكن الأمر يحتاج إلى كثير من الذكاء ؛ ليدرك الجميع أن

(هاى ــ مون) هذا هو نفسه الدكتور (خالد رضوان) ، الذى يبحثون عنه ؛ لذا فقد سأل (نور) (أمنحتب) فى انفعال :

ــ وأين هو ؟.. أين نجد كاهنكم الأعظم هذا ؟

دوَّى فجأة ، من وسط البهو تمامًا ، صوت صارم ساخر قوىّ ، يقول فى هدوء :

ــ هُنا .. هُنا أيُّها الرائد (نور) .

* * *



٨ ـ الفرار إلى الزمن الآخر ..

كان الصوت يدوّى فى وسط القاعة تمامًا ، ولكن صاحبه ظهر فجأة ، كأنما قد برز من العدم ، فى ركن القاعة البعيد ..

وكان هو ..

كان الدكتور (خالد رضوان) ..

واتسعت عيون حرّاس (خوفو) فى ذعر وذهول ، وتراجعوا فى رعب ..

وهتف الأمير (خان ـ حر) :

ـ يا لـ (ست) !! إله الشر !!

أمّا (خوفو) فقد سقط على عرشه ذاهلًا ، فى حين هتف (أمنحتب) فى صوت مرتجف :

ـ الكاهن (هاى ـ مون) ؟!

وأدار (نور) فوهة مسدّسه الليزرىّ نحو الدكتور (خالد) ، وهو يهتف فى صرامة :

ـ انتهت المطاردة يا رجل المستقبل .

أطلق الدكتور (خالد) ضحكة ساخرة عالية ، وضغط زرًّا صغيرًا فى حزامه ، فاختفى فجأة ، وعاد يظهر فى الركن الآخر من الحجرة ، وهو يقول متهكمًا :

ـ لا تركن إلى سرعتك فى إطلاق أشعتك يا رائد القرن الحادى والعشرين ، فلن تفوق أبدًا سرعة الانتقال الآنىّ لرجل جاء من القرن الخامس والثلاثين .

أدار (نور) فوّهة مسدّسه الليزرىّ نحوه ، وأطلق أشعته ، ولكن الأشعة أصابت الفراغ ، الذى تركه الرجل خلفه ، حينما اختفى فجأة ، وعاد يبرز خلف (نور) تمامًا ، وهو يقول ساخرًا :

ـ أخطأت .

التفت إليه (نور) بأقصى ما يملك من سرعة ، ولكن الرجل اختفى مرّة أخرى ، وتردّد صوته الساخر فى القاعة ، دون أن يبدو له أثر ، وهو يقول :

ـ لا فائدة يا رائد القرن الحادى والعشرين .. لن تنتصر أبدًا .

تلفّت (نور) ورفاقه حولهم فى حَيْرة ، ثم صاح (نور) بـ (محمود) :

ـ ما رأيك ؟

أجابه (محمود) فى انفعال :

ـ الانتقال الآنى عملية حيويّة إشعاعية يا (نور) ، ولا يمكن للجسم المنقول بواسطتها أن ينفذ عبْرَ مادّة صُلْبة .

تألقت عينا (نور) ، وهو يقول :

ـ فهمت ..

ثم صاح فى لهجة آمرة صارمة :

ـ أغلقوا الأبواب والنوافذ .. كلها .. على الفور .

أسرع الحرّاس المذعورون ينفذون الأمر ؛ فى حين ظهر الدكتور (خالد) فجأة فى منتصف القاعة ، وهو يقول فى غضب :

ـ محاولة سخيفة أيها الرائد ، فالانتقال الآنىّ ليس سلاحى الوحيد .

أجابه (نور) فى سخرية :

ـ ولكنك ستفقده على الأقل .. إننى سأدور حول نفسى فى سرعة ، وسأطلق أشعتى فى كل الاتجاهات ، ولن تجد ركنًا واحدًا تختبئ فيه .

انعقد حاجبا الدكتور (خالد) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ أيها الحقير .

ثم رفع راحته المفرودة فجأة فى وجه (نور) ، فتألقت أصابعه ببريق فيروزىّ ، وانطلقت منها كتلة من النيران نحو (نور) ، الذى قفز متفاديًا إيّاها فى سرعة ، وأطلق أشعة مسدّسه الليزرىّ نحو اليد المفرودة ، وسمع الجميع صوت (خالد) وهو يصرخ فى ألم ، قبل أن يختفى من موضعه ، ثم ظهر فجأة خلف رفاق (نور) ، وهو يقول فى وحشية :

ـ لن تنتصر أبدًا أيُّها الرائد .

صاح (نور) برفاقه :

ـ ابتعدوا .

ولدهشة (خالد) ، أطاع (رمزى) و (محمود) و (سلوى) الأمر فى سرعة مذهلة ، وأفسحوا الطريق ما بين (نور) والدكتور (خالد) ، الذى غمرته الدهشة لثانية واحدة ، كانت تكفى (نور) ليطلق نحوه أشعة مسدّسه الليزرىّ ، ويصيب هدفه ..

وسقط نطاق الدكتور (خالد) ، الذى يكفل له القدرة على الانتقال الآنىّ ، واتسعت عيناه فى دهشة وسخط ، وهو يسأل (نور) فى عصبيّة :

ـ لماذا لم تقتلنى ؟



وأفسحوا الطريق ما بين (نور) والدكتور (خالد) ، الذى غمرته الدهشة لثانية واحدة ..

أجابه (نور) فى سخرية :

ــ يروق لى أن أعود بك حيًا .

وابتسمت (سلوى) ، وهى تقول :

ــ يبدو أن مهمتنا قد انتهت بأسرع مما نتصوَّر يا رفاق .

وفجأة ، وبحركة حادَّة سريعة ، قفز (خالـد) نحو (سلوى) ، وأحاط عنقها بساعده الأيسر فى قسْوَة ، وفرد راحته فى وجهها ، فتألَّقت أصابعه بذلك البريق الفيروزىّ ، وصاح (نور) فى جزع :

ــ كلَّا .

أطلق الدكتور (خالد) ضحكة شديدة السخرية والشَّراسة ، وهو يقول :

ــ لقد خسرت معركتك أيها الرائد .. إننى سأقتل زوجتك إذا ما بدرت منك حركة واحدة .

امتلأ وجه (نور) بغضب هادر ، وهو يلوِّح بمسدَّسه الليزرىّ ، قائلًا فى حِدَّة :

ــ حَذارِ أن تمسَّ شعْرة واحدة منها وإلَّا ..

قاطعته ضحكة ساخرة من بين شفتى الدكتور (خالد) ، قبل أن يقول :

— وإلا ماذا أيها الرائد ؟.. إنك عنيد حقًّا ، كما تقول عنك كتب التاريخ .. عنيد إلى درجة الموت .. إنَّ القتال معك يروق لى بالفعل .

وفجأة ظهرت فقاعته الزجاجية فى وسط البهو ، خلفه تمامًا ، وأخذ يتراجع نحو بابها المفتوح ، وهو يجذب (سلوى) معه ، مستطردًا :

— ولكنك أفسدت مهمتى هنا ، إلا أن قتالنا لم ينته بعد .. إننى سأنتظرك فى (روما).. بعد ستة وأربعين قرنًا من الآن .. إلى اللقاء أيها الرائد .. إلى اللقاء .. الحرب بيننا لم تنته بعد .

اندفع (نور) ، و (رمزى) ، و (محمود) نحوه فى آن واحد ، وكل منهم يحاول انتزاع (سلوى) من قبضته ، إلا أنه قفز بها إلى داخل الفقاعة ، التى أغلقت خلفه ، وبدا لهم وكأنه يطلق ضحكة ساخرة ، دون أن يخترق صوتها جدران الفقاعة الزجاجيَّة ، التى اختفت فجأة .. قبل أن يصل إليها أىٌّ من أبطالنا الثلاثة ..

لقد ضاعت (سلوى) ..

ضاعت فى مَجْرَى الزمن ..

* * *

شحُب وجه (نور) ، وامتقع ، وهو يغمغم فى لوعة وذُعر ، وجزع وأسَى :

— ربَّاه !!.. (سلوى) !..

هتف به (رمزى) ، وقد تجاهل وجودهم فى بهو (خوفو) ، وتحت أنظاره وأنظار رجاله :

— لم يفت الوقت بعد يا (نور) .. هيَّا نلحق به .

وصاح (محمود) فى انفعال :

— لقد أصبحت معركتنا معه شخصيَّة .

امتلأت ملامح (نور) بالغضب والحماس ، وصاح فى سخط هائل :

— نعم .. إنها معركة شخصيَّة .

وضغط القرص المستدير الصغير ، فظهرت فقاعتهم الزجاجيَّة وسط القاعة ، وقفزوا إليها ، ثم هتف (محمود) :

— (روما) يا (نور) .. (روما) عام ألف وخمسمائة بعد الميلاد .

ضغط (نور) أزرار القيادة ، وهو يهتف :

— فلينتقل القتال إلى (روما) .

واختفت الفقاعة الزجاجيَّة ، لتبدأ رحلتها عبر الفضاء والزمن ..

وران صمت مخيف رهيب على بهو الملك (خوفو) الملكىّ ..

صمت طويل ، استغرق دقيقتين كاملتين ، قبل أن يغمغم (أمنحتب) فى صوت لم يفارقه الذُهول بعد :

ـــ أى سحر هذا ؟

انتفض (خوفو) ، وكأنما أفاق من ذهوله ، وصاح فى صرامة :

ـــ إنه وهم ياحكيم المملكة .. وهم عشناه جميعًا .

هتف الأمير (خان ـــ حر) فى دهشة :

ـــ وهم ؟!.. ولكننا رأيناهم يامولاى و ....

قاطعه (خوفو) فى حزم غاضب :

ـــ أنا لم أر شيئًا .. هل منكم من رأى مالم يره الملك ؟

أطرق (خان ـــ حر) برأسه ، وهو يغمغم فى خشوع :

ـــ محال يامولاى .. لاأحد يمكنه أن يرى مالم تره عين الملك الأوحد العظيم .

أومأ (خوفو) برأسه موافقا ، ثم قال فى صرامة :

ـــ ولكن لو انتقل ذلك الحدث إلى عامة الشعب ، فسيعنى هذا أن أحد الموجودين هنا قد رأى مالم يره الملك ،

وسيجبرنى هذا على إعدام الجميع ، بلا تمييز أو استثناء .. هل فهمتم ؟

ارتجفوا ، وهم يجيبون فى خضوع :

ـــ فهمنا يامولاى .

تنهّد (خوفو) فى ارتياح ، ثم التفت إلى (أمنحتب) ، يسأله فى هدوء ووقار ، وكأنما مُحِىَ مِنْ ذاكرته كل ماحدث فى الساعة السابقة :

ـــ والآن ياعزيزى (أمنحتب) ، متى يبدأ العمل فى بناء هرم (خوفو) ؟

* * *



٩ — (روما) الفرســـان ..

(روما) .. فى اليوم الأخير من القرن الخامس عشر بعد الميلاد ..

المرح يسود كل ركن بالمدينة العظيمة ، والزينات تملأ كل منازلها وشوارعها ، احتفالًا بأعياد الميلاد ..

صخب هائل فى كل مكان وكل لحظة ..

النساء بثيابهن المزركشة ، والرجال يمتشقون سيوفهم فى فخر وزهو ، والفرسان بدروعهم اللامعة الثقيلة ..

حتى الجياد مزدانة مزركشة ..

ووسط كل هذا الخضمّ من المرح والاحتفالات ، شقَّت عربة أنيقة ، تجرها أربعة جياد فى لون الليل الملبَّد بالغيوم ، جموع المحتفلين ، حتى توقَّفت أمام قصر مهيب ، وهبط منها الدكتور (خالد رضوان) ، بقامته الممشوقة ، وملامحه الوسيمة الصارمة ، وهو يرتدى زيًّا أنيقًا ، بالقياس إلى أزياء ذلك العصر ، واستقبله سيِّد القصر فى ترْحاب ، وهو يهتف فى حرارة :

— ياصديقى (ليوناردو) .. كم يسعدنى قبولك دعوتى !!

ابتسم الدكتور (خالد) ، وهو يقول :

— من ذا الذى يرفض تلبية دعوة صديق كريم مثلك يادون (فيبوناتشى) ؟

ربَّت الرجل على كتفه فى حرارة ، وهو يقول فى مرح :

— يمكنك أن تدعونى (فيبو) فقط ياعزيزى (ليوناردو) كما يدعونى الأصدقاء .

انحنى (خالد) فى توقير ، وهو يغمغم فى خبث :

— هذا كرم بالغ منك يادون (فيبو) .

ابتسم (فيبو) فى ارتياح ، وهتف فى سعادة :

— إن لك شخصية ساحرة ياعزيزى (ليوناردو) .. إننا لم نتعارف إلَّا منذ يومين فحسب ، وعلى الرغم من ذلك أشعر وكأنك أعز أصدقائى .

عاد (خالد) يغمغم فى خبث :

— هذا شرف لى يادون (فيبو) .

ربَّت (فيبو) على كتفه فى مرح ، وهو يقول :

— حسنًا ياعزيزى (ليوناردو) .. اختلط بالمدعوِّين ، وسنلتقى على مائدة العشاء .

اتجه (خالد) إلى حيث يتبادل المدعوون الأحاديث ، وهو يغمغم فى سخرية :

ــ يا للأغبياء !.. إنهم لا يتصوَّرون أننى سأصبح سيِّدهم يومًا ما .

كان يتحدَّث بصوت بالغ الخفوت ، إلَّا أنه فوجئ بصوت ساخر يجيبه :

ــ من العسير أن تؤكِّد ذلك يا دكتور (خالد) .

التفت الدكتور (خالد) فى حركة حادَّة إلى مصدر الصَّوْت ، وضاقت عيناه فى استنكار وغضب ، وهو يحدِّق فى وجه (نور) ، الذى ابتسم فى هدوء وسخرية ، وهو يرتدى زيًّا يناسب العصر والمكان ، وغمغم الدكتور (خالد) فى شراسة :

ــ كيف جئت إلى هنا ؟

هزَّ (نور) كتفيه ، وهو يقول فى هدوء :

ــ تمامًا مثلما جئت أنت يا عزيزى (ليوناردو) .. لقد كنت واثقًا من أنك ستتخذ أحد بلاطين ، حينما تهبط فى (روما) .. البلاط الملكى ، أو بلاط الوزير (فيبو ناتشى) ، فهما أقوى رجلَيْن فى (روما) هذا العصر .. وأنت تسعى

للقوَّة والسَّيْطرة ، وكان من السهل أن أعلم إلى أى بلاط انتميت ، فجئت لألقاك .

زمجر (خالد) ، وهو يقول فى صوت خافت ، محاذرًا أن يصل صوته إلى المدعوِّين :

ــ ماذا تريد منِّى أيُّها الرائد ؟

عقد (نور) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ــ زوجتى أيها الوغد .. ثم أنت .

عربد الغضب فى وجه (خالد) ، ولكنه كتمه فى أعماقه ، وحافظ على هدوء صوته ، وهو يقول :

ــ اسمع أيها الرائد .

قاطعه (نور) فى برود :

ــ اسمى البارون (نوردان) فى هذا العصر أيها الوغد .

عضَّ (خالد) شفتيه فى غضب ، وهو يقول :

ــ حسنًا .. اسمع أيها البارون (نوردان) .. إنك رجل مخابرات علمية ، وتاريخك مجيد حتى النهاية ، وأنت تعلم أنه من العسير أن تنتصر على علم يفوق علمك بأربعة عشر قرنًا ، فلم لا أعطيك زوجتك ، وتعود إلى عصرك ، وتتركنى أواصل خططى هنا ؟



وفجأة انتزع (نور) مسدَّسه الليزرىّ ، وألصق فوَّهته بمعدة (خالد) ، وهو يكرِّر سؤاله فى مزيج من الغضب والصرامة ..

ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، وهو يقول فى صرامة :

— أين (سلوى) ؟

أجابه فى حِدَّة :

— إننى أحتفظ بها رهينة ، حتى أوقف من ابتعادك عن طريقى .

وفجأة انتزع (نور) مسدَّسه الليزرىّ ، وألصق فوَّهته بمعدة (خالد) ، وهو يكرِّر سؤاله فى مزيج مخيف من الغضب والصرامة :

— أين هى ؟.

ابتسم الدكتور (خالد) فى سخرية ، وهو يقول :

— هل ستقتلنى هنا أمام الجميع ؟.. أراهنك أنك لن تفعل ، فلو فعلت فستفقد السبيل الوحيد للعثور على زوجتك .. ستفقدها إلى الأبد .

أجابه (نور) فى صرامة :

— ما قولك لو أخبرتك أننى مستعد للتضحية بكل شىء ، فى سبيل القضاء عليك ؟

أجابه الدكتور (خالد) فى صرامة :

— أقول إنك مخادع .

ثم أمسك مسدَّس (نور) الليزرىَ ، وأبعده عن معدته ، وهو يستطرد فى حزم :

ــ إنك لن تضحِّىَ بزوجتك ، قبل أن تفقد كل أمل فى استعادتها .

وفجأة تألَّقت أصابع الدكتور (خالد) بذلك البريق الفيروزىّ ، وشعر (نور) بمسدَّسه الليــــزرىّ يلتهب فى قبضته ، فتركه بحركة حادَّة ، ورآه يسقط أرضًا ذائبًا ، محترقا ، فى نفس الوقت الذى أطلق فيه (خالد) ضحكة ساخرة ، وهو يقول بصوته الخافت :

ــ هل رأيت كم تبدو لك علوم القرن الخامس والثلاثين كالسحر يافتى ؟.. ها قد انتزعت منك سلاحك المتطوِّر الوحيد يارائد القرن الحادى والعشرين .

اندفعت يد (نور) فجأة ، تنتزع النطاق الذهبىّ ، الذى يحيط به (خالد) خصره ، وألقته أرضًا ، ثم اندفعت قبضة (نور) تهشِّمه تهشيمًا ، وهو يقول فى سخرية مماثلة :

ــ أظن أنك قد فقدت آخر أسلحتك أيضًا ياوغد القرن الخامس والثلاثين .

زمجر (خالد) ، وهو يقول فى غضب هادر :

ــ لن تعلم أين زوجتك أبدًا أيها الرائد .. لقد خسرتها بحماقتك .. خسرتها إلى الأبد .

لم يكد يتم عبارته حتى اقترب منهما دون (فيبو) ، وربَّت على كتف (خالد) فى حرارة ، وهو يقول فى مرح :

ــ أرجو أن يروق لكما الحفل ياصديقىَّ .

ثم استطرد موجهًا حديثه إلى (خالد) وحده :

ــ أمازلت تصرّ على بقاء المرأة المصاحبة لك فى بُرج قلعتى ياعزيزى (ليوناردو) ؟.. إن موقفك هذا يثير فضولى .. أهى زوجة خانتك أم ..؟

قاطعه (خالد) فى غضب :

ــ صه أيها الغبىّ .

أما (نور) فقد تألَّقت عيناه فى ظفر ، وهو يقول :

ــ لماذا ياعزيزى (ليوناردو) .. دع دون (فيبو) يقصّ علينا مالديه ، فقصة تلك المرأة تثير اهتمامى .. أين قلعتك بالضبط يادون (فيبو) .

قبل أن يفوه (فيبو) بحرف واحد استلَّ (خالد) سيفه ، وصاح فى شراسة :

ــ لاتفه بحرف واحد يادون (فيبو) .. إنه جاسوس .. جاسوس .

وهوى بسيفه على رأس (نور) ..

* * *

١٠ ـ المبـارزة ..

كان الصّراع هذه المرّة يواكب عصره تمامًا ..

لقد استلّ (نور) سيفه بدَوْره ، وتلقّى على حافّتِه نصْلَ سيْف (خالد) ، ودارت بين الخصْمَيْن مُبارَزَة ..

مبارزة قويَّة عنيفة ، ارتفع لها صليل السُّيوف ، وسط قاعة قصر (فيبو) ، وهى تتقارع ، وتلتقى ، وتتباعد فى قوَّة وسرعة وإصرار ..

ومع التقائها قال (نور) لخصمه فى صرامة :

ــ ما رأيك بمبارزات القرن السادس عشر أيها الوغد ؟

دفعه (خالد) فى عنف ، وهو يقول :

ــ بل الخامس عشر أيها الغبى .. لن يبدأ القرن السادس عشر قبل منتصف الليل .

صاح (نور) فى حزم :

ــ سيبدأ مع نهايتك أيها الحقير .

وفجأة قفز (نور) إلى الوراء ، ولوَّح بسيفه فى وجه

(خالد) ، ثم ألقاه نحوه ، وقفز خلف السيف ، ولم يكد (خالد) يتفادى نصل السيف ، حتى تلقّت فكه ركلة قويّة من قدم (نور) ، وصرخت معدته مع لكمة ساحقة غاصت فيها ، وعانى أنفه آلامًا مبرِّحة مع لكمة ثانية ، دفعت الدماء خارجه فى غزارة ..

وانتزع (نور) سيف (خالد) ، وألقاه بعيدًا ، وجذب هذا الأخير إليه فى قسوة ، وهو يقول فى غضب :

ــ أين (سلوى) يا (خالد) ؟.. أين هى ؟

استلّ (فيبو) سيفه فى سخط ، وصاح غاضبًا :

ــ إنك تهين ضيفى فى قصرى يا بارون (نوردان) .

صاح (نور) فى حِدَّة :

ــ ضيفك هذا وغد حقير يا دون (فيبو) .. لقد سرق زوجتى .

هتف (خالد) فى سخط :

ــ إنها زوجتى أنا ، وهذا الشاب يسعى لسرقتها .

تجاهل (نور) السَّيف المشهور فى وجهه ، وعاد يجذب (خالد) إليه فى قسوة ، وهو يقول :

ــ أين قلعة (فيبو) ؟

أشار (خالد) إلى (فيبو) ، وهو يقول فى سخرية :

ـــ سله .. ها هو ذا أمامك .

عقد (فيبو) حاجبيه ، ونصب هامته ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ لقد جاءت المرأة إلى قلعتى بصحبة (ليوناردو) ، ولن تغادرها مع سواه .

صاح (نور) فى وجهه غاضبًا :

ـــ سأنتزع زوجتى من قلعتك ، ولو اضطُرِرْتُ تمزيقك إربًا فى طريقى .

قال (فيبو) فى صرامة :

ـــ أتحدَّاك .

وهنا برزت فى رأس (خالد) فكرة شيطانية ، فهبَّ واقفًا ، وهو يقول فى جدِّة :

ـــ أراهنك أنك لن تنجح فى اختراق قلعة دون (فيبو) أبدًا .. أراهنك بمليون ليرة .

عقد (نور) حاجبيه فى غضب ، فى حين تألَّقت عينا (فيبو) ، وهو يقول فى جذل :

ـــ نعم .. نعم .. أراهنك أنا أيضًا بعشرة ملايين ليرة .

تحوَّل الأمر فجأة إلى لعبة ، فقد تدافع الجميع يلقون برهاناتهم ، وقد انحاز أغلبهم إلى (فيبو) و (خالد) ، فى حين لم يراهن لصالح (نور) سوى رجلين ، وصاح (نور) محنقًا :

ـــ إنها ليست لعبة .. إننى أريد استعادة زوجتى .

أجابه (خالد) فى شماتة :

ـــ افعل إذن .. أمامك حتى صباح الغد ، فإما أن تستعيد زوجتك المزعومة هذه ، أو ....

والتفت إلى (فيبو) ، قبل أن يستطرد فى شراسة :

ـــ أو يذبحها صديقى (فيبو) .

تألَّقت عينا (فيبو) ، وهتف فى شغف :

ـــ نعم .. أنقذ زوجتك قبل أن تملأ أشعة الشمس حجرات قصرى ، أو أهب لك جثتها من قطعتين .. جسم ورأس .. والمبارزة تبدأ منذ هذه اللحظة .

* * *

سار (نور) طويلًا وسط طريق مزدحم بالمحتفلين بعيد الميلاد ، ثم انحرف فجأة فى طريق جانبى ، وتوقَّف أمام مخزن غلال ضخم ، فقرع بابه ، وانتظر لحظات حتى فُتح الباب فى هدوء ، فدلف إلى الداخل . وأغلقه خلفه فى إحكام واستقبله (محمود) هاتفًا :

— هل توصَّلت إلى مكان (سلوى) ؟

أجابه (نور) فى صوت يشفّ عن انفعاله :

— نعم .. إنها فى قلعة (فيبوناتشى) ، خارج المدينة ، وسيحتاج إخراجها من هناك إلى معركة .

غمغم (رمزى) :

— لقد كنا نتوقَّع ذلك يا (نور) .

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال فى حزم :

— نعم .. كنا نتوقَّع ذلك .

ثم التفت إلى الأجسام الضخمة ، التى تحتلُّ المخزن ، وهو يستطرد فى اهتمام بالغ :

— هل انتهيتما من عملكما ؟

أجابه (محمود) :

— تقريبًا .. لقد استعنّا بدراساتنا عن المحرِّكات القديمة ، ولقد أبدى النجّار والحدّاد دهشتهما البالغة ، حينما عرضنا عليهما الرسوم التى نطلب منهما صنعها ، ولكننا أقنعناهما بأنها لعبة لخدعة هزليَّة ، بمناسبة أعياد الميلاد .

سأله (نور) بقلق :

— وهل ستعمل كلُّها ؟

أجابه (رمزى) فى توتُّر :

— أتمنَّى ذلك .

تنهَّد (نور) ، قبل أن يقول فى انفعال واضح :

— سنبذل أقصى جهدنا لتعمل تلك الأجهزة يا رفاق ، وإلّا خسرنا (سلوى) ، وخسرنا معركتنا ضد عدوّنا عبْر العُصور ..

* * *

تلوَّن الشفق بأضواء الفجر الأولى ، وملأت تلك الصورة الطبيعية الخلّابة عينى رجل أصلع الرأس ، كثّ اللحية والشارب ، غزيرهما ، أشيبهما ، انهمك فى نقل المشهد بألوان زيتية إلى لوحته فى براعة مدهشة ، وكأنما يمتلك عينين فوتوجرافيتين ، ولمسة فنية ساحرة ، غير شاعر بذلك الكهل الوقور ، الذى دَلَف إلى حجرته ، وتأمَّل مايصنعه بلوحته لحظات ، قبل أن يغمغم فى انبهار :

— يالروعتها يا (دافنشى) !! إنك تضيف إلى أمجادك مجدًا جديدًا .

غمغم (ليوناردو دافنشى) .. أعظم عباقرة العصر (*) :

(*) (ليوناردو دافنشى) = (١٤٥٢ — ١٥١٥م) = أعظم عباقرة العصر بلا منازع ، فهو رسام ، ومثّال ، وموسيقىّ ، ومهندس ، وعالم ، وحكيم ، وله تصميمات رائعة ، تسبق عصره بأجيال ، منها الهليوكوبتر ، والمظلة الواقية ، والمدفع الرشاش ، وغيرها ..

— المجد للربِّ وخُذه يا عزيزى.(بياندى) .
صمت (بياندى) لحظة أخرى ، قبل أن يسأله فى شغف :
— هل تعلم ماذا يحدث فى قلعة (فيبوناتشى) ؟
هزَّ (دافنشى) رأسه نفيًا فى صمت ، فاستطرد (بياندى) فى اهتمام :
— لقد عاد إليها ، بدلًا من أن يقضى عيد الميلاد فى (روما) كعادته ، ولقد أعلن حالة التأهب القُصْوَى ، ويقولون إنه ينتظر هجوم شاب غريب على قلعته .
عقد (دافنشى) حاجبيه الكثَّين ، وهو يغمغم :
— هجوم ؟؟!.. هل أُعْلِنَت الحرب ؟
قال (بياندى) فى شغف :
— بل إنه رِهَان .. لقد تحدَّى (فيبوناتشى) ذلك الشاب أن يقتحم قلعته و ....
وفجأة تسمَّر (بياندى) ، وتصلَّبت ريشة (دافنشى) بين أصابعه ، فأمامهما ، عبر مشهد الشروق ، ووسط ألوان الشفق ، عبر السماء طائر ضخم ..
بل طائرة صنعها (نور) ورفاقه ليجابهوا عدوَّهم .. عدوّهم عبْرَ العصور ..

* * *



وتصلَّبت ريشة (دافنشى) بين أصابعه ، فأمامهما ، عبر مشهد الشروق ، ووسط ألوان الشفق ، عبر السماء طائر ضخم ..

١١ ـ قلعة الخطر ..

لم يكن ذهول (فيوناتشى) ورجاله بأقلّ من ذهول (دافنشى) و (بياندى) ، فقد كانوا ينتظرون هجومًا بالمدافع ، أو بفرسان على صهوة جياد ، أما هجوم جوّىّ ، فقد كان ذلك يفوق كل خيالاتهم وتوقّعاتهم ..

شخص واحد لم يشعر بالدهشة ، وإنما بالغضب ..

الدكتور (خالد رضوان) ..

لقد كان واثقًا من أنه ـ وبعد أن جرّد (نور) من مسدّسه الليزرىّ ـ قد بات يقاتل رجالًا فقدوا كل أسلحة عصرهم ، وأصبحت هزيمتهم أمرًا هيّنًا ، أما أن يشحذوا قريحتهم ، ليخرجوا إليه بأسلحة ، تعدّ بالنسبة لعصره وعصرهم بدائية قديمة ، أمّا بالنسبة لهذا العصر ، فهى وحش خرافىّ خطير ..

طائرة من الخشب ، بمحرّك معدنى بدائىّ ، ومدفع رشاش بسيط للغاية ، ولكنه أثار قدرًا هائلًا من الذعر والفزع ،

وشتّت الصفوف ، حينما أمطر رجال (فيو) بوابل من رصاصات معدنية يدويّة الصُّنع ..

وتراجع (فيو) ورجاله فى رعب ، وبدت لهم تلك الطائرة ، التى يقودها (رمزى) أشبه بطائر الرخ الخرافىّ ، الذى لا يُبقى ، ولا يَذر ، وصرخ (فيو) :

ـ إنه كابوس .. كابوس بشع .

صرخ به (خالد) فى عصبية :

ـ لا تجعل كتلة من الخشب والحديد تفزعك إلى هذا الحدّ .. أطلقوا عليهم الصخور من المنجنيق (*) .

صاح (فيو) برجاله يأمرهم باستخدام المنجنيق ، ولكن رصاصات طائرة (رمزى) أحاطت بهم ، ومنعتهم من تنفيذ الأمر ، فى نفس اللحظة التى صاح فيها أحدهم فى ذعر :

ـ هناك شىء ما يهاجمنا من الأرض .

وشهق الجميع فى ذُعْر وعَجْز ، فقد كانت هناك سيّارة مدرّعة ، لها جدران من جُذوع الأشجار القوية تهاجم باب

(*) المنجنيق = آلة حربيّة بدائية قديمة ، تعتمد على ملعقة ضخمة ، تحشى بالحجارة ، ثم تلقى الحجارة عن طريق دفع الملعقة الضخمة ، لتصيب الأعداء والأهداف .

القلعة ، وتمطره بقذائف متفجِّرة ، أحالت الموقف إلى حرب مخيفة مدمِّرة ..

سيارة يقودها (محمود) ..

وساد الهرج والمرج فى القلعة ، وراح رجال (فيبو) يمطرون الطائرة والسيَّارة بسهامهم ورماحهم ، ويحاولون تصويب قنابل مدافعهم الثقيلة نحوهما ، ولكن ذعرهم وتوترهم جعلهم يفشلون فى إصابة الهدفين تمامًا ..

وعلى بعد أمتار عديدة من تلك الحرب المستعرة ، اجتاح الانفعال جسد (دافنشى) ونفسه ، وهو يصيح بـ(بياندى) :

ــ إنها معجزة يا (بياندى) .. معجزة هبطت من السماء ، لتحطِّم (فيوناتشى) بكل غروره وغطرسته واستهتاره .. ناولنى الأوراق والأقلام .. أسرع .

أسرع (بياندى) يجلب إليه الأوراق والأقلام ، وراح قلم (ليوناردو دافنشى) ، عبقرىّ كل العصور ، يسجِّل ما تراه عيناه فى جزل وانبهار ، وهو يهتف فى انفعال :

ــ إنها معجزة .. حقًّا معجزة ..

أما (خالد رضوان) ، فقد بلغ سخطه ذروته ، وهو يصرخ :

ــ لن ينتصر علىَّ هذا الرائد .. لن ينتصر أبدًا .

وجذب (فيبو) من ذراعه فى قسوة ، وهو يهتف :

ــ أين الفتاة ؟

صاح (فيبو) فى اضطراب :

ــ هناك .. فى الحجرة المنفردة ، فى برج القلعة العلوىّ .

انطلق (خالد) يعدو نحو البرج العلوىّ ، وهو يغمغم فى سخط :

ــ لو أصرَّ على الحصول عليها ، فلن ينالها سوى جثة هامدة .

واستلَّ سيفه فى غضب ، ولكنه تسمَّر فى مكانه فجأة ، حينما صكَّ مسامعه هدير قوىّ ، وبرزت من خلف البرج العلوىّ للقلعة طائرة بدائية للغاية ، نعرف الطرازات المتطوِّرة لها الآن باسم (الهليوكوبتر) ..

لقد وصل (نور) ؛ لإنقاذ زوجته ..

* * *

رأت (سلوى) من سجنها ما يحدث ، وشعرت به ، وأيقنت منذ اللحظة الأولى أن هذه الحرب تشنّ من أجلها ، فاجتاحها الانفعال ، وابتهلت إلى الله (عزّ وجلّ) ألاّ يخذل زوجها ورفيقَيْها ..

ولم تكد تسمع هدير (الهليوكوبتر) الخشبية ، وتراها وهى تحلق فوقها ، حتى أدركت على الفور أن قائدها هو زوجها (نور) ، فاختلج قلبها فى سعادة ، وصاحت فى أمل :

ـ أسرع يا (نور) .. أسرع .

ولكنها رأت (خالد) يركض نحو البُرْج ، وقدّرت أنه سينجح فى الوصول إليها ، قبل أن يهبط (نور) (بالهليوكوبتر) ، ويصل إليها ، فعادت تصرخ فى ذعر :

ـ أسرع بالله عليك يا (نور) .. أسرع ..

(خالد رضوان) أيضًا قدّر نفس ما قدّرته (سلوى) ؛ لذا فقد شعر بسخط هائل ، يفوق ما شعرت به (سلوى) من فرحة ، حينما أقدم (نور) على خطوة لم تكن فى الحسبان ..

لقد قفز من (الهليوكوبتر) بمظلة بدائية الصنع ، وهبط بها نحو جدار البرج فى سرعة ..

وصرخ (خالد) فى غضب وثورة :

ـ اللعنة !!

ولعن (نور) ألف مرّة ؛ لأنه حطّم جهاز الانتقال الآنىّ الخاصّ به ، الذى كان سيكفل له الوصول إلى (سلوى) فى لحظة .. بل أقلّ من اللحظة ، وزاد من سرعة عَدْوه ليبلغ

زنزانة (سلوى) ، قبل أن يبلغها (نور) ، الذى تعلّق بنافذة البرج العلوية وتخلّص من مظلته البدائية ، وقفز داخل البرج ..

وهبّ حارسا الزنزانة لملاقاته ، بسيفيهما ورمحيهما ، ولكن قدرات (نور) القتالية المتطوّرة ، التى تمرّس عليها فى القرن الحادى والعشرين ، ورغبته الشديدة فى إنقاذ زوجته ، جعلاه يتجاهل تلك الأسلحة ، ويتفادى أسنّة الرّماح ، ونصال السُّيوف ، ويدفع قدمه فى معدة أحد الحارسَيْن ، ثم يكيل للثانى ثلاث لكمات قويّة ساحقة ، قبل أن يستدير إلى الأوّل ، ويحطم فكّه وأنفه بلكمتَيْن صاعقتَيْن ..

وبسرعة ، وبدون أن يضيع لحظة واحدة ، التقط مفاتيح الزنزانة ، وأسرع يحرّر زوجته ، التى لم تكد تراه حتى ألقت نفسها بين ذراعيه ، وهى تهتف فى سعادة دفعت الدموع من عينيها :

ـ (نور) .. كنت أعلم أنك لن تتركنى هنا .. كنت أعلم ذلك .

هتف بها (نور) ، وهو يضمُّها إلى صدره فى فرح وحنان :

ـ لا يمكننى أن أتركك أبدًا يا (سلوى) .. أبدًا .. سنخرج من هنا .. سننجو جميعًا بإذن الله .

أعقب كلمته بصوت ساخط غاضب يصيح :

ـ على جثتى .

التـفت (نور) إلى مصدر الصوت فى حركة حادَّة ، واستلّ سيْفه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ فليكن أيُّها الوغد .. سنغادر هذا المكان على جثتك .

ومرَّة أخرى تقارعت السُّيوف ، مع مشرق شمس القرن السادس عشر بعد الميلاد ..

* * *

من العسير أن يكتمل إنجاز حضارىّ متطوِّر . بإمكانات بالغة البدائية ..

لقد نفدت ذخيرة (رمزى) ، ونفد وقوده ، دون أن يدرى ؛ لأن طائرته البدائيَّة لم تكن مزوَّدة بعدادات تسمح له بكشف ذلك أو توقعه ؛ لذا لم يعد أمامه سوى الهبوط بالطائرة ، وكأنها طائرة شراعيَّة بلا محرِّك ، وهو يدعو الله أن يكون (نور) قد نجح فى مهمته ..

وهبط بطائرته على مَقْرَبَة من سيَّارة (محمود) المدرَّعة ، التى نفد وقودها ، ونفدت ذخيرتها بدوْرها ، وقفز خارج الطائرة ، ليلحق بسيَّارة (محمود) ، وهو يهتف فى قلق :

ـ يبدو أن حربنا قد انتهت هنا يا صديقى .

أيَّد (محمود) قوله بوجه شاحب ، وهو يغمغم :

ـ نعم يا صديقى .. يبدو أننا قد خسرنا المعركة .

ومن فوق أسوار قصره أدرك (فيبو) أن خصومه قد فقدوا مصدر قوّتهم ، فأعاد إليه هذا الأمل والحماس ، وهتف فى رجاله :

ـ اهجموا يا رجال .. أريدهم أحياء .. وأريد ذلك الذى هبط على البرج العلوىّ قبل الجميع .

اندفع رجاله يقتحمون بوَّابة القلعة ، ويكرّون على (محمود) و (رمزى) ، وأسرع جزء منهم إلى حيث زنزانة (سلوى) ، وحدَّد القدر المصير ..

لقد فشل الهجوم ..

* * *

كان (نور) و (خالد) يتقاتلان فى شراسة فى أعلى البرج ، وقد قرَّر كل منهما هزيمة خصمه ، مهما تكلَّف الأمر ، وصاح (خالد) ، وهو يهوى بسيْفه على سيف (نور) :

ـ استسلم يا رائد القرن العشرين .. لن يمكـنك هزيمتى .. إن النصر لى ، مهما تعقَّدت الأمور .

صاح به (نور) فى حِدَّة ، وهو يضرب سيفه فى قوَّة :

ـ سأسحق عبارتك السخيفة يا وغد القرن الخامس والثلاثين .. على جثتى .

حَمِىَ وَطِيسُ القتال ، وغطَّى صليل السيوف على صوت الأقدام الثقيلة ، التى تصعد البرج ، حتى ألفى (نور) و (سلوى) و (خالد) أنفسهم فجأة محاطين برجال (فيبو) ، وسمعوا صوت قائدهم يصيح فى صرامة :

ـ ألقوا السُّيوف .. لقد انتهت المعركة .

شعر (نور) بلهيب السخط والغضب فى أعماقه ، إلَّا أنه لم يملك أمام كل هذه الرماح والسُّيوف ، المصوَّبة إلى صدره ، سوى أن يُلقِىَ سيْفه ، وهو يقول غاضبًا :

ـ أين سيِّدكم ؟

صاح (خالد) فى ظَفَر وشماتة :

ـ سينعم برؤية عنقك المقطوع أيها الرائد .

وبكل نذالة وخِسَّة ، هوى بسيفه على عنق (نور) .. الأعزل ..

* * *

١٢ ـ كلمة شرف ..

سار (رمزى) و (محمود) أمام جنود (فيبو) فى استسلام ، وغمغم (محمود) فى سخط ، وهم يدلفون إلى بهو القلعة ، حيث يجلس (فيبو) شامخًا منتصرًا :

ـ تُرى كم سيبلغ زهو هذا الرجل ، لو علم أنه قد انتصر على رجال جاءوا من مستقبله ؟

غمغم (رمزى) فى حَنَق :

ـ لا فارق يا (محمود) .. إنه سيجزّ عنقينا فى الحالتين .

وقف الاثنان أمام (فيبوناتشى) ، الذى عقد كفيه أمام وجهه ، وهو يتأمَّلهما فى اهتمام وصمت ، ثم غمغم فى هدوء :

ـ تهنئاتى .. لقد كنتما رائِعَيْن .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يستطرد :

ـ ولكنكما هُزمتما .

سأله (رمزى) فى عصبية :

ـ ما الذى تنوى أن تفعله بنا يا (فيبوناتشى) ؟

غمغم (فيبو) ، وكأنه يكرّر العبارة ذاتها :

ــ ما الذى تنوى أن تفعله بهما يا (فيبوناتشى) ؟

ثم انحنى نحو (رمزى) و (محمود) ، وابتسم وهو يستطرد فى شماتة :

ــ سأقطع عنقيكما بالطبع .. بل أعناقكم جميعًا .. هل يرضيك هذا الجواب ؟

لم يفه أيهما بحرف واحد ، فى حين سرت فى جسديهما قشعريرة قوية ، وتبادلا نظرة يائسة ، ودار بخلد كل منهما نفس السؤال :

ــ أين (نور) و (سلوى) ؟.. وما الذى أصابهما ؟

* * *

كان من المستحيل أن يتفادى (نور) نصل السيف القاتل هذه المرّة ..

ليس لأن مرونته لا تكفى لذلك ، ولا لأن الخوف قد أعجزه ..

وإنما لأن زوجته (سلوى) كانت تقف خلفه تمامًا ..

لو أنه تفادى هبوط السيف على عنقه ، لجزّ نصله عنق (سلوى) ..

وهو يرفض لها هذا المصير ..

وفجأة تدخل القدر ليحول بينه وبينها .. وبين ذلك المصير ..

تدخّل فى صورة سيف قائد الحرس ، الذى اندفع ليصد سيف (خالد) ، قبل أن يمسّ عنق (نور) ، مع صوت القائد ، وهو يهتف فى صرامة :

ــ رويدك يا دون (ليوناردو) .. لقد أمر دون (فيبوناتشى) بإحضارهما حيّين .

صرخ (خالد) فى غضب وسخط :

ــ ولكننى آمرك بقتلهما .

أجابه القائد فى برود :

ــ إننى أعمل وأتلقّى الأوامر من دون (فيبوناتشى) وحده يا دون (ليوناردو) .

ثم انتزع سيف (خالد) فى حركة حادّة ، وهو يستطرد فى صرامة :

ــ وهو وحده سيحدّد مصير الجميع .

* * *

أطلق (فيبوناتشى) ضحكة عالية ، تموج بالسخرية

والشماتة ، وهو يتطلَّع إلى وجوه (نور) ورفاقه ، ثم عاد يعقد كفيه أمام وجهه ، وهو يقول :

ـ إننى أتساءل .. هل ستبدو رءوسكم المحنَّطة جميلة ، حينما أضيفها إلى مجموعتى من رءوس حيوانات الصيد ؟

ارتجفت (سلوى) ، وامتقع وجهها فى شدة ، وهى تتخيَّل رأسها محنَّطًا ، ومعلَّقًا وسط إطـــار من الخشب الأسود ، على حائط مكتب (فيبو) ، وسرت رعدة قويَّة فى جسدَىْ (رمزى) و (محمود) ، فى حين ظلّ صوت (نور) ثابتًا ، قويًّا ، وهو يقول :

ـ أنت رجل لا شرف له يا دون (فيوناتشى) .

عقد (فيبو) حاجبيه ، وهو يقول فى غضب :

ـ هل تتعجَّل موتك أيها الحقير ؟

صاح به (نور) فى صرامة :

ـ إننى أرحِّب بالموت شريفًا ، بدلًا من أن أحيا فاقد الشرف مثلك يا (فيبو) .

هبّ (فيبو) من مقعده ، وهو يصرخ فى غضب :

ـ أيها الوقح المتبجح .

صاح به (نور) :

ـ من منّا الوقح المتبجّح يا (فيبو) .. لقد راهنت على أن أقتحم قلعتك ، وأصل إلى زوجتى ، قبل أن يغمر الضوء حجرات قلعتك ، ولقد فعلت ، ولكنك ترفض الاعتراف بذلك ، حتى لا تدفع دينك لمن راهنا لصالحى .. هل تعدّ ذلك شرفًا ؟

امتقع وجه (فيبو) ، وقبل أن يلفظ بحرف واحد ، ارتفع صوت غاضب يقول :

ـ هذا صحيح .. البارون (نوردان) على حقّ .

وبرز من بين الصفوف رجل وقور ، رفع راحته فى وجه (فيبو) ، وهو يستطرد فى غضب وصرامة :

ـ لقد كان هذا هو الرهان ، كما فهمناه جميعًا .. إنك لم تشترط هزيمته لك ، ولكن نجاحه فى الوصول إلى زوجته فحسب . ولقد راهنت أنا .. القاضى (ريشيلُو) . وزميلى القاضى (ماستورى) على ذلك .. ونحن نستحق قيمة الرِّهان .

غمغم (فيبو) فى شحوب :

ـ ولكنه لم ينجح تمامًا أيها القاضى المحترم و ....

قاطعه (ريشيلُو) فى صرامة :

ــ ألم يخترق خطوطك الدفاعية ؟.. ألم يصل إلى زوجته ؟

اندفع (ماسترورى) يقول غاضبًا :

ــ ثم إنها زوجته ، وقواعد الشرف تقتضى أن يسترجعها ، مادام قد ربح .

انتاب الجزع (خالد) ، وخشى أن يفلت (نور) ورفاقه من الموت ، الذى ينتظره لهم ، فهبّ واقفا ، وهو يصرخ فى ثورة :

ــ إنهم خونة .. جواسيس .. ينبغى قتلهم .. أراهن أنهم لا يحملون أية أوراق شخصيَّة .

قال (نور) فى سخرية :

ــ وماذا عنك أنت ؟.. هل تنكر أنك قد أتيت إلى هنا سعيًا وراء السيطرة على (إيطاليا) كلها ، والعالم من بعدها ؟

هتف (خالد) فى سخط :

ــ هُرَاء .

عاد (نور) يقول فى سخرية :

ــ هل تحمل أوراقًا شخصيَّة مثلًا ؟

هتف (خالد) :

ــ بالطبع .

وأخرج من طيَّات ثيابه ورقة مطويَّة ، لوَّح بها ، وهو يقول :

ــ ها هى ذى أوراق .

تقدَّم منه (نور) فى هدوء ، والتقط الورقة ، وتأمَّلها لحظة ، ثم ابتسم فى سخرية ، قبل أن يقول فى هدوء :

ــ أوراق زائفة يا دون (ليوناردو) .. إننى أتهمك بأنك جاسوس للبلاط الإنجليزى .

اتسعت عيون الجميع فى دهشة ، وقال القاضى (ريشيلُو) فى صرامة :

ــ إنك تلقى إتهامًا شديد الخطورة أيها البارون (نوردان) .. إن عقوبة التجسّس لحساب البلاط الإنجليزى هى الإعدام ، وعليك أن تثبت صحة اتهامك .

رفع (نور) ورقة (خالد) ، وهو يقول فى سخرية :

ــ هاك الدليل أيها القاضى المحترم .. تلك الأوراق ، التى أراد أن يثبت بها صحة ادِّعائه ، هى التى ستدينه .

صاح (خالد) فى غضب :

ــ أنت كاذب .. كل التوقيعات والأختام سليمة .

لم يكن لدى (نور) أدنى شك فى صحة التوقيعات

والأختام ، فقد كان يعلم أنه من السهل على (خالد) أن يحصل عليها من أى متحف تاريخى ، وينقلها بوسائل القرن الخامس والثلاثين المتطوِّرة على الأوراق ، إلّا أنه لوَّح بالورقة ، وهو يقول فى هدوء ساخر :

ــ وماذا عن الورق نفسه يا دون (ليوناردو) ؟.. أراهنك أنك لن تجد مثيلًا له فى (إيطاليا) كلها .

ثم أردف باللغة العربية ، وبنفس اللهجة الساخرة الهادئة :

ــ لأن هذا النوع من الورق لم يُخترع قبل القرن التاسع عشر يا وغد القرن الخامس والثلاثين .

شحب وجه (خالد) ، واختطف القاضى (ريشيلُو) الورقة من يد (نور) ، وتحسَّسها فى دهشة ، قبل أن يهتف :

ــ هذا صحيح .. إنه ورق عجيب .. لا ريب أنهم يستعملونه فى البلاط الإنجليزى .

همس (رمزى) فى أذن (نور) بإعجاب :

ــ لعبة بارعة يا (نور) .

ابتسم (نور) ، وهو يهمس فى هدوء :

ــ شكرًا يا عزيزى (رمزى) .

أما القاضى (ريشيلُو) ، فقد التفت إلى (خالد) ، يسأله فى مزيج من الغضب والصرامة :

ــ ما قولك يا جاسوس البلاط الإنجليزى ؟

امتقع وجه (خالد) فى شدة ، ثم هتف فجأة فى سخط :

ــ هُراء .

وتقدَّم نحو منتصف القاعة ، وهو يستطرد فى غضب ، ملوِّحًا بذراعيه :

ــ إنهم يلجئون للخداع .. لا تجعلوا خدعتهم تنطلى عليكم .. إنهم ..

وفجأة بتر عبارته ، ليضغط قرصًا صغيرًا مستديرًا فى راحته ، ويصرخ غاضبًا :

ــ إنهم من المستقبل أيها الأغبياء .

وفى جزء من أعشار الثانية ، ظهرت الفقاعة الزجاجيَّة الضخمة وسط القاعة ، وتراجع الجميع فى ذعر وذهول ، وهتف (نور) فى سخط :

ــ يا إلهى !!.. الحقوا به قبل أن يفرّ .

ولكن (خالد) قفز داخل الفقاعة ، وأطلق ضحكة ساخرة ، قبل أن يهتف :

ــ فشلتم هذه المرَّة أيضًا يا رجال القرن الحادى

والعشرين .. ستكون لنا جولة أخرى ، بين رعاة الأبقار الأمريكيين .. سنلتقى ونتقاتل بالمسدَّسات والبنادق هذه المرَّة .

وردَّدت جدران القاعة ضحكته الساخرة الثانية ، وقفز (نور) محاولاً اللحاق به ، ولكن الفقاعة اختفت وتلاشت ، قبل أن يمسّها (نور) ، وبقى صوت ضحكة (خالد) الساخرة عبر القاعة ..

وعبر العُصور ..

* * *



١٣ ــ عَبْر العُصـور .

انحنى (باندى) يفحُص بقايا الطائرة (الهليوكوبتر) المحطَّمة ، والتفت إلى (ليوناردو دافنشى) ، الذى انهمك فى فحص تصميم الطائرة الأخرى ، وقال فى انبهار :

ــ هل علمت ما حدث صباح اليوم فى قلعة (فيبوناتشى) يا (دافنشى) ؟.. يقولون إن أحد ضيوفه كان ساحرًا خطيرًا ، وإنه قد أحضر فقاعة زجاجية ضخمة إلى القاعة ، ودَلَف إليها ، واختفى أمام أنظار الجميع .

غمغم (دافنشى) فى هدوء :

ــ هل تصدِّق هذه الخُزَعْبلات ؟

هتف (باندى) فى حماس :

ــ وماذا عن تلك الآلات الرائعــة ؟.. هل تعتبرهــا خُزَعْبَلات أيضًا ؟

تحسَّس (دافنشى) جسم الطائرة فى انبهار ، وهو يغمغم :

ــ بل واقع يا عزيزى (باندى) .. واقع ملموس .

هتف (بياندى) :

ـ ما هى إذن ؟

أجابه (دافنشى) مشدوهًا :

ـ اختراعات حديثة يا صديقى .. اختراعات ستقفز بالعلم والتطوُّر إلى القمة .

سأله (بياندى) فى شغف :

ـ هل يمكنك صنع مثلها ؟

تنهَّد (دافنشى) ، وهو يقول :

ـ امنحنى وقتًا أطول للدراسة ، وسأصنع عشرات مثلها يا صديقى .. إنها مجرَّد ..

قاطعه صوت خشن صارم :

ـ لن تحصل على دقيقة واحدة إضافية يا سيِّد (دافنشى) .

التفت (دافنشى) ليرى جنود (فيو) ، وهم يتقدَّمون نحو بقايا الآلات ، فهتف بقائدهم مستنكرًا :

ـ ماذا تعنى ؟.. إنها أسلحة رائعة ، ستضمن لـ(إيطاليا) كلها تفوُّقًا حربيًا مذهلًا و....

قاطعه القائد بصوته الخشن الصارم :

ـ هُراء .. إنها أدوات سحر أسود ، وسنعدمها الآن .. هكذا أمر دون (فيو) .

صاح (دافنشى) فى استنكار :

ـ أى تخلُّف هذا ؟.. كيف تعدمون هذه الآليات الرائعة ، بحجة أنها .. ؟

قاطعه القائد مرَّة أخرى فى صرامة :

ـ سنعدمها هكذا .

وأشعل النار مع رجاله فى البقايا الخشبية ، ووقف (دافنشى) يراقب النيران ، وهى تلتهم الآليَّات يائسًا ، وغمغم (بياندى) فى أسف وحزن :

ـ لم يمهلنا القدر حتى يتحقَّق الحلم يا صديقى (دافنشى) .

تمتم (دافنشى) فى حزم :

ـ ولكننا نقلنا صورها إلى الأوراق يا صديقى .. ويومًا ما سيتحقَّق الحلم .. ومن يدرى ؟

ربَّما كانت رسومى هى البداية ..

ولقد كان على حق ..

كما يؤكِّد التاريخ ..

* * *

تطلّع (فيوناتشى) وضيوفه فى دهشة إلى الثياب العجيبة ، أو التى بدت لهم كذلك ، التى ارتداها (نور) ورفاقه ، فلقد أبدل كل منهم ثوبه ، الذى يتلاءم مع (روما) القرن السادس عشر ، وارتدى سروالًا أزرق اللون ، من قماش سميك ، وقميص من الكتان الملوَّن بخطوط طولية وعرضية ، ووضع على رأسه قبعة غير مألوفة فى ذلك العصر ، ذات حواف عريضة ، وتمنطق بحزام جلدىّ ، يحمل قطعًا معدنية مدبَّبة الأطراف ، ويتدلّى من جانبه الأيمن جراب سميك ، يحوى مسدَّسًا عجيب الشكل ، واحتذى حذاءً ذا كعب مرتفع ، يبرز من خلفه مهماز مستدير ..

حتى (سلوى) كانت ترتدى الزىّ نفسه ، وهى تُسْدِلُ شعْرها على جانبى وجهها ، أسفل القبعة ..

وهتف القاضى (ريشيلُو) فى حيْرة :

— ماهذا الزىُّ يا أبنائى ؟.. إننى لم أر مثيلًا له أبدًا !!.

تنهَّد (رمزى) ، وهو يقول :

— إنه يناسب المكان الذى سنذهب إليه ، خلف ذلك الوغد ياسيِّدى .

غمغم القاضى (ماستورى) فى حيْرة :

— أى مكان هذا ؟

أجابه (نور) :

— أرض جديدة بالنسبة لعصركم .. أعنى لوطنكم أيها القاضى المحترم .. زمن كان القول الفاصل فيه للقوة ، وصوت الرصاص ، وليس للحكمة والعقل .

غمغم (فيبو) فى دهشة :

— كان ؟!.. هل تعنى أن هذا كان فى الماضى ؟

تبادل (نور) ورفاقه النظرات ، ثم أجاب (نور) فى هدوء :

— وماذا يعنى الماضى والمستقبل يا دون (فيبو) ؟.. إن ماضينا قد يكون مستقبلكم ، وماضيكم قد يكون مستقبل الآخرين .. إن الزمن ياسيِّدى هو خيط واحد ، نتحرَّك نحن فيه إلى الأمام ، ولكنه باق .. باق يا دون (فيبو) .

حاول (فيبو) وضيوفه استيعاب ذلك المنطق ، إلَّا أنهم فشلوا ، فغمغم القاضى (ريشيلُو) :

— وكيف ستذهبون إلى تلك الأرض ؟.. هل تحتاجون إلى جياد أو عربات أو .... ؟

قاطعه (محمود) فى هدوء :

ـ شكرًا يا سيّدى .. سنذهب بالوسيلة ذاتها ، التى ذهب بها ذلك الوغد .

هتف (فيبو) فى دهشة :

ـ ماذا ؟

قفزت دهشته ودهشة ضيوفه إلى ذروتها ، حينما ضغط (نور) ذلك القرص المستدير ، الذى يحمله ، فظهرت الفقاعة الزجاجية فجأة وسط القاعة ، وصاح القاضى (ماستورى) فى ذعر وذهول :

ـ يا رب السمٰوات ؟!

التفت (نور) إلى الجميع ، وهو يقول :

ـ وداعًا أيها الأصدقاء .. وداعًا .

وفى صمت تام ، وسكون مطبق ، خطا (نور) ورفاقه داخل الفقّاعة الزجاجية ، ولوّحوا بأيديهم للجميع ، قبل أن يضغط (نور) أزرار القيادة ، فتختفى الفُقّاعة بركّابها وتترك الصمت خلفها ..

وفجأة هتف (فيبو) :

ـ ماذا يحدث هنا ؟

لم يُحِرْ أىٌّ من الحاضرين جوابًا لدقيقتين كاملتين ، ثم قال القاضى (ريشيلو) فى صرامة

ـ حلم .. مجرّد حلم .. إننى لا أحبّ أن يسخر أحد من قولى ، وما رأيناه ليس سوى حلم .

كانت لهجته شديدة الصرامة ، حتى أنهم قد عادوا إلى صمتهم مرّة أخرى طويلًا ، قبل أن يغمغم (فيبو) :

ـ نعم إنه حلم .. وسأقتل أوّل من يدلى بتفسير آخر ..

ولكن الأمر كان حقيقة ..

حقيقة فريق جاء من القرن الحادى والعشرين ، ليقاتل عدوًّا عبْر الزمن والفضاء ..

وما زال القتال مستمرًّا ..

عَبْرَ العُصور .

* * *

[انتهى الجزء الأول]

[ويليه الجزء الثانى فى العدد القادم ٥٥]

[أسـرى الزمـن]

روايات
مصرية للجيب

ملف المستقبل

سري جداً !!

٥٥



أسرى الزمن

ملف المستقبل ● أسرى الزمن ● ٥٥ ● ج ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ●

٥٥

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

المؤلف



د. نبيل فاروق

أسرى الزمن

- إلى أى زمن ، وأى كوكب ، سَينتقِلُ (نور) ورفاقه ، خلف خصْمِهم اللَّدود ؟
- كيف يواجه الفريق شيطان الغرب ، وقائد المخابرات النازيَّة ، واحدًا بعد الآخر ؟
- تُرى .. أينتهى الصراع هذه المرَّة؟ أم يتحوَّل (نور) ورفاقه إلى (أسرى الزمن) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، واشترك مع (نور) فى حلّ اللُّغز .



الثمن فى مصر
ـــــــ

وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربيــة والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ و١٢ ش كامل صدقى بالفجالة - القاهرة - ت ٩٠٨٤٥٥

العدد القادم : شيطان الأجيال



نور الدين



سلوى



رمزى



محمود

١ ــ أمريكا .. الدم ..

ولاية (تكساس) الأمريكية .. عام ألف وثمانمائة وثمانين .. مدينـة صغيرة .. أطلق عليهـا سكّانهـا الألف ، اسم (بلاك ستون) ..

فارس من رعاة الأبقار ، يقترب على متن جواده فى تمهل ، من بنك المدينة الصغيرة ..

هكذا تبدأ القصـة ..

أوقف الفارس جواده أمام البنك ، وهبط منه فى هدوء ، وعقد لجامه فى قائم خشبى معدّ لهذا الغرض ، ثم دفع حافة قبعته العريضة بطرف إبهامه ، وتحسّس مسدّسه المتدلّى من حزامه ، داخـل جراب قديم قذر ، وارتسمت على شفتيـه ابتسامـة ساخرة ، ثم دَلَف إلى البنك ..

واستقبله موظف البنك فى تَرحاب ، وهو يسأله فى مزيج من اللهفة والاحترام :

ــ هل يرغب السيِّد فى فتح حساب لدينا ؟.. دولارات سائلة أم ذهب ؟

أجابه الفارس فى لهجة تحمل نبرة ساخرة :

ـ لا هذا ولا ذاك .

وبأسرع من لمح البصر ، انتزع مسدّسه من جرابه ، وجذب إبرته ، وهو يلصقه بجبهة الموظّف مستطردًا :

ـ لقد جئت للسحب ، لا للإيداع .

ارتجف الموظّف ، وجحظت عيناه فى ذعر ، وهو يغمغم بصوت مرتجف :

ـ هل يملك السيِّد حسابًا لدينا ؟

أجابه الفارس فى سخرية :

ـ كلّا .. ولكننى سأسحب كل ودائع الآخرين .

اتسعت عينا الموظّف ، وهو يغمغم فى رعب :

ـ أهى عملية سطو ؟

أطلق الفارس ضحكة ساخرة قصيرة ، قبل أن يجيب :

ـ يا للشيطان !! .. ألم تفهم بعد يا رجل ؟! .. أأنت من ذلك النوع ، الذى لا يستوعب مثل تلك الأمور ، إلا بعد أن تستقر رصاصتى فى رأسه .

ارتجف الموظّف ، وتراجع رافعًا ذراعيه ، وهو يهتف فى صوت مُختَنِق :

ـ مستر (بوك) .. مستر (بوك) .

اندفع من الحجرة الجانبية الوحيدة للبنك رجل بدين ، أصلع الرأس ، يرتدى حلة أنيقة ، لم يكد يلمح الموقف حتى شحب وجهه ، ورفع ذراعيه ، وهو يغمغم فى رعب :

ـ (كاسيدى) ؟!

أطلق الفارس ضحكة ساخرة أخرى ، قبل أن يقول فى لهجة أقرب إلى الزهو :

ـ رائع .. هذا سيختصر الإجراءات كثيرًا ، ما دمت قد تعرَّفتنى يا مستر (بوك) .. ولا عجب فى ذلك ، فأنـــا ـ وبكل فخر ـ أكثر لصوص البنوك شهرة فى الغرب كله .

ثم انعقد حاجباه ، واكتست ملامحه بشراسة وصرامة مفاجئتين ، قبل أن يستطرد :

ـ والآن يا مستر (بوك) .. مر ذلك الغبى بتعبئة كل الذهب والأموال فى أكياس أنيقة ، فسأضيف اسم بنكك إلى قائمة البنوك ، التى تودع أموالها فى حسابى الخاص .

ازداد شحوب وجه (بوك) وامتقاعه ، وهو يقول للموظّف فى صوت أقرب إلى البكاء :

ـ نفِّذ ما أمرك به مستر (كاسيدى) يا (چورچ) .

أسرع (چورچ) يعبئ كل محتويات خزانة البنك فى خمسة أكياس كبيرة ، تحمل اسم البنك ، وناولها لـ (كاسيدى) وهو يرتجف ، فتناولها هذا الأخير ، وتراجع فى بطء ، وهو يقول فى سخرية :

ــ شكرًا يا مستر (بوك) .. لن تحتاج أموالك لكل تلك التعقيدات ، التى تتبعونها فى البنوك ، فلست أنوى الاحتفاظ بها طويلًا .. سأنفقها عن آخرها قبل مضى أسبوع واحد .. أنت لا تدرى كم هى شرهة موائد القمار .

وفى حركة سريعة اندفع خارج البنك ، وحلّ لجام حصانه بضربة واحدة سريعة ، وقفز على صهوته ، وهو يهتف :

ــ انطلق يا (هوايت) .. هيًّا .

ولم يكد يتم عبارته ، حتى اندفع جواده الأبيض الناصع يعدو ، مخترقًا شارع المدينة ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها (بوك) خارج البنك ، وهو يصرخ :

ــ النجدة !! لقد سرق أموال البنك !! النجدة !!

انتزعت صرخته المأمور (چاك) ، ومساعده (هيوستون) ، من مكتبهما ، فقفز كل منهما يختطف بندقيته ، وفى لحظة كانا على صهوة جواديهما ، ينطلقان خلف

(كاسيدى) ، وبصحبتهما عشرة فرسان من رجال المدينة ..

وبدأت واحدة من أشهر المطاردات فى الغرب ..

كان (كاسيدى) ينطلق بأقصى سرعة لجواده القوى ، عبر الصحراء الجبلية ، التى تفصل مدينة (بلاك سعون) عن أقرب المدن إليها (دالاس) ، وهو يستحث جواده على الإسراع ، هاتفًا :

ــ أسرع يا (هوايت) .. أسرع يا صديقى .. لن يروق لك أن ترانى متدليًا من حبل المشنقة .

ومن خلفه انطلق اثنا عشر رجلًا على متون جياد قوية ، وقد عقدوا العزم على اقتناص (كاسيدى) .. الذى تبحث عنه كل سلطات الغرب ..

وبعد نصف ساعة فقط ، بات من الواضح أن المطاردة تسير فى غير صالح (كاسيدى) ، فقد انقسم فريق المطاردة إلى نصفين ، عمد أحدهما إلى اختصار الطريق عبر ممر جبلى ضيق ، ليعترض (كاسيدى) ، فى حين واصل النصف الآخر مطاردته له ، ورجاله يطلقون الرصاصات خلف لص البنوك ..



وفجأة .. دوَّى من أعلى المرتفع الصخرىّ ، الذى يلتصق به (كاسيدى) صوت صارم قوىّ ..

وفجأة .. وجد (كاسيدى) نفسه محاصرًا من الأمام والخلف ، وأيقن أنه خاسر لا محالة ..

وبكل شراسة ووحشية حيوان مفترس ، وجد نفسه فجأة فى المصيدة ، راح (كاسيدى) يمطر مطارديه برصاصاته ، فأصاب منهم رجلين فى مقتل ، وثلاثة آخرين بجروح شا يدة ، قبل أن تنفد ذخيرته ..

وصوَّب المأمور (جاك) فوَّهة بندقيته إلى (كاسيدى) ، وهو يقول فى غضب وخشونة :

ـ ما رأيك يا لص البنوك ؟.. هل تفضّل الموت برصاصة بندقية ، أو بحبل المشنقة ؟

وفجأة .. دوَّى من أعلى المرتفع الصخرىّ ، الذى يلتصق به (كاسيدى) صوت صارم قوىّ ، يقول فى حزم :

ـ لا هذا ولا ذاك أيُّها السَّادة .

رفع الجميع عيونهم إلى مصدر الصوت ، وانفرجت أجفانهم إلى أقصاها ، وجحظت العيون فى ذهول ..

فهناك .. فى أعلى المرتفع .. كان يقف رجل قوىّ البنيان .. صارم الملامح ، يرتدى ثياب الغرب ، وإلى جواره فقّاعة زجاجيَّة ضخمة ، تتألَّق ببريق عجيب مع انعكاس أشعة الشمس فوقها ..

رجل ظهر فجأة ، كأنما قد برز من العدم ..

رجل من القرن الخامس والثلاثين ..

* * *

وقف (نور) شاردًا، ساهمًا، داخل تلك الفقاعة الزجاجية، التى تنقله مع رفاقه من قلعة (فيبوناتشى)، فى (روما) القرن السادس عشر، عبر الفضاء والزمن، إلى أمريكا القرن التاسع عشر، ليلحقوا بخصمهم اللدود، الدكتور (خالد رضوان)، فى كوكب آخر، وحقبة أخرى من حقب الزمن ..

وفى صمت راح (نور) يسترجع بذاكرته كل ما مرَّ به مع رفاقه ، منذ بدأت تلك المغامرة ..

لقد فوجئ مع رفاقه بزائرين من القرن الخامس والثلاثين فى منزله ، وأقنعه الزائران بأنهما ليسا من زمن المستقبل ، ولكن من كوكب شبيه بالأرض ، يحيا فى عصر متقدِّم ، يطابق ما ستصل إليه الأرض فى القرن الخامس والثلاثين و ....

واصطحب الزائران (نور) ورفاقه إلى كوكبهم ، وإلى عصرهم ، وهناك وجدوا مهمة تنتظرهم ..

كان الدكتور (خالد رضوان) ، عالم القرن الخامس والثلاثين قد تمرَّد على عصره ، وفرَّ من كوكبه إلى كواكب

أخرى شبيهة بكوكب الأرض ، تعيش فى حقب زمنية تمثِّل ماضى كوكب الأرض ..

وبدأت المطاردة عبر الكواكب ..

وعبر العصور ..

وتصارع فريق القرن الحادى والعشرين ، مع رجل القرن الخامس والثلاثين فى مصر الفرعونية ..

فى زمن (خوفو) .. فى القرن الثلاثين قبل الميلاد ..

وتقاتلا فى (روما) القرن السادس عشر بعد الميلاد ..

وفى المرتين نجح الدكتور (خالد) فى الفرار إلى كوكب آخر ، وزمن آخر ..

وما زالت المطاردة مستمرة(*) ..

وما زال القتال ممتدًا فى أمريكا .. بلاد الثروة والدم ، فى القرن التاسع عشر ..

قطع ذكريات (نور) صوت (سلوى) ، وهى تسأله :

ـ هل أنت واثق من أننا سنصل إلى نفس المكان ، الذى وصل إليه (خالد) ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى هدوء :

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأوّل (عبر العصور) .. المغامرة رقم (٥٤) .

ــ بكل تأكيد يا (سلوى) .. إن تلك الفقَّاعة التى نستقلها تعمل بوسيلة خاصة ، أشبه ببرمجة الكمبيوتر فى عصرنا ، فهى مبرمجة بحيث تتبع فقَّاعة الدكتور (خالد) ، أينما ذهب ... إننا لانملك حتى تغيير مسارها .

تطلَّعت (سلوى) فى حَيْرة إلى ذلك البريق الفضى ، الذى يحيط بالفقَّاعة ، ويحجب عمَّن داخلهــا مايدور خارجها ، وغمغمت فى توتُّر :

ــ ذلك البريق يجعلنى عصبية .

ابتسم ابتسامة شاردة ، وهو يقول :

ــ الغموض هو الذى يجعلك كذلك يا عزيزتى ، فأنت تتمنين رؤية مايحدث بالخارج .

تدخَّل (محمود) ، قائلًا .

ــ هذا صحيح يا (نور) .. إننى أتساءل : لماذا تحجب عنَّا تلك الفقاعة الرؤية ؟

هزَّ (نور) كتفيه ، وهو يقول :

ــ إن هذا يحدث منذ البداية يا (محمود) ، منذ انتقلنا مع (طاهر) و (سليمان) إلى كوكب القرن الخامس والثلاثين ، وربَّما يعتمد ذلك على الوقود أو الطاقة المستخدمة لتسْيِيرها .

غمغم (رمزى) :

ــ أو على ما ينبغى إخفاؤه !

ساد الصمت لحظة ، ثم غمغم (نور) ، وهو يعقد حاجبيه ، دلالة على التفكير العميق :

ــ دَعُونا من هذا الآن يا رفاق .. إننا فى طريقنا لمواصلة القتال مع خصمنا .. عَبْر العصور .

* * *

شعر المأمور (جاك) بمزيد من الدهشة والتوتُّر ، وهو يصيح فى وجه الدكتور (خالد) :

ــ من أنت يا رجل ؟.. وماذا تريد ؟.. إن هذا الرجل لص بنوك معروف ، ولقد قتل فى أعوام عمره الثلاثين أكثر من مائة رجل ، ومعاونته تعدّ تدخُّلًا فى سير العدالة .

أطلق (خالد) ضحكة ساخرة مجلجلة ، قبل أن يقول :

ــ أيَّة عدالة أيها المأمور ؟!.. هل تقتضى العدالة أن تقتل رجلًا بلا محاكمة .

عقد المأمور (جاك) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ لقد حُوكِم هذا الرجل غيابيًا أكثر من مرَّة ، وأُدِينَ فى كلِّ المحاكمات ، وصدرت ضده ستة أحكام بالإعدام ، وثلاثة بالأشغال الشاقة المؤبَّدة و .....

قاطعه (خالد) فى برود ساخر :

ـ ولكن أيًا من هذه الأحكام لن يُنَفَّذ أيها المأمور ؛ لأن (كاسيدى) صديقى .

كان (كاسيدى) أكثر الجميع دهشة ، حينما نطق (خالد) بهذه الكلمات ، ولم ينبس بحرف واحد ، حينما صاح المأمور فى صرامة غاضبة ، وهو يرفع فوَّهة بندقيته إلى صدر (خالد) :

ـ إذن فلتَمُتْ معه .

ودوَّت طلقته وسط الجبال ، وامتزجت بضحكة ساخرة رهيبة ، انطلقت من بين شفتى الدكتور (خالد) ، حينما ارتطمت الرصاصة بصدره ، وارتدَّت فى عنف ..

وتراجع الجميع فى ذهول ..

وعقد الدكتور (خالد) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول بصوت مخيف :

ـ لا تحاول مرَّة أخرى أيها المأمور .. إن رصاصاتكم لن تخترق صدرى .. عودوا إلى مدينتكم ، وأبلغوا الجميع أن (كاسيدى) وصديقه (خالد) فى الطريق ، وأنهما سيحكمان (بلاك ستون) .

وعاد يطلق ضحكته الساخرة ، التى أثارت الرعب فى قلوب الجميع ، قبل أن يُرْدِف فى حزم :

ـ وستكون هذه هى نقطة الانطلاق ، نحو حكم العالم أجمع .. عالم (خالد رضوان) .

* * *



٢ ــ رُعْب فى الغرب ..

« هذا مستحيل !! مستحيل يا سيِّدى !! » .

هتف (هيوستون) ، مساعد المأمور ، بهذه العبارة فى صوت مرتجف ، يموج بِرُعْب هائل ، وهو يدور كالليث الجريح ، داخل مكتب المأمور ، الذى زفر فى قوَّة ، محاولًا نفض تلك الأطنان من الانفعالات ، التى تجتاح كيانه ، قبل أن يغمغم فى توتر وإحباط :

ــ ولكنه حقيقة يا (هيوستون) .. حقيقة حدثت أمام أعيننا جميعًا .. إننى لم أرَ أو أسمع شيئًا كهذا طيلة عمرى ، ولكنه حدث ..

وارتجف صوته بدَوْرِه ، وهو يُرْدِف :

ــ ما زلت أذكر كيف صرخ القاضى (لوجان) فى وجهه ، واتهمه بأنه شيطان ، وكيف أطلق ذلك الشيطان شعاعًا من الضوء ، من فوَّهة مسدَّسه ، اخترق رأس (لوجان) ، كما لو كان رصاصة بندقيَّة قويَّة ، دون صوت

أو دُخان .. إننى أميل إلى رأى (لوجان) المسكين .. ما هذا الرجل إلّا شيطان .. وهذا يبرِّر مساندته لمجرم خطير مثل (كاسيدى) .

هتف (هيوستون) فى ذُعر وتوتُّر :

ــ وماذا سنفعل يا سيِّدى ؟.. هل سنجلس وننتظر قدومه إلى هنا ، واحتلال (بلاك ستون) كلها .. إنه يسعى للسيطرة على (أمريكا) كلها ــ بل العالم ــ كما قال .

هزَّ المأمور (جاك) رأسه فى يأس ، وقلَّب كفَّيه مغمغمًا :

ــ وماذا يمكننا أن نفعل يا (هيوستون) ؟.. لقد أبلغت المدينة أننا سنتعرَّض لغزو مخيف ، ولقد أقمنا المتاريس ، وكل رجل بالمدينة ينتظر ببندقيَّته وذخيرته .. ماذا يمكننا أن نفعل فوق ذلك .

هتف (هيوستون) :

ــ يمكننا أن نستعين بوحدات الجيش .. هناك حصن على بعد عشرين كيلومترا من هنا و .....

قاطعه (جاك) فى أسف :

ــ كيف يا (هيوستون) ؟.. كل خطوط الاتصال مقطوعة كما تعلم .

صاح (هيوستون) فى انفعال :

ــ سأذهب بنفسى .. سأذهب إلى حصن الجيش على صهوة جوادى و .....

قاطعته طَرَقات هادئة على باب المكتب ، وعلى الرغم من هدوئها ، إلّا أنه التقط مسدّسه من جرابه فى حركة سريعة ، وصوَّبه إلى الباب ، وهو يهتف فى عصبية :

ــ مَنْ هناك ؟!

أشار إليه (چاك) أن يخفض مسدّسه ، وهو يقول :

ــ رُوَيْدَك يا (هيوستون) .. إن الهجوم لم يبدأ بعد .

ثم استطرد فى هدوء :

ــ أدخل يا مَنْ بالباب .

فُتح البابُ فى هدوء ، وظهر على عتبته أربعة أشخاص .. ثلاثة رجال وامرأة ..

وتقدّم أحد الرجال نحو المأمور ومساعده ، وابتسم ابتسامة هادئة ، أزالت الكثير من شكوكهما وتوتُّرهما ، قبل أن يقول :

ــ من منكما المأمور (چاك) ؟

أجابه المأمور ، وهو يعقد حاجبيه فى تساؤل :

ــ إنه أنا .

وصاح (هيوستون) فى عصبية :

ــ من أنتم ؟.. وكيف دخلتم إلى هنا ؟.. إنكم لستم من سكّان (بلاك ستون) !

ابتسم الرجل ، وهو يقول فى هدوء :

ــ هذا صحيح .. إننا زائرون .. وصلنا إلى مدينتكم بالمصادفة ، وعلمنا ما تنتظرونه .

وصمت جزءًا من الثانية ، قبل أن يستطرد :

ــ اسمى (نور) .. وهؤلاء رفاقى ، وأظن أنه لدينا وسيلة .

صاح به (هيوستون) فى حِدَّة :

ــ وسيلة لماذا ؟

اتسعت ابتسامة الرائد (نور) ، وبدت متناقضة مع وجوه رفاقه المتجهِّمة ، وهو يقول فى هدوء :

ــ وسيلة لهزيمة الشيطان .

* * *

لم يكفّ (كاسيدى) عن التطلّع إلى وجه (خالد) ، فى مزيج من الخوف والحَيْرة ، وهما يتجهان على صهوة جواديهما إلى حدود مدينة (بلاك ستون) ، وتردَّد السؤال على لسانه طويلًا ، قبل أن يلقيه فجأة ، قائلًا :



لم يكف (كاسيدى) عن التطلّع إلى وجه (خالد) ، فى مزيج من الخوف والحيرة ، وهما يتجهان على صهوة جواديهما ..

ــ من أنت أيها السيِّد ؟.. وماذا تريد بالضبط ؟

ابتسم (خالد) ابتسامة غامضة ، قبل أن يجيب :

ــ لقد أخبرتك من قبل يا (كاسيدى) .. إننى صديق ، يرغب فى أن يمنحك حكم (أمريكا) كلها .

صاح (كاسيدى) فى توتُّر :

ــ لماذا ؟.. إننى لا أفهم السبب .. إننى أعجز حتى عن فهمك .. إنك تخيفنى فى الحقيقة .. كل شىء فيك يخيفنى .. أُسلوبك .. سلاحك الضوئى العجيب .. حتى جوادك .. إنه ليس جوادًا حقيقيًّا .. إن عينيه تبرقان على نحو مخيف .

أجابه (خالد) فى صرامة :

ــ حاول أن تتجاهل كل هذا .. وأن تكتفى فقط بالتفكير ، فى أنك ستصبح عن قريب رئيس (أمريكا) كلها .

هتف (كاسيدى) :

ــ ولماذا ترغب فى السيطرة على (أمريكا) كلها ؟

بقى السؤال دون جواب لوقت طويل ، قبل أن يقول (خالد) فى هدوء :

ــ هذه القارة ضخمة ، وممتلئة بالخيرات يا (كاسيدى) ، وتحوى فى باطنها شيئين ، ستكون لهما كل القوة والسيطرة

على العالم ، حتى نهاية القرن العشرين على الأقل .. الذهب ، والبترول .. وفى أعماق جبالها توجد القوّة الثالثة ، التى ستحكم العالم لعشرة قرون أخرى .. اليورانيوم .

غمغم (كاسيدى) فى دهشة :

ـ الـ .... ماذا ؟

ابتسم (خالد) فى سخرية ، وهو يجيب :

ـ لا عليك .. لم يحن الوقت بعد لتفهم هذا .. المهم أن من يُسَيْطِر على (أمريكا) فى هذه الحقبة ، يمكنه أن يسيطر على العالم أجمع ، قبل حلول القرن العشرين ، خاصّة حينما يصنع القنبلة الذرية ، قبل أن يجيد العالم صنع الديناميت .

امتلأ قلب (كاسيدى) بذعر عجيب ، وهو يغمغم :

ـ وما هذه القنبلة ؟

عقد (خالد) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة .

ـ إننى أكره كثرة الأسئلة .. هل ستتبعنى أم لا ؟

ارتجف (كاسيدى) ، الذى لم يرتجف أبدًا من قبل ، وهو يغمغم :

ـ سأتبعك .. سأتبعك بالطبع .

عادت إلى شفتى (خالد) ابتسامته الساخرة ، وهو يقول :

ـ من الخير لك أن تفعل ، فما لا تعلمه هو أن (بلاك ستون) تسبح فوق بحر من البترول ، وتحيط بها جبال تحوى اكبر قدر من الذهب واليورانيوم فى العالم ، وستكون خطوتنا الأولى هى احتلالها ، والانطلاق منها لحكم (أمريكا) كلها ، ثم العالم فيما بعد .. وستكون أنت الحاكم الاسمى ، أمّا أنا ، فسأكون الحاكم الفعلى ، الذى يختبئ خلف الستار ، وستأمر أبناءك وأحفادك بطاعتى عبْرَ الزمن .. وعَبْر العصور .

غمغم (كاسيدى) فى مزيج من الدهشة والذُّعر :

ـ وهل ستبقى طوال كل هذه السِّنين ؟

أطلق (خالد) ضحكة ساخرة ، سرت لها قشعريرة قويّة باردة فى جسد (كاسيدى) ، قبل أن يقول فى صوت مخيف :

ـ نعم .. سأبقى .. سأبقى حتَّى النّهاية .. أما البداية فستكون هنا .. فى (بلاك ستون) .. التى ستذوق الليلة أبشع رُعْب فى الغرب .

* * *

انتفض جسد مساعد المأمور ، وهو يومئ نحو (نور) ورفاقه بسبَّابته ، صائحًا :

ـ إنهم جواسيس أيها المأمور .. أراهنك أنهم كذلك .

عقد (چاك) حاجبيه فى شك ، فى حين انبرى (رمزى) قائلًا فى هدوء :

ـــ عجبًا !!.. ألم تتوكّد منذ لحظات أن ذلك الشيطان يمكنه وحده هزيمة جيش كامل ؟!.. لماذا يحتاج إلى جواسيس إذن ؟

ارتبك (هيوستون) لحظة ، ثم لم يلبث أن عاد يهتف فى توتُّر :

ـــ ولماذا تظهرون أنتم فى هذه اللحظة بالذات ، وأين جيادكم ؟.. إن غريبًا لم يطأ هذه المدينة منذ أعوام !

أجابته (سلوى) فى هدوء :

ـــ ربَّما كنَّا رُسل الغَوْث يا فتى .. المهم أننا سنعمل إلى جانبكم ، فى مواجهة الشيطان ، ألا يكفى هذا ؟

مرَّة أخرى ارتبك (هيوستون) ، وحارَ فى البحث عن جواب ، فى حين تأمَّل (چاك) (نور) ورفاقه فى حَيْرة ، وتمتم فى لهجة أقرب إلى الاستسلام :

ـــ وماذا يمكنكم أن تفعلوا فى مواجهة رجل لا تخترق الرصاصات جسده ، ويملك سلاحًا ضوئيًا قاتلًا ، لم نَرَ له مثيلًا أبدًا ؟

ابتسم (نور) ، وتبادل نظرة ـــ بدت غامضة ـــ مع رفاقه ، قبل أن يجيب فى هدوء :

ـــ الكثير أيها المأمور .. يمكننا أن نفعل الكثير ، إذا ما لقينا المعاونة اللازمة .

اعتدل (چاك) ، وهو يسـأله فى اهتمام :

ـــ أية معاونة ؟

بدا صوت (نور) أكثر عمقًا وحزمًا ، وأقلّ هدوءًا ، وهو يجيب :

ـــ معاونة الجميـع بلا أسئلـة أو استفسارات .. وبهذا وحده سنصدّ هجوم شيطان الغروب ، وشيطان العصور ..

* * *



٣ ــ ليلة الشيطان ..

تصبّب حدّاد المدينة عرقًا ، على الرغم من برودة الطقس ، مع مغيب الشمس ، وهو يناول (محمود) آخر قطعة طلبها ، وهو يغمغم فى ريبة وحَيْرة :

ــ إنها الأخيرة .. ولكننى لست أفهم ما تساويه .. إنكم تصنعون أشياء عجيبة ، وقطعًا معدنية غير متناسقة ، لست أصدّق أبدًا أنه يمكنها صدّ شيطان ، كالذى يتحدثون عنه .

ابتسم (محمود) ، وهو يقول :

ــ سيدهشك ما يمكن أن تفعله تلك القطع المعدنية غير المتناسقة ، حينما يتم إضافة بعضها إلى بعضها الآخر .

جلس الحدّاد يراقب (محمود) فى حَيْرة ، وهو يضيف القطع المعدنية بعضها إلى بعض فى سرعة ومهارة ، ويصنع منها جهازًا عجيب الشكل ، ثم لم يلبث أن سأله فى توتر :

ــ ما هذا الشىء ؟

أجابه (محمود) فى بساطة :

ــ مدفع ليزر .

هتف الحدّاد فى دهشة :

ــ مدفع ماذا ؟!

ابتسم (محمود) ، وهو يقول :

ــ نوع من الأسلحة يا صديقى ، ستبتكرونه أنتم بعد مائة عام من الآن ، وسنعمل نحن على تطويره بعد ذلك بمائة عام أخرى .

هزّ الحدّاد رأسه ، وهو يتمتم فى استنكار :

ــ يا له من جنون !!

ثم أردف فى سخط ، وهو يهم بارتداء ثيابه :

ــ شيطان هناك ، وثلة من المجانين هنا .. أية ليلة هذه ؟!

فى نفس اللحظة كان صانع الزجاج فى المدينة الصغيرة يناول (سلوى) بضع عدسات مختلفة الأحجام ، وهو يقول فى حَيْرة :

ــ هاهى ذى ، نفس المقاييس والقوى التى طلبتها يا سيدتى ، وإن كنت أجهل فيم يستخدم كل هذا !!

غمغمت وهى تفحص العدسات فى اهتمام :

ــ يستخدم فى صنع سلاح قوى ، سيوقف شيطان الغرب هذا عند حدّه .

تمتم الرجل فى حَيْرة :

ــ سلاح من بضع عدسات ؟!

أجابته فى هدوء ، وهى تحمل العدسات ، وتهمّ بالانصراف :

ــ ليست وحدها بالطبع .. ستوضع فى الجهاز ، الذى يصنعه (محمود) الآن عند حدّاد المدينة ، وسنضيف إليها ياقوتة خاصّة من فقاعتنا الزجاجية و .....

هتف الرجل مقاطعًا إياها فى دهشة :

ــ فقاعتكم الزجاجية ؟!

ارتبكت وهى تغمغم :

ــ أعنى من حقيبة خاصّة أُحضرناها معنا .

عقد الرجل حاجبيه ، وهو يغمغم فى ريبة وتوتُّر :

ــ من أنتم يا سيِّدتى ؟.. من أين جئتم ؟

تضرَّج وجهها بحُمرة خفيفة ، وهى تقول :

ــ دَع كل هذا لما بعد يا سيِّدى .. شكرًا لمعاونتك فى صنع العَدَسات .. إننى مضطرة للحاق برفاقى الآن ، وسأجيب عن أسئلتك فيما بعد .

وأسرعت تنصرف ، تاركة الرجل فى حَيْرة من أمره ، وهو يتمتم فى انفعال .

ــ يا لَها من ليلة !!.. يا لها من ليلة !!

وهناك ، فى حجرة مكتب المأمور ، كان (هيوستون) يجلس صامتًا متبرِّمًا ، عاقدًا ساعديه أمام صدره ، فى حين كان (رمزى) يقول لـ (نور) والمأمور فى اهتمام شديد :

ــ إنه رجل عجيب ، مصاب بمزيج من النرجسية ، وحب الظهور والشعور بالعظمة ؛ لذا فسيلجأ إلى أكثر الوسائل عنفًا وضجيجًا ؛ لاحتلال المدينة ، وسيحاول أن يبهر الجميع ، ليضمن خوفهم منه ، وخضوعهم التام له .

سأله (نور) :

ــ هل تظن أنه سيباغتنا بالهجوم ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ــ بل سيعمد إلى إنذار المدينة أوَّلًا ، ومطالبتها بالاستسلام ، وهو يعلم أنهم سيرفضون ، وسيحاولون المقاومة ، مما يمنحه فرصة استعراض أسلحته وتفوُّقه ، وإبهار الجميع .. إنه يعدّ لهم ليلة رُعب .

هتف المأمور (جاك) فى توتُّر :

ــ كيف يمكنك أن تجزم بذلك ؟

أجابه (رمزى) فى صرامة :

— إننى طبيب نفسىّ .

حَدَجَه (نور) بنظرة صارمة ، ولاحت الدهشة والحَيْرة فى عينى (چاك) و (هيوستون) ، فى حين استدرك هو فى سرعة :

— أعنى أننى أجيد فهم مثل هؤلاء الأوغاد .

تمتم (هيوستون) فى سخط :

— هُراء .

عقد (رمزى) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

— هل تراهن ؟.. إنه سيرسل (كاسيدى) أوّلًا و ....

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع صوت (كاسيدى) ، وهو يقول فى صرامة ، عَبْر مكبِّر صوْتىّ ، لم يتم اختراع مثله بعد فى الغرب :

— استمعوا إلىّ يا مواطنى (بلاك ستون) .. أنا (كاسيدى) .. حاكمكم الجديد ، أطالبكم جميعًا بالاستسلام ، وإلّا حاق بكم غضب شيطان الغرب ، وأمهلكم خمس دقائق فحسب لاتخاذ القرار ، وإلّا فالرُّعب والدَّمار .. كل الرعب والدمار لكم .

هتف (هيوستون) فى توتُّر :

— من أين أتى بهذا الصوت الرهيب ؟

أجابه (نور) فى بساطة :

— إنه يستخدم (ميكروفونًا) .

قبل أن يسأله أحدهما عمّا يقصده بذلك المصطلح ، دفع (نور) الباب ، وغادر حجرة المأمور ، ووقف خارجها منتصبًا شامخًا ، وهو يقول فى حزم وصرامة ، وبأعلى طبقة صوتية يمكنه أن يصرخ بها :

— الإجابة سلبية يا لصّ البنوك .. لن تستسلم (بلاك ستون) أبدًا .. إننا سنقاتل .. سنقاتل إلى النهاية .

جاءت الإجابة على هيئة ضحكة ساخرة مخيفة ، أثارت رُعب الجميع ، وحملت صوت الدكتور (خالد رضوان) ، الذى قال بصوته المخيف الساخر :

— فليكن .. ما دام هذا هو قراركم النهائى ، فليعدّ كل منكم نفسه لليلة الشيطان .

وفجأة .. تألق جواد فى مدخل المدينة ، وأضاء على نحو مخيف مثير ، وصهل بصوت بلغ آذان الجميع ، وظهر فوقه فارس يرتدى ثوبًا مضيئًا ، ثم برز فجأة جناحان على جانبى الجواد ، وارتفع براكبه إلى سماء المدينة ، لتبدأ ليلة الرُّعب .. ليلة الشيطان ..

* * *

٤ ــ القتـــال ..

مرأى الجواد المضىء الطائر وحده ، كان يكفى لِملْءِ قلوب الجميع بالخوف ، وأشعة الليزر التى انطلقت من عينى الجواد ، وفوَّهة مسدَّس (خالد) ، والتى حطَّمت خزَّان المياه بالمدينة ، وأشعلت فيه النيران ، كانت تكفى لتحطيم روح المقاومة فى قلوب ونفوس الجميع ..

إلَّا (نور) وفريقه ..

لقد اندفع (نور) يَعْدُو نحو المنطقة ، التى نصب فيها (محمود) مدفع الليزر ، وصاح به فى انفعال :

ــ هل انتهيت من إعداده ؟

هتف (محمود) فى توتُّر :

ــ ليس بعد .. أمامى دقيقتان على الأكثر .

صاح (نور) فى الجميع :

ــ أطلقوا رصاصاتكم .. إننا نحتاج إلى دقيقتين فحسب .

ولم يسمعه أحد وسط صراخ الرُّعب والفزع ، وإن أخذ

الرجال يطلقون رصاصاتهم من منطلق آخر .. دفعهم إليه يأسهم .. ورغبتهم فى بذل آخر أنفاسهم لحماية مدينتهم ، وزوجاتهم ، وأطفالهم ..

لحماية مستقبلهم ..

وكانت حقًّا ليلة الشيطان ..

لقد حطَّمت أشعة (خالد) الليزريَّة نصف منازل المدينة ، وأشعلت فيها النيران ، وحام جواده الإليكترونى المجنَّح فوق رءوس الرجال ، فألقى فى قلوبهم الرُّعب والفزع ..

و (محمود) يعمل جاهدًا ؛ للانتهاء من إعداد مدفع الليزر ..

أما (هيوستون) ، فقد صرخ فى ألم ومرارة :

ــ هل رأيت أيها المأمور (چاك) ؟.. إنهم لم يفعلوا شيئًا لصدّ الغزو .. لقد خدعونا جميعًا .. ها هو ذا الشيطان يحيل مدينتنا إلى جحيم مستعر ، دون أن يتحرَّك أحدهم .

هتف (چاك) فى توتُّر :

ــ إنهم لم ينتهوا من إعداد جهازهم يا (هيوستون) .. إنهم يبذلون أقصى جهدهم و ....

قاطعه (هيوستون) صارخًا :

ـ جهازهم؟!.. هل صدّقت هذه المزاعم ؟.. نعم.. لقد صدقتموهم .. لقد صدقتموهم جميعًا .. إلّا أنا .. أنا وحدى كنت أشك فى أمرهم منذ البداية .

واكتسى صوته وملامحه ببغض هائل ، وغضب عنيف ، وهو يستطرد :

ـ لقد انتهت المدينة .. لقد انتهينا جميعًا .. قد لا يمكننى قتل الشيطان ، ولكننى سأقتل أعوانه .

وأردف فى صرخة هائلة :

ـ سأقتلهم جميعًا .

واندفع نحو (نور) و (محمود) ، اللذين انهمكا فى إعداد مدفع الليزر ، وهو يصرخ فى جنون :

ـ سأقتلهم .. سأقتلهم جميعًا .

وأطلق رصاصة مسدّسه نحو رأس (نور) ..

* * *

انتهى (محمود) من إعداد المدفع الليزرىّ ، والتفت إلى (نور) يهتف فى انفعال :

ـ لقد انتهيت يا (نور) .. يمكنك استخدامه الآن و ....

وفجأة .. رأى (هيوستون) يندفع نحوهما ، ومسدسه مشهور نحو رأس (نور) ، فبتر عبارته ليصرخ فى ذُعْر :

ـ احترس يا (نور) .

انحنى (نور) ، وقفز جانبًا بحركة غريزية ، وانطلقت رصاصة (هيوستون) ، ومرقت فوق رأسه تمامًا ، واستقرّت فى كتف (محمود) ، الذى صرخ فى ألم ، وسقط إلى جوار مدفعه ، فى حين التفت (نور) إلى (هيوستون) ، وصاح به فى غضب وصرامة :

ـ ماذا فعلت أيها الأحمق ؟

صاح به (هيوستون) فى جنون :

ـ أنتم أعوان الشيطان .. لقد خدعتم الجميع ما عداى .. سأقتلكم .. سأقتلكم جميعًا .

لم يكن هناك وقت للمحاورة والنقاش ..

كان الشيطان يحلّق فوق رءوس الجميع ، ونيرانه تنصبّ على كل شىء ، ومحمود مصاب ، و (سلوى) و (رمزى) يختبئان فى مكان معرّض لهجوم (خالـــد) الشرس ، و (هيوستون) يصوّب مسدّسه إلى (نور) ..

ولم يكن هناك خيار ..

وقفز (نور) جانبًا فى حركة سريعة ، ثم انقضّ على (هيوستون) ، الذى أطلق رصاصة ثانية ، شعر بها (نور) تمرق إلى جوار أذنه ، قبل أن يلتحم مع (هيوستون) ، ويقبض على معصمه فى قوّة ، يمنعه من مواصلة إطلاق النار ، وهو يصرخ به :

ـ كَفَى يا (هيوستون) .. إنك تفسد كل شىء .

صرخ (هيوستون) ، وهو يحاول التملّص من قبضة (نور) :

ـ أنتم الذين تفسدون كل شىء .. أنتم أعوان الشيطان ، وينبغى أن أقتلكم جميعًا .. جميعًا ..

وعلى متن جواده الإليكترونى المجنّح ، لمح (خالد) ذلك الصراع ، وشعر بالدهشة !!..

ـ لماذا يتقاتل رجلان ، من المفروض أنهما يواجهان خطرًا واحدًا مشتركًا ؟..

وفجأة .. اتضح له كل شىء ..

لقد تذكّر ذلك الصوت ، الذى أجاب الإنذار ..

إنه صوت (نور) ..

كيف لم ينتبه إلى ذلك فى حينه ؟..

لقد حجبت عنه نشوة التفوّق ذلك ..

وانعقد حاجباه فى سخرية وشماتة وصرامة ..

إذن فها هو ذا (نور) .. قائد فريق القرن الحادى والعشرين ..

ها هو ذا تحت رحمته ..

المطاردة ستنتهى هنا ..

والنصر يبدأ هنا ..

وصرخ (خالد) فى نشوة :

ـ الوداع يا رائد القرن الحادى والعشرين .. الوداع .

ودوّت ضحكته الساخرة وسط الرُّعب والدّمار ، وهو ينقضّ على (نور) بجواده المجنّح ، فى نفس اللحظة التى دفع فيها (هيوستون) (نور) عنه ، وهو يصرخ :

ـ ابتعد أيها الجاسوس .. لن تفلت من مصيرك أبدًا ..

ورأى (نور) مسدّس (هيوستون) المصوَّب إلى صدره ..

ولم ير الجواد المجنّح ، الذى ينقضّ على ظهره براكبه الشيطانىّ ..

وانحنى (نور) ليتفادى رصاصة (هيوستون) ، وتفادى ـ بلا وَعْى ـ أشعة الليزر القاتلة ، التى انطلقت من عينى

وانحنى (نور) ليتفادى رصاصة (هيوستون) ،
وتفادى ــ بلاوَعْى ــ أشعة الليزر القاتلة ..

الجواد الإليكترونى ، ونفذت من صدر (هيوستــون) المسكين ، الذى أطلق صرخة مدوّية ، قبل أن يسقط جثّة هامدة ، فى نفس اللحظة التى حلّق فيها الجواد فوق رأس (نور) ، وارتفع عاليًا ..

واستدار الجواد ، بناءً على توجيه قائده ، ليعاود انقضاضه على (نور) ..

ورأى (نور) الجواد المجنّح ينقضّ عليه ، وعلم أنه صار هدفًا لشيطان العُصُور ..

وبدا أنها النهاية ..

* * *



٥ ــ على طريقة الغرب ..

من المعروف أن رجال المخابرات العلمية المصرية ، فى القرن الحادى والعشرين ، يتلقَّون تدريبات خاصة مكثَّفة ، تجعلهم يبزُّون أقرانهم دومًا ، فى كل أجهزة المخابرات فى العالم أجمع ..

وجزء من هذه التدريبات يعتمد على حسن التصرُّف ، فى المواقف العصيبة ، وسرعة اتخاذ القرار ، فى لحظات قد يكون الحدّ الفاصل بين الحياة والموت فيها هو جزء من الثانية ..

وهكذا كان موقف (نور) فى تلك اللحظة ..

(خالد رضوان) ينقضّ عليه بجواده المجنَّح ، والموت يطلّ من فوّهة مسدَّسه ، ومن عينى جواده الإليكترونىّ ، والنيران تشتعل من حوله فى نصف مساكن المدينة الصغيرة ..

وصرخت (سلوى) ، حينما أدركت حقيقة الموقف ، واتسعت عينا (محمود) ، المصاب برصاصة فى كتفه ، فى ذعر ، وهتف (رمزى) :

ــ يا إلٰهى !!.. (نور) !!

وبدا (خالد) فى أعينهم جميعًا ، فى تلك اللحظة ، أكثر شبهًا بالشيطان ، وهو يندفع نحو (نور) وسط النيران المستعرة ..

ولكنّ (نور) تحرَّك فى سرعة تليق برجل مخابرات علميَّة مِصريَّة ..

قفز من مكانه ، وانطلق يَعْدُو نحو مِدفع الليزر ، والأشعة القاتلة تلاحقه ، وتذيب الرمال خلف أقدامه الواثبة ، و (خالد) يصرخ فى ظفر جنونى :

ــ لقد ظَفِرْت به .. لقد ظَفِرْت به ..

وبقفزة ماهرة رشيقة ، وصل (نور) إلى مِدفَع الليزر ، وبجرأة وشجاعة وثبات ، أدار فوّهته نحو الجواد الإليكترونى المجنَّح ، وأطلق الأشعة ..

وكان الذهول هذه المرَّة من نصيب (خالد رضوان) ..

لم يكن يتصوَّر ، أو يتوقَّع أبدًا ، أنه سيواجه بمدفع ليزرىّ ، فى القرن التاسع عشر ..

ولقد أصابت أشعة المدفع الليزرىّ جواده الإليكترونى ، ومرقت من صدره إلى ذيله ، وحطمته تحطيمًا ..

وخبا بريق الجواد ، وهوى براكبه أرضًا ..

وتحطَّم ..

ومن حسن حظ (خالد رضوان) ، أن جواده كان على ارتفاع خمسة أمتار فقط ، حينما أصابته دفقة الليزر ؛ لذا فقد نجا (خالد) من الموت ..

وساد السكون المدينة كلها ، وحدّقت كل العيون فى ذُعْر وانبهار ..

لم يصدّق سكّان (بلاك سعون) أن الشيطان قد هَوَى ..

لم يصدّقوا أن حزمة من الضوء ، انطلقت من قطع حديدية غير متناسقة ، وبضع عدسات ، أسقطت الشيطان الذى أثار رعب الجميع ..

وران الصمت والسكون ، إلّا من فرقعة الأخشاب المحترقة ، ووهج النيران المتأجّجة ..

وفجأة .. ارتفعت فوّهات بنادق الجميع نحو الشيطان ..

وانطلقت مئات الرصاصات نحو هدف واحد ..

* * *

ما حدث فى اللحظة التالية أعاد إلى الجميع رُعْبَهم ويأسهم ..

لقد أصابت رصاصاتهم كلها هدفها ، وارتدّت عنه ، كما

لو كانت ترتدّ عن حائط من الفولاذ ، وصاح (خالد) فى غضب :

ــ أيها الأغبياء .. ألم تفهموا بعد ؟ .. لن يمكنكم قتلى أبدًا .

تراجع الجميع رُعبًا وذهولًا ، وعادت فُوَّهات البنادق تنخفض فى يأس ، فى حين انتصبت قامة (نور) ، وهو يتقدَّم نحو (خالد) ، قائلًا فى هدوء صارم :

ــ لا تبالغ فى تبجحك يا وغد القرن الخامس والثلاثين .. إنك بشر مثل الجميع ، كل ما فى الأمر هو أنك تحيط جسدك بمجال كهرومغناطيسى قوىّ ، ترتدّ عنه الرّصاصات ، ولكنه لن يصمد أمام دفقة من أشعة الليزر .

عقد (خالد) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ــ هل ستقتلنى بمدفع ليزرىّ أيها الرائد (نور) ، يا عَدُوَّ العُنْف والدَّمار ، كما تقول عنك كتب التاريخ ؟

غمغم (نور) فى هدوء :

ــ إننى لم أقل هذا .

هتف (خالد) فى حِدَّة :

ــ إن (أمريكا) شاسعة متسعة .. كيف علمتم أننى سأكون فى (بلاك سعون) بالذات ؟

هزَّ (نور) كتفيه ، وهو يقول فى بساطة :

ـــ استنتاج محض أيها الوغد .

ثم استطرد بابتسامة ساخرة :

ـــ إنك تسعى للثروة والسيطرة ، ومن الطبيعى أن تتجه إلى أكبر مصادرهما فى (أمريكا) .. هل تعلم لماذا سُمّيت هذه المدينة باسم (بلاك ستون) ؟.. لأن البترول الذى يفيض فى أعماقها ، يتسلَّل أحيانًا إلى سطحها ، فيصبغ حجارتها بلونه الأسوَد ، ومن هنا جاء اسم البلدة .. (بلاك ستون) .. أى (الحجر الأسود) .. وكتب (الجيولوجيا) ـــ علم طبقات الأرض ـــ القديمة تقول إن الجبال المحيطة بـ (بلاك ستون) كانت أكبر مصدر للذهب واليورانيوم ، حتى النصف الأوَّل من القرن العشرين ، ومن الطبيعى أن تتجه إليها بحثًا عن الذهب ، والبترول ، واليورانيوم .

عقد (خالد) حاجبيه ، وهو يقول فى سخط :

ـــ من الواضح أنك حقًّا عبقرىٌّ أيها الرائد ، كما تقول عنك كتب التاريخ ، ولكننى سأبدِّل التاريخ أيضًا .. سأقتلك هنا ، وليس فى (مصر) كتاريخك .

ابتسم (نور) فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ إذا كانت كتب التاريخ تؤكِّد أننى سأموت فى (مصر) ، فهذا يعنى أننى لن ألقى حتفى على يديك هنا أيها الوغد ، أمَّا تاريخك أنت ، فلا يشير إلى لحظة ومكان موتك .

أطلق (خالد) ضحكة ساخرة ، قبل أن يقول :

ـــ وكيف ستقتلنى أيها الرائد ؟.. أنت تعلم أن المجال الكهرومغناطيسى الذى يحيط بى ، سيمنع رصاصاتك من الوصول إلى جسدى ، ثم إنك قد ابتعدت عن مدفعك الليزرىّ ، ولن أسمح لك بالعودة إليه أبدًا .

ابتسم (نور) ساخرًا ، وهو يقول :

ـــ إننى لا أحتاج إلى العودة إليه أيها الوغد .

وأشار إلى المسدَّس المعلَّق فى جرابه ، والذى يشبه تمامًا مسدَّسات الغرب القديم ، وهو يستطرد :

ـــ هذا المسدَّس البرىء المظهر ، الذى يبدو متناسقًا مع هذا العصر ، هو فى الواقع مسدَّس ليزرىّ ، وضعه رجال عصرك فى هذه الصورة ، التى لم أعلم أنا نفسى بها ، إلَّا حينما كنا نرتدى زِىّ الغرب .

هتف (خالد) فى حِدَّة :

ـــ هل تظن أننى سأترك لك فرصة التقاطه ؟

ابتسم (نور) فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ إننا فى الغرب يا (خالد) .. وسنفعلها على طريقة الغرب .

عقد (خالد) حاجبيه ، وهو يقول فى ريبة :

ـــ ماذا تعنى ؟

فرد (نور) ساقيه ، وأدنى كفّه على مقربة من مقبض مسدّسه ، وهو يجيب :

ـــ سنتواجه يا وغد القرن الخامس والثلاثين .. سيقف كل منا فى مواجهة الآخر ، وسيعدّ المأمور حتى ثلاثة ، ثم يطلق كل منا أشعته نحو الآخر ، ومن ينجح فى التقاط مسدّسه أوّلاً يربح ، ويقتل الآخر .

ظلّ حاجبا (خالد) معقودين بعض الوقت ، ثم افترّ ثغره عن ابتسامة شرِسة ساخرة ، وهو يقول :

ـــ ولِمَ لا ؟

وتحرّك فى حذَر إلى اليسار ، حتى أصبح فى مواجهة (نور) تمامًا ، وأدنى كفّه إلى مقبض مسدّسه بدَوْرِه ، وهو يستطرد فى صرامة :

ـــ ابدإ العدّ أيها المأمور .

تعلّقت أبصار سكان المدينة بهما ، وغمغمت (سلوى) فى توتُّر :

ـــ ماذا يحاول (نور) أن يفعل ؟

ربَّت (رمزى) على كتفها مطمئنًا ، وهو يقول :

ـــ لا عليكِ يا (سلوى) .. إن (نور) يعرف ما يفعل .

أومأت برأسها فى قلق ، وهى تغمغم :

ـــ أعلم ذلك ، ولكننى لا أستطيع أن أمنع نفسى من القلق .

ربَّت على كتفها مرَّة أخرى ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وفى عينيه تألّقت نظرة قلقة متوتّرة ، وهو يتطلّع إلى (نور) و (خالد) ، اللذين وقف كل منهما فى مواجهة الآخر ، فى حذَر وترقُّب ، والمأمور ينقل بصره بينهما فى توتُّر وتردُّد ، حتى عاد (خالد) يقول فى صرامة :

ـــ ابدإ العدّ أيها المأمور .

تطلّع المأمور إلى (نور) فى حَيْرة ، فقال فى هدوء :

ـــ هيَّا أيها المأمور .. ابدإ العدّ .

ران صمت تام على المدينة ، وتعلّقت كل العيون بالمتبارزَيْن ، فى حين بدأ المأمور (چاك) يغمغم فى توتُّر :

ــ واحد .. اثنان .. ثلـ....

وقبل أن يتمّ نطق الرقم الأخير ، التقط (خالد) مسدّسه ، وأطلق أشعة الليزر القاتلة ، نحو صدر (نور) ، صارخًا :

ــ مُتْ أيُّها الرائد .. مُتْ !!

* * *



٦ ــ الفرار الأخير ..

لجأ (خالد رضوان) كعادته إلى الخيانة والخداع ..

لقد سحب مسدَّسه قبل أن ينتهي المأمور من العدّ ، وأطلق أشعته الليزرية نحو صدر (نور) تمامًا ، ورأى الجميع الأشعة القاتلة ، وهي تتجه في خط مستقيم نحو قلب (نور) ، وشهقت (سلوى) في ذُعر ..

ثم حدث ما لم يتوقَّعه الجميع ..

حتى (خالد) اتسعت عيناه في ذُعر وذهول ، حينما انحرفت أشعة الليزر فجأة ، واتجهت نحو دائرة معدنية صغيرة ، تبدو كحلية أنيقة في حزام (نور) ، وتلاشت عندها تمامًا ..

وهتف (خالد) في ذهول :

ــ ما هذا بحق الشيطان ؟!

نهض (محمود) في ضعف ، ممسكًا بجرح ذراعه ، وهو يقول في سخرية واهنة :

ــ مستقطب ليزريّ بسيط يا دكتور (خالد) .. لا تقل

إنك تجهله .. إنه اختراع تافه ، بالنسبة لمنجزات العصر ، الذى أتيت منه .

عقد (خالد) حاجبيه ، وهو يصيح غاضبًا :

ــ هذا خداع .. لقد كنت تعلم أن أشعتى لن تصيبك .

قال (نور) فى سخرية :

ــ وأنت وأنا كنا نعلم أنك لن تنتظر نهاية العدّ .

ظلّ وجه (خالد) يحمل الغضب لحظات ، ثم انفجر فجأة فى ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

ــ لا بأس أيها الرائد .. لقد ربحت مع فريقك الجولة الثالثة أيضًا .

وبضغطة سريعة على القرص المستدير الصغير فى راحته ، تكوّنت حوله تلك الفقّاعة الزجاجيّة ، وهو يستطرد ساخرًا :

ــ ولكن جولتنا الرابعة ستكون الأخيرة أيُّها السّادة .. إلى اللقاء فى (باريس) القرن العشرين .

وفى لمحة بصر ، اختفت الفقّاعة ، وانتقل الصراع إلى عصرْ جديد ..

* * *

انتهى الدكتور (داڤيد) من انتزاع الرّصاصة من كتف (محمود) ، وتضميد جراحه ، ومسح كفّيه ، وهو يقول :



انحرفت أشعة الليزر فجأة ، واتجهت نحو دائرة معدنية صغيرة ، تبدو كحلية أنيقة فى حزام (نور) ، وتلاشت عندها تمامًا ..

ــ من حسن حظك أنها لم تخترق العظم يافتى .. لقد نجوت .

تنهَّد المأمور (چاك) ، وهو يقول :

ــ لقد نجونا جميعًا يادكتور (داڤيد) ، خاصة بعد أن أوقعنا بذلك اللِّص (كاسيدى) أيضًا .

ثم التفت إلى (نور) يسأله :

ــ كيف حدث كل هذا ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ــ لاتجعل هذا يقلقك أيها المأمور .. لن يمكننا أن نفهم كل ما يحدث حولنا .

عقد حاجبيه ، وهو يقول :

ــ ولكنكم تفهمونه .

ابتسمت (سلوى) ، وهى تقول :

ــ ينبغى للبعض أن يفهم .. أليس كذلك ؟

تبادل المأمور والدكتور (داڤيد) نظرة حائرة قلقة ، ثم سألهم الدكتور فى قلق واهتمام :

ــ من أنتم ؟.. من أى عصر أتيتم ؟

رفع (نور) سبَّابته أمام وجهه ، وهو يقول :

ــ لاجواب يادكتور (داڤيد) .

ثم أشار إلى رفاقه مستطردًا :

ــ هيَّا يارفاق .. لدينا موعد فى (باريس) .

هتف المأمور فى دهشة :

ــ (باريس) ؟!.. إنها تبعد آلاف الأميال عن هنا .

ضحكت (سلوى) ، وهى تقول :

ــ فقط ؟!.. كنت أظنها تبعد ملايين السنوات الضوئيَّة .

هتف الدكتور فى دهشة :

ــ الـ.... ماذا ؟

ربَّت (نور) على كتفه ، وهو يقول :

ــ سيعرف أبناؤك هذا المصطلح أيها الطبيب ، وسيدرسونه فى مدارسهم الابتدائية ، وسيلهو به أحفادك .

هتف الطبيب فى انفعال ، جعل كلماته تبدو أقرب إلى اللهاث .

ــ هل .. هل أنتم من المستقبل ؟

اتسعت عيون الجميع فى دهشة ، وتبادلوا نظرات حائرة ، ثم ربَّت (نور) على كتف الطبيب ، وقال مبتسمًا :

ــ أنت رجل ذكىّ أيها الطبيب ، ولكنك تملك خيالًا جامحًا .

ثم اتجه مع رفاقه إلى الخارج ، بصحبة الطبيب والمأمور ، وهو يستطرد :

ــ كنا نحبّ أن نناقش معك هذا الرأى أيها الطبيب ، ولكننا سنضطر الآن للانصراف ، حتى يمكننا اللّحاق بموعدنا فى (باريس) .

سأله المأمور فى اهتمام وإخلاص :

ــ هل تحتاجون إلى جياد ؟.. سيسعدنى أن ....

قاطعته (سلوى) ، وهى تقول مبتسمة :

ــ شكرًا أيها المأمور .. إنهم لا يستخدمون الجياد حيث سنذهب ..

وفى هدوء .. ضغط (نور) القرص الصغير ، فظهرت الفقّاعة الزجاجيّة فجأة وسط ساحة منزل الطبيب ، الذى تراجع مع المأمور فى ذُعر وذهول ، وهو يهتف :

ــ يا للسماء !!

وفى هدوء تقدّم (نور) ورفاقه إلى داخل الفقاعة ، ولوّحوا بأيديهم للطبيب والمأمور ، ثم اختفت بهم الفقّاعة فجأة ..

وبقى المأمور والطبيب طويلًا مفغورى الفاه ، جاحظى الأعين فى ذهول ، قبل أن يهتف الطبيب :

ــ إنهم من المستقبل .. من المستقبل ولا شك .

أمسك المأمور ذراعه فى قوّة ، وهو يقول فى صرامة :

ــ لا تفه بحرف واحد من هذا أيها الطبيب .. لا ينبغى لأىّ منا أن يشير إلى ما حدث هنا ، وإلّا فقدت (بلاك ستون) أمنها ، وتوافد عليها الآلاف من الباحثين عن الذهب ، ورجال العلم والتاريخ .. صدّقنى .. من الأفضل أن يبقى ما حدث فى (بلاك ستون) سِرًّا دفينًا ، لا يتجاوز أفواه سكّانها أبدًا .

عقد الطبيب حاجبيه مفكّرًا بعض الوقت ، ثم غمغم :

ــ أنت على حقّ .

واستدرك فى لهفة :

ــ ولكننى سأخبر صديقى (چورج ويلز) فى (كنت) بـ(إنجلترا) .. إن ولده (هربرت)(*) يهوَى مطالعة قصص (جولى فيرن) الخيالية العلمية ، وسأبلغه بهذا الحدث ، كما لو كان مجرّد فكرة لقصة خيالية علمية جديدة ، وأنا واثق من أن (هربرت چورج ويلز) ، ذا الأربعة عشر ربيعًا ، سيجد فيها متعة كبيرة ، وفكرة لقصة جديدة .

وعاد يعقد حاجبيه فى صرامة ، مستطردًا :

ــ أمّا نحن ، فلننس كل هذا .. فلننسه تمامًا .

* * *

(*) هربرت چورج ويلز : (١٨٦٦ ــ ١٩٤٦م) من كبار مؤلفى قصص الخيال العلمى فى أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين .. من أهم مؤلفاته (حرب العوالم) .. (أوّل من وصل إلى القمر) و ... (آلة الزمن) .

٧ ـ باريس .. المقاومة ..

ارتجف صوت (سلوى) ، وهى تتطلّع إلى برج (إيفل) ، وغمغمت فى صوت بالغ الخفوت :

ـ (نور) .. لم أكن أتصوَّر أننا سنصل إلى (باريس) ، فى هذا الزمن بالذات .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى همس :

ـ تماسكى يا (سلوى) .. إننا نحتاج إلى كل قوانا ؛ لنعثر على غريمنا هنا .

غمغم (رمزى) :

ـ صدّقنى يا (نور) .. أنا أيضًا أرتجف .

وتلفَّت (محمود) حوله ، وهو يقول فى توتُّر :

ـ التاريخ يقول إن هذه هى أبشع حقبة عاشتها (باريس) ، و (فرنسا) كلها ، منذ أوج الثورة الفرنسية .

ثم أشار إلى علم يتدلّى بطول بناية كاملة ، ذى لون أحمر قانٍ ، تتوسَّطه دائرة بيضاء ، تحمل صليبًا أسود معقوفًا ، مستطردًا :

ـ حقبة الاحتلال النازىّ .

سار الأُربعة متجاورين ، فى معاطفهم الواقية ، تحت المطر ، عَبْر شوارع (باريس) ، التى يعلن كل ركن فيها عن السيطرة النازيَّة ، التى بلغت أوجها عام ألف وتسعمائة وثلاثة وأربعين ، وبينما كانوا يجتازون أحد الشوارع الواسعة ، حدَّقت فى وجوههم فتاة فرنسيَّة شقراء ، بعينيها الزرقاوين فى ذُعر ، ثم اقتربت منهم فى خطوات سريعة ، واصطدمت بـ (سلوى) على نحو بدا عفويًّا ، واعتذرت بلغتها الفرنسية الرقيقة ، قبل أن تهمس فى توتُّر :

ـ ماذا تفعلون هنا بحق السماء ؟.. ألا تخشون الوقوع فى أيدى (الجستابو) ؟(*)

تبادلوا نظرات الدهشة ، قبل أن يسألها (نور) :

ـ وما شأن (الجستابو) بنا ؟.. إننا مواطنون فرنسيُّون و ....

عقدت الشقراء الفرنسية حاجبيها فى غضب ، وهى تقول :

ـ لا داعِى للموارَبة .. لست جاسوسة لهم .. إننى باريسية مخلصة .

(*) الجستابو : الشرطة الخاصة للحزب النازى ، فى عهد الرايخ الثالث .. اشتهرت فى عهد قائدها (هتلر) بالقسوة الشديدة فى استجواب الأسرى ، وانتزاع المعلومات بأى ثمن .

سألها (رمزى) فى توتُّر :

ــ ماذا تعنين ؟

هتفت فى صوت خافت :

ــ لا داعِىَ لإضاعة الــوقت .. إن صُوَرَكم تملأ كل الطرقات .. إنهم يضعون مكافأة ضخمة ثمنًا لكم .. هيَّا .. اتبعونى .

تبعها الجميع فى خطوات سريعة ، وهم يتساءلون عمَّا تعنيه كلماتها ، حتى وصلوا إلى حانة مغلقة ، دقَّت الفرنسية بابها ثلاث دقَّات بطيئة متتابعة ، وهى تتلفَّت حولها فى قلق ، حتى فُتح باب الحانة ، فاندفعت داخلها ، وهى تقول :

ــ هيَّا ..

تبعها (نور) ورفاقه فى سرعة ، ثم أسرع الفرنسى القصير ، الأصلع الرأس ، الذى فتح الحانة ، يغلقها فى سرعة ، وهو يسأل الفرنسية :

ــ ماذا هنـاك ؟

خلعت معطفها ، وأشارت إلى أفراد الفريق ، وهى تقول :

ــ لقد أحضرت لك هدية يا (چان بول) .

تطلَّع (چان بول) إلى وجوه (نور) ، و (سلوى) ، و (رمزى) ، و (محمود) فى دهشة ، ثم هتف :

ــ يا إلٰهى !!.. من أين أتيت بهم ؟

زفرت قبل أن تقول :

ــ لقد كانوا يجوِّلون بالقرب من هنا .

اتسعت عينا (چان بول) ، وهو يهتف :

ــ يجوِّلون ؟!

ثم عقد حاجبيه ، مستطردًا فى سخط :

ــ هل يئستم من الحياة إلى هذا الحد ؟

سأله (نور) فى هدوء :

ــ منذ متى طلب النازيون إلقاء القبض علينا ؟

هتفت الفرنسية :

ــ منذ متى ؟! .. هل جئتم من عالم آخر أيها السادة ؟ .. إن صوركم تملأ الطرقات منذ عامٍ كاملٍ .

تبادل (نور) وفريقه نظرات دهشة عارمة ، ثم سألها (رمزى) :

ــ أأنتما واثقان من أنها صورنا نحن ؟

مطَّت الفرنسية شفتيها ، قائلة :

— يا للسخافة !!

ثم اتجهت إلى بار الحانة ، والتقطت من درج سرّىّ فيه بضع لافتات ، ناولتها لهم مستطردة :

— ها هى ذى الصور .. ما رأيكم ؟

اتسعت عيون الجميع فى دهشة ، وهم يتطلّعون إلى صُوَرهم ، التى لا تقبل الشك ، والتى تحمل كلمات فرنسية وألمانية تؤكد خطورتهم ، وضرورة إلقاء القبض عليهم .

وغمغم (محمود) فى حَيْرة :

— كيف تم إعلان ذلك منذ عام كامل ، ونحن لم نصل إلى (باريس) قبل اليوم .

أجابته الفرنسية فى سخرية :

— لا أحد يمكنه أن يجيب هذا السؤال سواكم أيها السادة .

ثم ابتسمت مستطردة :

— ولكن مما لا شك فيه أننا زملاء كفاح ، ما دام النازيُون يطلبون رءوسكم .

ران الصمت طويلًا ، قبل أن يسألها (نور) :

— هل يوجد بين قادة النازيين هنا رجل ممشوق القوام ، متين البنيان ، نافذ النظرات ، صارم الملامح ، هو الذى أمر بإلقاء القبض علينا ؟

تبادل (چان) نظرة حائرة مع الفرنسية ، وغمغم :

— ما الذى يعنونه يا (برچيت) ؟

عقدت (برچيت) حاجبيها ، وهى تقول فى شك :

— لست أدرى .

ثم واجهت (نور) ورفاقه ، وهى تسألهم فى صرامة :

— لماذا يطلب النازيون رءوسكم أيها السادة ؟ .. إننا لم نسمع عن منجزاتكم فى مقاومتهم أبدًا .

غمغمت (سلوى) فى حَيْرة .

— نحن أيضًا لا ندرى .

فتحت الفرنسية فمها ، وهمّت بقول شىء ما ، لولا أن قاطعتها طرقات قويّة على الباب ، وصوت ألمانى صارم ، يقول بفرنسية ركيكة :

— (چستابو) .. افتحوا الباب .. سنفتش المكان .

شحب وجه (چان) ، وانعقد حاجبا الفرنسية فى صرامة ، وانتزعت من طيّات ثوبها مسدّسًا قويًّا .. صوّبته إلى رأس (نور) ، وهى تقول فى غضب :

— لقد عرفت الآن من أنتم .. أنتم جواسيس للإيقاع بنا .. جواسيس يستحقّون الموت .

* * *



أوقفها (نور) بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول :
ـ مهلًا ..! إننا نجابه خطرًا واحدًا ، ولا ينبغى لنا أن نتقاتل ..

واصل رجال (الجستابو) قرعهم لباب الحانة فى عنف ، فى حين جذبت الفرنسية إبرة مسدَّسها ، وهى تستطرد فى صرامة :

ـ لن نقضىَ وخذنا أيها السَّادة .. ستموتون برصاصات مسدَّسى أوَّلًا قبل أن ....

أوقفها (نور) بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول :

ـ مهلًا .. إننا نجابه خطرًا واحدًا ، ولا ينبغى لنا أن نتقاتل .

هتفت الفرنسية فى حَنَق ، مع تصاعد ضربات رجال (الجستابو) على باب الحانة :

ـ لا تواصل الخداع .

صاح (نور) فى صرامة :

ـ ولا تواصل أنت السخافة .. أنت من المقاومة الفرنسية .. أليس كذلك ؟

تطلَّعت إليه فى ريبة ، فى حين غمغم (جان بول) :

ـ إنها (برجيت) .. زعيمة المقاومة فى (باريس) .

هتف (نور) :

ـ تشرَّفنا بمعرفتها .. هل لديكم أسلحة هنا ؟

صاحت (برجيت) فى حِدَّة :

ـ أما زلت تواصل الـ .....

قاطعها (رمزى) :

ـ لا وقت يا سيِّدتى .. إننا نحتاج إلى التعاون ؛ للفرار من هذا الموقف ، فرجال (الجستابو) لن يصبروا طويلا ، سينسفون الباب بعد قليل .

تردَّدت (برچيت) لحظات ، ثم حسمت أمرها ، وقالت فى حزم :

ـ هناك خمسة مدافع رشَّاشة خلف البار .

أسرع (چان بول) يحضر المدافع الرشَّاشة ، وناولها إلى (نور) ورفاقه ، و (برچيت) ، واحتفظ لنفسه بأحدها ، فى حين أخرج (نور) من معطفه مسدَّسه الليزرىّ ، الشبيه بمسدَّسات الغرب ، وناوله لـ (سلوى) ، وهو يقول :

ـ سيكون هذا أكثر فعالية يا عزيزتى .

لم يكد يتم عبارته حتى حطَّم رجال (الجستابو) باب الحانة ، وبدأت المعركة ..

* * *

٨ ـ الجحيم النازىّ ..

جحيم رهيب اندلع داخل الحانة الصغيرة ..

جحيم من الرصاصات، والنيران والدُّخَان .. وخيط واحد من أشعة الليزر ..

لم تطلق (سلوى) سوى دفقة واحدة من مسدَّسها الليزرىّ ، ثم تجمَّدت أصابعها حول مقبضه ، حينما وجدت نفسها تقتل وتريق الدماء عمدًا ..

أما (نور) ، و (رمزى) ، و (محمود) ، و (برچيت) ، فقد قاتلوا فى شراسة ، دفاعًا عن حياتهم وحريتهم ..

ولقى (چان بول) مصرعه مع بدء القتال ..

وأصيب (نور) برصاصة فى ذراعه ، وأصيبت (برچيت) بأخرى فى كتفها ، ثم صاح (نور) فجأة فى صرامة ، وباللغة العربية :

ـ سأقوم بهجوم خاصّ يا (رمزى) ، وسيعمل (محمود) على تغطيتى ، وحاول أنت و (سلوى) و (برچيت) أن تفروا من هنا .

التفت (رمزى) إلى (برچيت) ، وصاح بها :

ــ هل توجد وسيلة للفرار من هنا ؟

هتفت (برچيت) :

ــ نعم .. ولكننا نحتاج إلى من يغطِّى انسحابنا .

صاح (محمود) :

ــ اذهبوا إذن ، وسأغطِّى مع (نور) انسحابكم .

تردَّدت (برچيت) لحظة ، ثم قالت فى حزم :

ــ اتبعونى .

هتفت (سلوى) فى جزع :

ــ و (نور) ؟!

صاح بها (نور) فى صرامة :

ــ اذهبى .

واندفع (رمزى) و (سلوى) خلف (برچيت) ، إلى مخزن الحانة ، ودفعت (برچيت) المدفأة ، وهى تقول :

ــ هيًا .. المخبأ هنا .. سندلف منه إلى ممرَّات الأنفاق السرِّيَّة للمقاومة و .....

صاحت (سلوى) فى هلع :

ــ هل نترك (نور) ؟

دفعتها (برچيت) داخل المخبإ ، وهى تقول فى صرامة :

ــ هيًا .. لا وقت للحبِّ والبكاء .

وأغلقت المخبأ خلفهم فى إحكام ..

وفى نفس اللحظة شعر (محمود) بعقم المقاومة ، وأعداد المهاجمين تتزايد فى سرعة كبيرة ، فهتف فى جزع ، وهو يطلق آخر ما تبقى من رصاصات فى مدفعه الرشَّاش :

ــ استخدم مسدَّسك الليزرىّ يا (نور) .. ربَّما زاد هذا من فرصة نجاتنا .

غمغم (نور) فى حَنَق :

ــ إنه مع (سلوى) يا (محمود) .

هتف (محمود) فى ذُعر :

ــ يا إلٰهى !! .. لقد انتهينا إذن .

لم يكد يتم عبارته ، حتى نفدت ذخيرته ، فألقى مدفعه فى سخط ، مستطردًا :

ــ حتمًا .

أدرك (نور) على الفور أن مدفعه الرشاش لن يواصل الإطلاق طويلًا ، فتوقَّف عن إطلاق النار ، وهتف فى سخط :

ــ إننا نستسلم .

توقَّف إطلاق النار من الجانب الآخر على الفور ، وارتفع صوت ألمانى صارم يقول :

ــ اخرجوا من الحانة مرفوعى الأيدى ، وتقدَّموا فى بطء شديد .

رفع الاثنان أيديهما فوق رأسيهما ، وغمغم (محمود) فى حنق ، وهو يتقدَّم ــ إلى جوار (نور) ــ إلى الخارج :

ــ كنت أفضِّل الموت ، عن الوقوع فى أيدى (الجستابو) .

أجابه (نور) فى هدوء :

ــ من يدرى يا (محمود) ؟.. ربَّما كان بقاؤنا أحياء هو فرصتنا الأخيرة ، لاقتناص شيطان العصور هذا .

صوَّب رجال (الجستابو) فوَّهات مدافعهم الرشاشة إليهما ، حينما غادرا الحانة ، وأسرع بعضهم يفتشهما ، للتأكُّد من أنهما لا يحملان أيَّة أسلحة ، ثم تقدَّم منهما ضابط من (الجستابو) ، بارد الملامح ، صارم النظرات ، يرتدى زِيَّه العسكرىَّ الأسود ، وحول ذراعه اليسرى يلتف علم نازى صغير ، وتأملهما فى برود ، قبل أن يقول :

ــ هل كنتما وحدكما ؟

أجابه (نور) بالفرنسية :

ــ نعم ..

عاد الرجل يتأملهما مرة أخرى فى برود ، ثم قال فى بطء :

ــ لقد أكَّد مرشدنا أنه قد رأى الأربعة المطلوبين يدخلون إلى الحانة ، برفقة فرنسية يُشتبه فى أنها من المقاومة الفرنسية ، فأين الباقون ؟

غمغم (محمود) فى حِدَّة :

ــ يبدو أن مرشدكم هذا يحتاج إلى منظار طبِّىّ ، فلم يكن هناك سوانا ، وصاحب الحان ، الذى لقى مصرعه بالداخل .

حَدَجه ضابط (الجستابو) بنظرة صارمة ، قبل أن يقول فى غضب مكتوم :

ــ لولا أن الجنرال (فريدريش) يصرّ على استجوابكما بنفسه ، لقطعت لسانك أيها الحقير .

ثم التفت إلى رجاله ، مستطردًا فى حزم :

ــ خذوهما إلى بيت الثعالب(*) .. سنعرف كيف نرغمهما على الحديث هناك .

* * *

(*) بيت الثعالب : اسم كان يُطلق على مقر المخابرات الألمانية ، أو (الجستابو) ، فى زمن الحرب العالمية الثانية .

انخرطت (سلوى) فى بكاء عنيف ، وهى تقول فى لوعة :

ـــ لقد تركنا (نور) خلفنا .. لقد تخلينا عنه .

صاحت بها (بريجيت) فى صرامة غاضبة :

ـــ كفَى .. إننى أكره البكاء فى زمن الحرب .

صرخت (سلوى) :

ـــ إنه زوجى .

هتفت (بريجيت) :

ـــ كثيرات فقدن أزواجهنّ فى الحرب .. يكفيك أنه قد مات بطلًا .

ارتجف قلب (سلوى) للعبارة ، وعجزت عن النطق ، واكتفت بالتطلّع إلى عشرات الوجوه ، من رجال المقاومة الفرنسية ، الذين يتطلّعون إليها ، وإلى (رمزى) فى شك وحَذَر ، وسالت الدموع الحارَّة من عينيها فى صمت ، فى حين اندفع أحد رجال (بريجيت) إلى مخبأ المقاومة ، وهو يهتف :

ـــ لقد ألقى رجال (الجستابو) القبض عليهما يا (بريجيت) .

ارتجف قلب (سلوى) ، وهتفت فى أمل :

ـــ أحياء ؟!

أومأ رجل المقاومة الفرنسىّ برأسه إيجابًا فى حماس ، وهو يقول :

ـــ نعم .. أحياء .. لقد استسلما ، ووقعا فى يد ضابط (الجستابو) (كارل مانهايم) ، ولقد اصطحبهما إلى بيت الثعالب .

غمغمت (بريجيت) فى جزع :

ـــ يا إلٰهى !!

سألتها (سلوى) فى توتُّر شديد :

ـــ ماذا يعنى هذا ؟

أجابتها (بريجيت) فى عصبية :

ـــ يعنى أن الموت كان أفضل لهما ، فبيت الثعالب هذا هو مقرّ (الجستابو) ، ومكتب المخابرات الألمانية فى الوقت ذاته ، و (كارل مانهايم) هذا هو أكثر ضباط (الجستابو) وحشية وساديَّة ، حتى أنهم يطلقون عليه لقب (الجزَّار) ، وهو لن يتوانى عن بتر أطراف زميليكما قطعة قطعة ، حتى يحصل منهما على ما يريد .

امتقع وجه (سلوى) ، وهى تغمغم فى رعب هائل :

ـــ يا إلٰهى !! يا إلٰهى !!

وتردَّد صوت بكائها عَبْرَ الزمن .. وعَبْرَ العصور .

* * *

جلس (كارل مانهايم) خلف مكتبه الصغير ، يتطلَّع إلى وجهى (نور) و (محمود) فى برود ، قبل أن يسألهما فى هدوء مخيف :

ـ ماعلاقتكما بالمقاومة الفرنسية ؟

أجابه (محمود) فى حِدَّة :

ـ لاعلاقة لنا على الإطلاق .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (كارل) ، وهو يقول :

ـ أدهشتنى يافتى !!.. لاعلاقة لكما بالمقاومة ، وعلى الرغم من ذلك فقد أطلقتما النارَ علينا ، طوال ربع ساعة كاملة ، وقاومتمانا مقاومة عنيفة !!

سأله (نور) فى برود :

ـ هل لى أن أعلم جريمتنا بالضبط ؟

رفع (كارل) حاجبيه فى دهشة ، وقال فى سخرية :

ـ جريمتكما ؟!.. ألَّا تعدَّان مقاومة رجال (الجستابو) جريمة ؟

قال (نور) بنفس البرود :

ـ وإنما أَعْنى الجريمة التى عُلِّقت بسببها صورنا فى كل مكان ، ووُضِعَتْ مكافأة كبيرة ثمنًا لنا .

عقد (كارل) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ هل تسخر من ذكائنا أيها الفرنسى الحقير ؟.. أنت وزميلك تعلمان لماذا كنا نبحث عنكما منذ عام كامل .

وضرب سطح قبضته براحته ، مستطردًا فى حِدَّة :

ـ أنتما ، والرجل والمرأة الآخران زعماء المقاومة الفرنسية .

هتف (محمود) فى دهشة :

ـ نحن ؟!

ثم استطرد فى حنق :

ـ من أخبرك بهذا الهُرَاء ؟

نهض (كارل) من مقعده ، وعقد كفيه خلف ظهره ، واقترب من (نور) و (محمود) ، حتى وقف أمام هذا الأخير تمامًا ، وحدَّق فى عينيه بصرامة ، وهو يقول :

ـ رجال (الجستابو) لا يعبثون يافتى .. إننا نعلم عنكم كل شىء منذ عام كامل . ودَعْك من محاولات الإنكار هذه .

وامتلأ صوته بمزيج من السخرية والجذل ، وهو يستطرد :
ـ حينما أنتزع أظفارك ، وأقتلع إحدى عينيك ، ستجد لديك ميلًا شديدًا لسرد كل ما تعرفه بالتفصيل و ....
قاطعه (محمود) غاضبًا :
ـ أيها الحقير .
هتف (نور) فى قلق :
ـ كَفَى يا (محمود) .
إلَّا أن (محمود) استطرد فى حِدَّة وغضب :
ـ إن الحيوانات أمثالك يستحقون الموت .. أنتم جميعًا تستحقون هزيمتكم أمام الحلفاء .
أمسك (كارل) سترة (محمود) فجأة بقبضته ، وجذبه إليه ، وهو يقول فى غضب :
ـ لن تُهزم (ألمانيا) العظمى أيها الوغد .. لن تُهزم أبدًا .
شعر (نور) بالقلق ، وخشى أن يتمادى (محمود) ، فعاد يهتف به :
ـ كَفَى يا (محمود) .
ولكن الغضب الذى شعر به (محمود) ، جعله يصيح فى وجه (كارل) فى شماتة :

ـ كم أحب أن أرى وجهك بعد أن يهبط الحلفاء هنا ، ويسترجعون (باريس) ، وبعد أن تستسلم ألمانيا كلها ، وينتحر (هتلر) و ....
اتسعت عينا (كارل) فى ذهول ، وصاح فى استنكار شديد :
ـ ماذا تقول ؟
ثم ضاقت عيناه الزرقاوين ، وامتلأتا بلهفة شديدة ، وهو يستطرد فى انفعال :
ـ يبدو أنك أكثر خطورة مما كنت أتصوَّر ، ومما يوحى به مظهرك الهادئ .. إنك تعلم الكثير .. تعلم ما يمكنه أن يُغيِّر مجرى الحرب تمامًا .
غمغم (نور) فى توتُّر :
ـ إنه لا يعلم شيئًا .. ما هى إلا كلمات ولَّدها الغضب .
صاح به (كارل) فى صرامة :
ـ إننى لم أطلب رأيك .
ثم عاد يجذب إليه (محمود) فى عنف ، مستطردًا فى انفعال :
ـ ما الذى تعرفه عن هبوط الحلفاء هنا يا فتى ؟

عقد (محمود) حاجبيه ، وقد أدرك ماتورَّط فيه ، وغمغم فى توتُّر :

ـ لست أعرف شيئًا .

ارتسمت على شفتى (كارل) ابتسامة شرسة ، وهو يقول :

ـ هكذا ؟!

ثم التقط من فوق مكتبه مُدية ، رفع نصلها إلى عين (محمود) اليسرى ، قائلًا فى وحشية :

ـ إننى أعرف كيف أحلّ عقدة لسانك .

وأطلق ضحكة ساخرة ، مستطردًا فى صوت سادىّ مخيف :

ـ بعد أن أقتلع عينك .

واندفع نَصل مُديته نحو عين (محمود) ..

* * *



ثم التقط من فوق مكتبه مُدية ، رفع نصلها إلى عين (محمود) اليسرى ..

٩ ــ لقاء الشيطان ..

عقدت (برچيت) حاجبيها فى صرامة ، وحَدَجَت (رمزى) بنظرة شديدة الحزم ، قبل أن تقول فى حِدَّة :

ــ إذن فأنت تريد أن نخاطر بمهاجمة بيت الثعالب ؛ لإنقاذ زميلك .. أليس كذلك ؟

أجابها (رمزى) فى هدوء :

ــ بالضبط ، ولقد وضعت خُطَّة لذلك .

صاحت فى غضب :

ــ خطة ؟! .. أية خطة ؟! .. ألا تعلم ما هو بيت الثعالب .. إنه أكثر المناطق التابعة للنازيين حصانة .. إنهم يطلقون النار بلا تردُّد على من يقترب منه ، فما بالك بمن يحاول اقتحامه !؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (رمزى) ، وهو يقول :

ــ عجبًا !! .. كنت أظن رجال المقاومة شجعان .

صاحت فى حِدَّة :

ــ إنهم كذلك ، ولكنهم ليسوا مجانين .

تدخَّلت (سلوى) ، قائلة فى توتُّر :

ــ وما الجنون فى ذلك ؟ .. ألم تقوموا بتحطيم خط السكك الحديدية فى (مرسيليا) ؟ .. ألم تهاجموا معسكر تدريب ألمانى و ... ؟

قاطعتها (برچيت) فى حَنَق :

ــ اقتحام بيت الثعالب يختلف .

سألها (رمزى) فى اهتمام :

ــ كيف ؟

زفرت فى ضيق ، وتطلَّعت فى توتُّر إلى رجال المقاومة ، الذين وقفوا صامتين ، يتطلَّعون إلى ذلك الحوار فى اهتمام ، وهم يستندون إلى مدافعهم الرشَّاشة ، ثم قالت فى انفعال :

ــ هؤلاء (الجستابو) الملاعين يحيطونه بوسائل الأمن محكمة للغاية ، فلا يدخل إلى مقرِّهم إلَّا من يعتقلونه ، أو رجالهم ، أو زائروهم من كبار الجنرالات الألمان ، وفى الحالة الأخيرة يحتِّم أسلوبهم الاتصال بهم ، قبل موعد الزيارة بأربعة وعشرين ساعة على الأقل ، وتحديد اسم الزائر ورتبته ، والغرض من الزيارة ، ويتمّ ذلك عن طريق موجة لاسلكية سِرِّيَّة ، لم ننجح فى كشفها بعد ، وبعد أن يتم إبلاغهم ،

يتصلون هم بمصدر الإبلاغ ، ويتأكَّدون من صحة الرسالة . وبعدها يمكن للزائر الذهاب إليهم .

عقدت (سلوى) حاجبيها فى تفكير ، وهى تغمغم :

ـ إذن فالعقدة تكمن فى معرفة تلك الموجة السِّرِّيَّة .

مطَّت (برچيت) شفتيها ، وهى تغمغم :

ـ هذا أحد التعقيدات الشديدة ولا شك .

تبادلت (سلوى) نظرة خاصَّة مع (رمزى) ، حملت الكثير من الأمل ، قبل أن تقول فى لهفة :

ـ حسنًا يا (برچيت) .. فى هذه الحالة سأحتاج إلى بعض أجهزة اللاسلكى .

سألتها (برچيت) فى دهشة :

ـ لماذا ؟!

تنهَّدت (سلوى) ، قبل أن تجيب فى حماس :

ـ سأحطِّم الأسطورة .. سأمهِّد لكم الطريق إلى بيت الثعالب .

* * *

كان من المستحيل أن يقف (نور) ساكنًا ، و (كارل) يقتلع عين زميله (محمود) بنصل مُديته ..

صحيح أنه كان هناك خمسة من الجنود الألمان ، يصوِّبون إليه فوَّهات مدافعهم الرشَّاشة ، ولكن هذا لم يكن ليعوقه عن إنقاذ زميله ..

إنه لم يكد يرى (كارل) ، وهو يدفع نصل مديته نحو عين (محمود) ، حتى انقضَّ عليه بلا تردُّد ، فأمسك بمعصمه ، يمنع المدية من مواصلة طريقها ، ثم لكم (كارل) بكل ما يملك من قوَّة على فكِّه ..

وكاد جنود (الجستابو) يطلقون النار على (نور) ، لولا أن (كارل) كان يحول بينهم وبينه ، وهو يمسك فكَّه ، ويصرخ فى ثورة :

ـ أيها الحقير .. كيف تجرؤ ؟!! ..

ثم صرخ فى رجاله :

ـ أمسكوا به .. أُريد هذا الوغد حيًّا .

انقضَّ الرجال الخمسة على (نور) ، الذى كال لأوَّلهم لكمة ساحقة ، وركل الثانى فى معدته ، قبل أن يهوى الثالث على مؤخرة رأسه بكعب بندقيته ، فيلقيه أرضًا ، وانقضَّ عليه (كارل) ، وجذبه من سترته فى سخط هائل ، وصرخ وهو يلوِّح بمديته فى وجهه :

ـ هل تجرؤ على مهاجمة أحد ضبَّاط (الجستابو) أيُّها الحقير ؟! .. وأين ؟ .. فى مكتبه داخل بيت الثعالب ؟! .. إنك ستدفع ثمن ذلك .

لم يعد هناك ما يخسره (نور) ، فقد كان يعلم أن وحشًا ـ مثل (كارل مانهايم) ـ لن يغفر له ذلك أبدًا ؛ لذا فقد لكمه فجأة بين عينيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ اذهب إلى الجحيم .

سقط (كارل) أرضًا ، وهو يسبّ ساخطًا ، وقفز (نور) واقفًا على قدميه ، استعدادًا لملاقاة الرجال الخمسة ، الذين عادوا ينقضُّون عليه فى شراسة ، واندفع (محمود) يحاول معاونته ، ولكنَّ الرجال الذين امتلأت قلوبهم بالسخط والغضب ، تحوَّلوا إلى وحوش آدميَّة ، فانهالوا بكعوب مدافعهم الرشاشة على (نور) و (محمود) ، بكل قوَّة وغضب ، حتى سقط بطلانا أرضًا ، وكل خليَّة فى جسديهما تئن وتتأوَّه ..

وصرخ (كارل) :

ـ أمسكوهما .. أريدهما تحت رحمتى .

أمسك رجاله (نور) و (محمود) فى إحكام ، والتقط هو مُديته فى شراسة ، ورفعها فى وجهيهما ، وهو يقول فى غضب وشماتة :

ـ يا لكما من غبيَّين !! .. لقد كنت أنوى اقتلاع عين كل منكما اليسرى فحسب ، أمَّا الآن فسأقتلع عينيكما ولسانيكما أيضًا و .....

فاطعه صوت صارم يقول فى حزم :

ـ ليس الآن يا (كارل) .

التفت الجميع إلى مصدر الصوت ، واتسعت عينا (نور) و (محمود) فى دهشة ..

لقد كان أكبر سنًّا على نحو واضح ، وامتدَّ الشيب إلى شعره كله ، إلا قليلًا ، ولكنه كان هو ..

كان الشيطان (خالد رضوان) ، فى زىّ جنرالات النازية ..

* * *



١٠ ــ جنرال (هتلر) ..

كانت مفاجأة حقيقية هذه المرّة ..

كان (خالد رضوان) يرتدى زيًّا يؤكّد أنه يحتل مكانة مرموقة ، وسط جنرالات (هتلر) ..

هذا الشحوب الذى اعترى (كارل) ، والخوف والاحترام ، اللذان امتزجا فى وجوه جنوده ، كل ذلك كان يؤكد رفعة مكانته ، وشدة سطوته ..

ولقد كان يقف فى شموخ ، عاقدًا كفَّيه خلف ظهره ، ومتطلّعًا إلى الجميع فى صرامة ، ومضت فترة من الصمت ، قبل أن يغمغم (كارل) :

ــ إنهما اثنان من زعماء المقاومة ، الذين أمرتنا بالبحث عنهم يا جنرال (فريدريش) .

صمت (خالد) لحظة ، وهو يَحْدِجُه بنظرة صارمة ، ثم قال فى برود :

ــ ولكننى لست أذكر أننى قد أمرتك باقتلاع عيونهم ، أو قطع ألسنتهم يا (كارل) .

صاح (كارل) فى غضب :

ــ لقد هاجمانا ، وقاتلانا هنا و .....

قاطعه فى حزم صارم :

ــ هل تجد هذا كافيًا لعصيان أوامرى .

شحب وجه (كارل) ، وغمغم فى اضطراب :

ــ كلّا يا جنرال (فريدريش) .. كلّا بالطبع .

تجاهله (فريدريش) تمامًا ، والتفت إلى أحد الجنود ، قائلًا فى لهجة آمرة صارمة :

ــ أوثقهما بالأغلال ، وليخرج الجميع من الحجرة .

أسرع الجندى يُوثق معصمى كل من (نور) و (محمود) ، خلف ظهريهما ، بأغلال حديدية ، ثم انصرف الجنود الخمسة من الحجرة ، بعد أن ألقَوْا التحيَّة العسكريَّة النازيَّة ، وبقى (خالد) و (كارل) ، فحَدَجَ الأوَّل الأخير بنظرة باردة صارمة ، وهو يقول :

ــ قلت الجميع يا (كارْل) .

غمغم (كارل) فى احتجاج :

ــ إنهما فى بيت الثعالب يا جنرال ، وقانون (الجستابو) يقضى بوجود أحد ضباطنا ، فى أثناء استجواب أحد الـ....

قاطعه (خالد) فى صوت صارم قوىّ :

ـ الجميع يا (كارل) .

امتقع وجه (كارل) ، ثم لم يلبث أن احتقن غضبًا ، وهو يؤدِّى التحيَّة العسكرية ، واندفع خارج الحجرة فى عصبية واضحة ، فابتسم (خالد) فى ظَفَر ، والتفت إلى (نور) و (محمود) ، قائلًا فى سخرية :

ـ ما رأيكما ؟

أجابه (نور) فى سخرية مماثلة :

ـ من الواضح أنك تحوز سلطة مخيفة ، فى العهد النازىّ يا وغد القرن الخامس والثلاثين .

ابتسم (خالد) ، واستقرَّ خلف مكتب (كارل) ، وهو يقول فى غطرسة :

ـ لقد أحسنت اللُّعبة هذه المرَّة أيها الرائد .. لقد تنبَّهت بعد جولتنا الثالثة إلى أنكم تتبعون خطواتى ، عَبْرَ برنامج خاصَ فى فقّاعتكم ، يربطكم بفقّاعتى ؛ لذا فقد أجريت تعديلًا على برنامج فقّاعتى ، جعلنى أصل إلى (ألمانيا) بدلًا من (فرنسا) ، وقبل خمس سنوات من وصولكم .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يغمغم فى دهشة :

ـ قبل خمس سنوات ؟!



ابتسم (خالد) ، واستقرَّ خلف مكتب (كارل) ، وهو يقول فى غطرسة :

ـ لقد أحسنت اللعبة هذه المرَّة أيها الرائد ..

أومأ (خالد) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ نعم أيها الرائد .. لقد وصلت إلى (ألمانيا) ، قبل بدء الحرب العالمية الثانية ، ونجحت فى كسب ثقة (أدولف هتلر) بلُعبة بارعة ، فهو كما تعلمون من كتب التاريخ ، يؤمن تمامًا بالعرّافين ، وقُرّاء الطالع ، ورجل من المستقبل مثلى يمكنه أن يبهره ، ولقد فعلت إلى الحد الذى جعله يلحقنى بجهاز المخابرات الألمانية .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، مزهوّة ، وهو يستطرد :

ـ ويمكنكما أن تقولا إنه لولا إرشاداتى وآرائى ، ما أقدم (هتلر) على إشعال الحرب العالمية الثانية .

سأله (نور) فى حِدّة :

ـ وماذا ستفعل عندما تخسر (ألمانيا) الحرب ؟

أطلق (خالد) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

ـ ومن قال إنها ستفعل ؟

واعتدل مستطردًا فى انفعال وفخر :

ـ هل تعلم كيف انتصر الحلفاء يا فتى ؟ .. هناك ثلاثة أسباب .. هزيمة الجيش الألمانى فى الأصقاع الروسية ، وغزو

(نورماندى) ، والقنبلة الذرية .. وخطتى لتغيير التاريخ ، والحصول على النصر لـ (ألمانيا) ، تعتمد على تحطيم هذه الأسباب الثلاثة .

ونهض من مقعده ، مستطردًا فى اعتزاز :

ـ وسأدحض هذه الأسباب الثلاثة .. سأدفع (هتلر) لمواصلة هجومه الصيفى على (موسكو) ، حتى يربح المعركة قبل بدء الشتاء ، واستعادة الروس لقوّتهم وأنفاسهم ، وسأفضح سرّ غزو (نورماندى) فى الوقت نفسه ، بحيث يفشل الحلفاء فى ذلك الغزو ، الذى جعلهم يستعيدون (أوروبا) .. أما بالنسبة للقنبلة الذرية ، فسأعمل على أن يتوصّل إليها الألمان قبل الحلفاء .

سأله (محمود) فى حِدّة :

ـ وبِمَ ستفيدك رفعة الألمان ؟

أُطلق (خالد) ضحكة ساخرة ، قبل أن يقول :

ـ يا له من سؤال !! .. هل تعلم أى منصب أحتلُّ الآن يا فتى ؟! .. إننى الجنرال (فريدريش هولدشتاين) ، مدير المخابرات الألمانية فى أوروبا كلها ، والرجل الثالث بعد (هتلر) و (هملر) .. وبعد انتصار (ألمانيا) سيكون من

السهل علىَّ أن أتخلص منهما ، وأحتلَّ مركز الصدارة ، وبعلومى المتفوِّقة سأصبح سيِّد العالم بلا منازع .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ لا أحد يمكنه تغيير التاريخ يا (خالد) .

أطلق (خالد) ضحكة ساخرة أخرى ، وقال :

ــ دعنى أحاول على الأقل أيها الرائد .

عاد (نور) يقول فى حزم :

ــ مُحال يا (خالد) .. لا أحد يمكنه تغيير التاريخ .

غمغم (محمود) فى توتُّر :

ــ هذا ينطبق على تاريخ الكوكب الواحد يا (نور) ، وليس على تاريخ الكواكب الشبيهة .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى ضيق واضح :

ــ لا توجد كواكب شبيهة يا (محمود) .. لقد كنا ضحية خدعة أخرى ..

شحب وجه (محمود) ، وهو يغمغم :

ــ هل تعْنى أننا ....؟!

قاطعه (نور) فى حَنَق :

ــ نعم يا (محمود) .. إننا لم نغادر كوكب الأرض أبدًا .. لقد كنا نجوب عَبْر الزمن .. لا عبر الكواكب .

* * *

١١ ــ زمن اللازمن ..

لم يستوعب (محمود) الأمر للوهلة الأولى ، ثم لم يلبث أن أدرك ما يعنيه (نور) ، فهتف فى ذعر :

ــ يا إلٰهى !!

أمَّا (خالد) فقد عقد حاجبيه ، وأخذ يتطلَّع إليهما فى حَيْرة ، فى حين قال (نور) فى ضيق :

ــ كان ينبغى أن أدرك ذلك منذ البداية .. لو أن (خالد رضوان) قد فرّ إلى كوكب آخر ، ما كان ذلك يمثِّل خطرًا على كوكبه ، ولكن الحقيقة هو أنه قد فرَّ إلى زمن آخر ، أو أزمنة أخرى ، فى تاريخ كوكب الأرض ذاته .

غمغم (محمود) فى ذهول :

ــ هل تعنى أن القرن الخامس والثلاثين الذى زرناه كان .....؟

قاطعه (نور) فى ضيق :

ــ كان مستقبلنا يا (محمود) .. لقد زرنا مستقبل كوكب الأرض .

عاد (محمود) يغمغم :

ــ يا إلهى !!

واستطرد (نور) فى حَنَق :

ــ لقد كان فرار رجل مثل (خالد) ، إلى أزمنة سابقة ، أمر بالغ الخطورة ، فقد يمكنه تغيير التاريخ كله ، مما سيؤدى إلى محو المستقبل ذاته ، بل الحاضر .. حاضرنا أنت وأنا يا (محمود) .. حاضر (سلوى) و (رمزى) .. قد يدمر حياتنا كلها ، لو سيطر على الأرض فى تاريخ سابق لمولدنا .. ولكن قانون القرن الخامس والثلاثين كان يحظر معرفتنا لذلك ، ولكنهم كانوا يحتاجون إلينا فى الوقت ذاته ؛ لذا فقد خدعونا بقصة الكواكب الشبيهة ، ومنحونا فقّاعة يحجب بريقها الفِضّىّ ما يدور خارجها ، حتى لا نعلم أننا نسافر عبر الزمن ، لا عَبْر الفضاء والكواكب .

غمغم (محمود) :

ــ ولكن هذا يضيرنا أيضًا يا (نور) .. فلو أننا الآن فى الماضى الفعلى لكوكب الأرض ، فسيعنى هذا أن نقاتل بشراسة أكثر ، دفاعًا عن كياننا ، وليس عن مستقبلنا فحسب .. أعنى مستقبلهم ..

اعتدل (خالد) فجأة ، وهو يسأل (نور) :

ــ كيف توصّلت إلى هذا الاستنتاج أيها الرائد ؟

أجابه (نور) فى حِدَّة :

ــ عبارتك أوصلتنى إلى هذا أيها الوغد ، فلو أننا ننتقل عَبْرَ الفضاء ، إلى كواكب شبيهة بالأرض ، لوصلنا ــ نحن وأنت ــ فى وقت واحد ، أو فى موعد متقارب على الأقل ، ولكنك وصلت قبلنا بخمس سنوات ، ولقد بدا تقدُّمك فى السنّ واضحًا فى ملامحك ، ولا يوجد تفسير لهذا سوى أننا نسافر عبْرَ الزّمن ، وأنك قد انتقلت بفقّاعتك إلى زمن آخر ، يسبقنا بهذه السنوات الخمس .

ابتسم (خالد) وهو يغمغم :

ــ هذا طريف .

ثم نهض فى هدوء ، ودفع يده فجأة نحو حزام (نور) ، وانتزع منه ذلك القرص المستدير الصغير ، الذى يستدعى به (نور) فقّاعته الزجاجيَّة ، وتأمّله فى سخرية ، فغمغم (نور) فى صرامة :

ــ اترك هذا القرص .

أطلق (خالد) ضحكة ساخرة ، وقال :

ــ أتركه ؟!.. هل تريد منّى أن أترك لك سلاحًا ؟

أطلق ضحكته الساخرة مرّة أخرى ، قبل أن يستطرد :

ــ إنك لن تحتاج إلى هذا القرص مرّة أخرى أيها الرائد .. إن نهايتك ونهاية فريقك ستكون هنا .. وحتى لو نجوتم ، لن يمكنكم العودة إلى زمنكم أبدًا .

وانعقد حاجباه ، وهو يردف فى شراسة :

ــ أبدًا .

وبكل وحشية وحِدَّة ألقى القرص أرضًا و ....

وهشّمه بقدمه تمامًا ..

* * *

تطلّع رجال المقاومة الفرنسية ، فى دهشة ، إلى الجهاز المعقّد ، الذى انهمكت (سلوى) فى صنعه ، وتبادلوا نظرات الحَيْرة ، وانتقلت نظـراتهم إلى (برچيـت) و (رمزى) ، فقال هذا الأخير فى هدوء :

ــ قلت لكم إنها خبيرة إليكترونيات .

عادوا يتبادلون نظرة الحَيْرة ، التى اختلطت هذه المرّة بكثير من الشّكّ والرِّيبة ، فاعتدلت (سلوى) فى نفس اللحظة ، وهى تقول فى ارتياح :

ــ لقد انتهيت .

سألتها (برچيت) فى اهتمام :

ــ هل أنت واثقة من أن جهازك هذا سيقوم بالعمل ، كما أخبرتنا ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وهى تقول :

ــ تمام الثقة .

ثم أردفت ، وهى تشير إلى الجهاز :

ــ جهازى هذا سيعزل بيت الثعالب تمامًا ، وسيجعلنا الجهة الوحيدة ، التى يمكنها إرسال أو استقبال أية رسائل من وإلى هناك .

غمغمت (برچيت) فى توتُّر :

ــ هل سيتوصَّل إلى الموجة السِّرِّيَّة أوَّلًا ؟

أومأت (سلوى) برأسها إيجابًا ، فعادت (برچيت) تسألها فى حِدَّة :

ــ كيف ؟

أشارت إلى ساعة يدها ، وهى تقول فى حزم :

ــ بواسطة هذه .. بواسطتها ستنجح عملية اقتحام بيت الثعالب .

* * *

هتف (نور) فى حَنَق ، حينما حطَّم (خالد) قرص استدعاء فقَّاعة الزمن :

ــ أنت حقير .

مطَّ (خالد) شفتيه فى لامبالاة ، وقال :

ــ لقد سئمت سماع هذا القول منك أيها الرائد .

صاح (نور) فى جِدَّة :

ــ ولكنك لن تنتصر أيها الوغد ، حتى ولو جعلتنا أسْرَى هذا الزمن .. التاريخ يؤكِّد ذلك .

أطلق (خالد) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

ــ ذلك التاريخ لم يُكتب بعد أيها الرائد .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ وجودنا ووجودك هنا يؤكدان أنه قد كُتب بالفعل أيها الحقير .

هزَّ (خالد) كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

ــ ولكننا الآن هنا .. فى زمن آخر .. إننا لم نعد ننتمى للزمن الذى جئنا منه .

وابتسم فى سخرية ، مستطردًا :

ــ هذا ينطبق عليك وعلى فريقك أيضًا .

ثم صاح بأعلى صوت :

ــ (كارل) .

اندفع (كارل) إلى داخل الحجرة فجأة ، كما لو كان يتحفَّز لهذا النداء ، فقال له (خالد) فى صرامة :

ــ ضعهما فى إحدى زنزانات بيت الثعالب ، ولكن لا تمسّهما بسوء ، حتى أعود إليك .. عندئذ فقط سنُعْدِمُهما .

وابتسم ابتسامة ساخرة ، قبل أن يردف :

ــ سنعدمهما فى منتصف القرن العشرين .

* * *

استند (محمود) بظهره إلى جدار الزنزانة الرطبة الصغيرة ، التى وضعهما فيها (كارل) ، وهو يسبّ ويلعن ساخطًا ، ويتوعَّدهما بالعذاب ، حينما يتخلَّى عنهما (فريدريش) ، وران على الزنزانة صمت ثقيل ، قبل أن يسأل (محمود) (نور) ، دون أن يميل ببصره نحوه :

ــ متى ولدت يا (نور) ؟

ابتسم (نور) ، وهو يجيبه فى هدوء :

ــ عام ألف وتسعمائة وستة وسبعين يا (محمود) .. لماذا تسأل ؟

غمغم (محمود) فى أسىً :

ـ هذا يعنى أنك ستموت قبل ثلاثة وثلاثين عامًا من مَوْلدك .. أية سخرية هذه ؟

تمتم (نور) :

ـ لعبة الزمن يا (محمود) .

هتف (محمود) فى سخط :

ـ اللّعنة على هذه اللعبة الملعونة ، لقد أفقدتنى الإحساس بالماضى والحاضر والمستقبل .. لم أعد أدرى إلى أى زمن ننتمى .

أجابه (نور) فى حزن :

ـ إلى هذا الزمن يا (محمود) .. لقد أصبحنا أسرى له ، ما دمنا قد فقدنا وسيلة اتصالنا الوحيدة بالفقّاعة ، التى يمكنها أن تعود بنا إلى زمننا .

غمغم (محمود) فى حَنَق :

ـ اللّعنة !!

وفجأة .. انتصب عنق (نور) على نحو عجيب ، أثار دهشة (محمود) وذُعْره ، فاعتدل وهو يهتف :

ـ ماذا هناك ؟

أشار إليه (نور) أن يصمت ، وظلّ صامتًا ، عاقدًا حاجبيه بعض الوقت ، ثم لم يلبث أن ابتسم ، وهو يغمغم فى مرح :

ـ رائع يا (سلوى) .

عاد (محمود) يسأله فى توتُّر :

ـ ماذا هناك يا (نور) ؟

أشار (نور) إلى أذنه ، وهو يقول :

ـ هل تعلم يا (محمود) أننى أحمل ـ داخل أذنى ـ جهاز استقبال بالغ الصغر ، عالى الجودة ، يتيح لزوجتى (سلوى) استدعائى ، فى أية لحظة ، أو فى حالة مواجهتها لأى خطر ، من خلال ساعتها ، التى تحمل جهاز إرسال بالغ الصغر والدقة .

هبَّ (محمود) واقفًا ، وهو يهتف فى انفعال :

ـ هل اتصلت بك ؟

أجابه (نور) بإيماءة من رأسه ، وابتسم وهو يقول فى ارتياح :

ـ نعم يا (محمود) .. لقد أقنع (رمزى) رجال المقاومة الفرنسية بعمل محاولة لإنقاذنا .. وما دمنا قد

أصبحنا أسرى هذا الزمن ، فلنعش فيه كأبطال يا (محمود) .. أبطال .

وتنهَّد قبل أن يردف فى قلق :

ـ المهم أن تنجح خطة اقتحام بيت الثعالب .

* * *



١٢ ـ بيت الثعالب ..

عقد (كارل) حاجبيه ، وهو يتطلَّع إلى (نور) و (محمود) فى شك ، قبل أن يسألهما فى حِدَّة :

ـ لماذا تريدان مِنّى أن أتصل بالقيادة العليا ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ اسمع يا هِرْ (كارل) .. إننا نمنحك فرصة مثالية للترقّى ، والتخلُّص من الجنرال (فريدريش هولدشتاين) فى الوقت ذاته .

تألَّقت عينا (كارل) ، وهو يقول فى اهتمام :

ـ كيف ؟

وقبل أن يجيبه أحدهما ، استدرك فى صرامة :

ـ ولكن حَذارِ من الخداع ، فلو أنكما .....

قاطعه (نور) فى هدوء :

ـ إننا نملك الدليل على أن (فريدريش هولدشتاين) جاسوس للبريطانيين .

قفز (كارل) من مقعده مذعورًا ، وهو يهتف فى ذهول :

— جاسوس ؟!

أجابه (نور) بنفس الهدوء :

— نعم .. وسيجدون الدليل فى الدرج السُّفْلىّ الأيمن من مكتبه .

اتسعت عينا (كارل) فى دهشة ، وهو يقول :

— كيف .. كيف علمت ذلك ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

— إننا نعمل لحسابه .

سقط (كارل) على مقعده ، وهو يغمغم فى ذهول :

— ماذا ؟!

أسرع (محمود) يقول :

— كيف لم تدرك ذلك ؟.. ألم يمنعك من إيذائنا ؟.. ألم يطلب منك الحفاظ علينا حتى يعود ؟..

غمغم (كارل) فى صوت متحشرج ، من شدة الانفعال :

— نعم .. نعم .. لقد فعل .

ثم قفز من مقعده ، صائحًا فى الجندىّ الذى يقف على مَقْرَبة منه :

— اتصل بالقائد (هملر) الآن .. أخبره بأن (كارل مانهايم) يحمل إليه قنبلة .. هيَّا أسرع ..

ثم أشار إلى (نور) و (محمود) ، مستطردًا :

— وعُدْ بهذين إلى زنزانتهما ، حتى أصدر أوامرى بشأنهما ..

* * *

اجتاح الانفعال (سلوى) ، وهى تقول فى حماس :

— لقد حدث الاتصال .. لقد التقطت موجة بيت الثعالب السِّرِّيَّة .

أمسكت (برجيت) كتفها فى قوَّة ، وهى تقول فى انفعال :

— كيف ؟!.. كيف نجحت ؟

أطلقت (سلوى) ضحكة مرحة ، وهى تقول :

— التكنولوچيا ياعزيزتى (برچيت) .. التكنولوچيا .

صاحت (برجيت) فى حماس :

— رائع ياعزيزتى .

ثم التفتت إلى (رمزى) تسأله :

— ماالخطوة التالية ياسيد (رمزى) ؟



اجتاح الأنفعال (سلوى) ، وهى تقول فى حماس :

ـ لقد حدث الاتصال .. لقد التقطت موجة بيت الثعالب السِّرِّيَّة ..

تنهَّد (رمزى) فى ارتياح ، وقال :

ـ لقد أصبحنا نسيطر تمامًا على موجة بيت الثعالب ، بعد هذه الرِّسالة على الأقل ، وكل ما علينا الآن هو أن نرسل إلى رجال (الجستابو) رسالة ، تشير إلى قدوم جنرال شهير لزيارتهم ، وإجراء تفتيش روتينى على مقرّهم ، وحينما يحاولون التأكُّد من صحة الرسالة ، سنجيبهم نحن ، ونؤكِّد لهم صحتها ، وعندما يدخل هذا الجنرال إلى بيت الثعالب ، سيكون عليه أن يفتح المجال للجميع .

سألته (بريجيت) فى اهتمام :

ـ ومن سيلعب دور الجنرال الألمانى يا مسيو (رمزى) ؟

ران الصمت طويلًا ، قبل أن يجيبها فى هدوء حازم :

ـ أنا .

* * *

تلقَّى (هملر) ، القائد الأعلى لقوَّات (الجستابو) النازية ، رسالة (كارل مانهايم) فى اهتمام بالغ ، ثم قال لـ(كارل) ، عَبْرَ موجة اللاسلكى السِّرِّيَّة :

ـ حسنًا يا (كارل) .. لا تتخذ أية إجراءات بشأن هذا ، أو بشأن الأسيرين .. واعمل على الحفاظ عليهما حتى تصلك أوامرى .

وأنهى الاتصال ، ثم تناول زجاجة من زجاجات الخمر ، صبَّ منها كأسين ، وناول إحداهما إلى رجل يقف إلى جواره ، مرتديًا ملابس چنرال ، وابتسم وهو يقول :

ـــ الأمور تسير كما توقَّعت أنت تمامًا يا عزيزى (فريدريش هولدشتاين) .

ابتسم (خالد) فى ثقة ، وهو يقول :

ـــ كنت أتوقَّع هذا يا عزيزى (هملر) .. كنت أتوقَّع أن يحاولا اتهامى بالخيانة .

ارتشف (هملر) بعضًا من كأسه ، قبل أن يسأله :

ـــ ماذا تتوقَّع منهما أن يفعلا أيضًا ؟

هزَّ (خالد) كتفيه ، وأجابه فى هدوء :

ـــ بالنسبة لهما فلن يفعلا ما هو أكثر من ذلك ، أما بالنسبة للرجل والفتاة الآخرين ، فالأمر يختلف .

عقد (هملر) حاجبيه ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـــ ماذا تتوقَّع بالنسبة لهما ؟

ارتشف (خالد) بعضًا من كأسه أيضًا ، ثم أجاب فى هدوء ساخر :

ـــ سيحاولان اقتحام بيت الثعالب .

هتف (هملر) فى دهشة واستنكار :

ـــ ماذا ؟!.. هل سيبلغ بهما الجنون هذا المبلغ ؟

أومأ (خالد) برأسه إيجابًا ، وقال فى هدوء :

ـــ إنهما يملكان أسلحة تجريبيَّة حديثة ، كما سبق أن أخبرتك .

عاد (هملر) يرتشف ما بقى من كأسه بعصبيَّة ، ثم سأله :

ـــ ماذا تقترح يا (فريدريش) ؟

مطَّ (خالد) شفتيه ، وقال :

ـــ سنلغى كل الزيارات إلى بيت ثعالب (باريس) ، وسيمنع أى مخلوق من الذهاب إلى هناك ، وكل من يدَّعى أنه زائر ، سيكون أحد أتباع هؤلاء الجواسيس و ....

سأله (هملر) فى انفعال :

ـــ وماذا ؟

ابتسم (خالد) فى سخرية ، ومرَّر يده على عنقه ، وكأنما يعلن الجواب ، فارتسمت ابتسامة شرسة على شفتى (هملر) ، وهو يقول فى سخرية :

ـــ نعم .. هذا الجواب يروق لى .

ثم رفع كأسه عاليًا ، وهو يهتف فى حماس :

ـــ نخب انتصارات (ألمانيا) ، ومجد الرايخ الثالث .

أعاد (خالد) النخب ، وارتشف قطرة من كأسه ، ثم عاد يرفعها ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ نخب نجاحنا فى عملية الأسْرَى .

هتف (هملر) فى مرح :

ـــ بل نخب نهاية الأسرى المرتقبة .

ابتسم (خالد) فى سخرية ، وهو يغمغم :

ـــ لقد حانت نهايتهم على كل الأحوال ياعزيزى (هملر) .. فحتى لو نجوا من الموت ، فسيظلُّون أسْرَىَ إلى الأبد .. أسْرَى فى هذا الزمن .

صاح (هملر) ، وقد لعبت الخمر برأسه :

ـــ إذن فلنشرب نخب أسْرَى الزمن .

تألَّقت عينا (خالد) ، وهو يغمغم فى ظَفَر وسخرية :

ـــ نعم .. نخب أسْرَى الزمن ..

ولكن المعركة لم تنته بعد ..

* * *

انتهى الجزء الثانى

ويليه الجزء الثالث والأخير

فى الرواية رقم (٥٦)

[شيطان الأجيال]

روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

سري جدا!!

٥٦



شيطان الأجيال

ملف المستقبل ● شيطان الأجيال ● ٥٦ ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ●

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

٥٦

شيطان الأجيال

- تُرى .. هل يواصل (خالد رضوان) محاولاته للسيطرة على العالم ، عبر الأجيال ؟
- ما مصير تاريخ كوكب الأرض ، لو انتصر شيطان الأجيال ؟
- بفوز (نور) وفريقه ، أتنتهي المعركة هذه المرَّة ، أم بانتصار (شيطان الأجيال) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، واشترك مع (نور) في حلّ اللُّغز .



الثمن فى مصر ٧٥ قرشاً وما يعادله بالدولار الأمريكي فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر

المؤسسة العربية الحديثة

للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : منطقة الضياع


نور الدين


سلوى


رمزى


محمود

١ ــ الضياع فى نهر الزمن ..

جلس (نور) و (محمود) متجاورَيْن ، على أرضيَّة تلك الزنزانة الرطبة الصغيرة ، التى ألقاهما فيها رجال (الجستابو) ، واستند كل منهم بظهره إلى جدارها الرَّطْب ، دون أن يتبادلا كلمة واحدة ، وقد شرد كل منهما بمشاعره وأفكاره بعيدًا ..

كان (نور) يسترجع كل ما مرَّ به وبفريقه ، منذ بدأت رحلتهم عبر الزمن ..

لقد بدأ كل شيء فى ليلة هادئة ، من ليالى القرن الحادى والعشرين ، حينما التقى أفراد الفريق فى منزل (نور) ، قبيل منتصف الليل ، وهم يتصوَّرونَ أن (نور) قد استدعاهم لمهمة جديدة ، ثم فوجئ الجميع بأن أصحاب الاستدعاء الحقيقيِّين هم زوَّار فوق العادة ، من القرن الخامس والثلاثين ، أرادوا الاستعانة بـ (نور) وفريقه ، لمطاردة رجل من القرن الخامس والثلاثين ، يُدعى الدكتور (خالد رضوان) ، فرَّ عبر الزمن ، وعبر العصور ، فى محاولة منه لتغيير تاريخ العالم ، والسيطرة على كوكب الأرض فى كل الأزمان ، وكل الأجيال ..

وفى البداية أقنع رجال المستقبل الفريق بأنهم سيجوبون عبر الفضاء ، حيث يقاتلون الرجل فى كواكب شبيهة بالأرض ، تحيا فى حقبات ماضية ، وتعيش نفس أحداث وتاريخ كوكب الأرض ..

وبدأت المطاردة ..

بدأت فى (مصر) الأهرامات ، حيث دار الصراع فى بلاط الفرعون (خوفو) ، صاحب الهرم الأكبر ..

ثم انتقل إلى (روما) ، حيث اندلع القتال حامى الوطيس فى قلعة دون (فيبوناتشى) ، فى القرن السادس عشر ..

وكاد الفريق [illegible] المعركة فى (أمريكا) القرن التاسع عشر ، حيث المسدَّس هو صاحب الكلمة العليا ، وحيث يعلو صوت الرصاصات على صوت العقل ..

ولكن الشيطان (خالد رضوان) نجح فى الفرار إلى عصر جديد ..

إلى (باريس) ، فى ذروة الحرب العالمية الثانية ..

والتقى (نور) وفريقه برجال المقاومة الفرنسية ، وزعيمتهم (برچيت) ، وهاجمهم رجال (الجستابو) .. ثعالب النازية ووحوشها ، ونجحت (سلوى) فى الفرار ، ونجح (رمزى) ..

وأسر (كارل مانهايم) ، ضابط (الجستابو) ، السادى الشرس ، (نور) و (محمود) ، وكاد يقتلهما فى محاولة لانتزاع ما يتصوَّر احتفاظهما به من معلومات ، لولا وصول الشيطان ..

لقد أصبح الشيطان يحتلّ الآن مكانة رفيعة ، فى جهاز المخابرات النازى ، وينتحل اسم (فريدريش هولدشتاين) ، مدير المخابرات النازية فى (أوروبا) ..

والتقى الشيطان بـ (نور) و (محمود) ، وتوصَّل (نور) فى ذلك اللقاء إلى استنتاج خطير مخيف ..

توصَّل إلى أنهم يجوبون عبر الزمن ، وليس عبر الفضاء ..

وحينما توصَّل إلى ذلك الاستنتاج ، حطَّم (خالد رضوان) ذلك القرص ، الذى يحمله (نور) ، والذى يُعَدّ الوسيلة الوحيدة لاستدعاء فقَّاعة الزمن ، والعودة إلى زمن الفريق ..

لقد أصبحوا أسرى للزمن ، الذى يحيون فيه الآن ..

ضائعين فى نهر الزمن ..

مهدَّدِين بالموت ، قبل أن تحين لحظة ميلادهم ..

والشيطان حرّ طليق ، يواصل لعبته الحقيرة لاحتلال العالم ، واحتلال التاريخ ..(*)

(*) لمزيد من التفاصيل راجع الجزء الأوَّل (عبر العصور).. المغامرة رقم (٥٤). والجزء الثانى (أسرى الزمن).. المغامرة رقم (٥٥) .

كان غارقًا فى اجترار تلك الذكريات ، متسائلًا عن مصيره ومصير رفاقه ، بعد أن فقدوا الوسيلة الوحيدة لعودتهم إلى عصرهم ، حينما أيقظه (محمود) من استغراقه ، وهو يسأله فى يأس :

ــ هل أخبرتك (سلوى) عن خطتهم لتهريبنا ؟

أومأ برأسه إيجابًا فى صمت ، فعاد (محمود) يسأله فى لهفة :

ــ ماذا سيفعلون ؟

التفت إليه (نور) ، وتطلّع إلى وجهه بعينين خاليتين ، خاويتين ، قبل أن يقول فى هدوء :

ــ ألا تخشى وجود أجهزة تصنُّت هنا يا (محمود) ؟

ارتسم القلق على وجه (محمود) ، وتلفَّت حوله فى حذر وتوتُّر ، قبل أن يهمس :

ــ هل تظنّ ذلك ؟

هزَّ (نور) كتفيه ، وهو يغمغم فى شرود :

ــ لست أستبعده على الأقل .

سأله (محمود) فى انفعال :

ــ ولكنك قلق أيضًا .. أليس كذلك ؟

مطَّ (نور) شفتيه على نحو لم يرق لـ (محمود) مطلقًا ، قبل أن يتمتم :

ــ بلى يا (محمود) ، ولكن قلقى لا يتعلّق بخروجنا من هذه الزنزانة الحقيرة .

سأله فى توتُّر :

ــ بِمَ يتعلّق إذن ؟

زفر (نور) ، قبل أن يغمغم فى صوت يخلو من الارتياح :

ــ بالفرار من هذا الزمن ، والعودة إلى زمننا .

اتسعت عينا (محمود) فى ذعر ، وضرب الأرض بقبضته ، وهو يهتف فى سخط :

ــ لا يمكننا أن نبقى فى هذا الزمن إلى الأبد يا (نور) .

أومأ (نور) برأسه إيماءة بلا هدف ، قبل أن يقول :

ــ إننى أكره ذلك أيضًا يا (محمود) ، ولكن ماذا يمكننا أن نفعل ، بعد أن حطَّم ذلك الحقير قرص استدعاء فقّاعة الزمن ؟

حمل صوت (محمود) كل الهَلَع والارتياع فى أعماقه ، وهو يهتف :

ــ يا إلهى !!

زفر (نور) مرَّة أخرى ، قبل أن يغمغم فى صوت حانق حزين :

ـ إنها الحقيقة يا (محمود) .. لقد كُتب علينا الضياع .

واكتسى صوته بغضب عميق ، قبل أن يستطرد :

ـ الضياع فى نهر الزمن .

* * *

بدا (رمزى) وسيمًا ، ممشوق القوام ، وهو يرتدى زىّ جنرالات النازية ، وقد صبغ شعره بلون ذهبىّ ، وأضاف فوق شفتيه شاربًا مستعارًا ، من اللون نفسه ، وكان من الواضح أنه يبذل جهدًا ضخمًا ، للسيطرة على انفعاله وتوتُّره ، حينما قالت له (برجيت) ، زعيمة المقاومة ، فى حزم :

ـ لقد تمَّ كلّ شىء يا مسيو (رمزى) .. تلقَّى بيت الثعالب رسالة تؤكِّد قيام الجنرال (فون نيشتة) ، وهو أنت ، بزيارة مقرّ (الجستابو) هذا المساء ، ولقد تأكَّد (الجستابو) من صحة الرسالة ، دون أن يدركوا أننا أيضًا أصحاب هذا التأكيد ، وبات كل شىء معدًّا لزيارتك الخاصَّة ، ولكن ..

صمتت لحظة حينما وصلت إلى تلك الكلمة ، ثم استطردت فى صوت أشد حزمًا :

ـ ينبغى أن تعلم أن خطة اقتحام بيت الثعالب ستعتمد كلها عليك ، وأى خطإ منك قد يؤدِّى إلى مصرع العشرات من رجال المقاومة .

ابتسم فى هدوء ، وهو يقول :

ـ اطمئنِّى ..

اقتربت منه (سلوى) ، وناولته ذلك المسدَّس الليزرىّ ، الذى يشبه أسلحة الغرب القديمة ، وهى تقول فى اضطراب واضح :

ـ خذ هذا .. أعتقد أنه سيفيدك كثيرًا .

وعجزت عن كتمان مشاعرها ، فاغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تستطرد :

ـ حاول أن تنقذ (نور) و (محمود) يا (رمزى) .. ابذل أقصى جهدك بالله عليك .

سرت فى جسده مَوْجة من التوتُّر ، وهو يغمغم :

ـ سأفعل يا (سلوى) .. سأفعل بإذن الله .

* * *

داخل حجرة صغيرة ، فى فندق متواضع ، يطلّ مباشرة على بيت الثعالب ، زمجر (هملر) ، القائد الأعلى لقوات

(الجستابو) ، فى مزيج من السخط والاستنكار ، وهو يقول محتدًا :

ـ لست أفهمك يا عزيزى (فريدريش) !.. حقيقة لست أفهمك ؟.. إنك تتصرَّف على نحو غامض منذ صباح أمس ، لماذا كان إصرارك على أن نأتى من (برلين) إلى (باريس) سرًّا ؟.. ولماذا تصرّ على أن نقيم معًا فى هذه الحجرة الحقيرة ؟.. لقد اعتدت أن أنزل فى أفخر الفنادق ، فى كل الدول التى احتلّها جيش الرايخ و....

قاطعه (خالد رضوان) فى هدوء ، وهو يتطلّع عبر نافذة الحجرة ، إلى بيت الثعالب ، فى انتباه واهتمام :

ـ ينبغى للقائد الناجح أن يدير معركته من قلبها يا عزيزى (هملر) .

هتف (هملر) فى سخط :

ـ أية معركة يا (فريدريش) ؟!.. إنهم رجال المقاومة الفرنسيَّة فحسب !

ابتسم (خالد) ابتسامة ساخرة ، لم يلمحها (هملر) ، وهو يقول :

ـ الذين نحاربهم هذه المرة ليسوا مجرَّد رجال مقاومة



قاطعه (خالد رضوان) فى هدوء ، وهو يتطلّع عبر نافذة الحجرة ، إلى بيت الثعالب ، فى انتباه واهتمام ..

عاديّين يا (هملر) .. إنهم أخطر رجال المقاومة على الإطلاق ، والقضاء عليهم مجتمعين قد يؤدّى إلى تغيير نتائج الحرب تمامًا .

غمغم (هملر) فى دهشة :

ـ إلى هذا الحد ؟!

أومأ (خالد) برأسه إيجابًا فى هدوء ، وقال :

ـ إلى هذا الحد يا (هملر) ..

ثم التفت إليه مستطردًا :

ـ ألم تسأل نفسك لماذا لم أصدر أوامرى بإعدام الرجلين ، اللذين يحتفظ بهما (كارل) فى بيت الثعالب ، على الفور ؟.. لقد احتفظت بهما لأجعل منهما فخًا ، يوقع بالرجل والمرأة الآخرين ، بحيث نجمع البيض كله فى سلة واحدة ، ثم ننسفه نسفًا .

زمجر (هملر) ، وهو يقول فى حِدّة :

ـ كان يمكننا أن نعدم الرجلين ، دون أن نعلن ذلك .

هزّ (خالد) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ كان الآخران سيعلمان يا (هملر) .

هتف (هملر) فى سخط :

ـ كيف يا (فريدريش) ؟.. كيف ؟

ارتسمت الابتسامة الساخرة مرّة أخرى ، على شفتى (خالد) ، وهو يجيب :

ـ لن يمكنك أن تتصوّر مدى الوسائل المتقدّمة ، التى يملكها هؤلاء الأربعة يا عزيزى (هملر) ..

ولكننى أعلم ذلك علم اليقين .. امنحنى ثقتك فحسب .

لوّح (هملر) بذراعيه ، وهو يهتف .

ـ وماذا يمكن للرجل والمرأة أن يفعلا ؟

أجابه (خالد) فى صرامة :

ـ سيحاولان اقتحام بيت الثعالب ، لإنقاذ رفيقهما يا (هملر) .

غمغم (هملر) فى حِدّة :

ـ سيعنى هذا أن الأربعة مصابون بالجنون المطبق .

أطلق (خالد) ضحكة ساخرة قصيرة ، قبل أن يجيب :

ـ وهو كذلك يا (هملر) .

لم يكد يتم عبارته حتى صك مسامعه صوت درّاجات النازى البخارية، وهى تقبل من بعيد ، فأدار عينيه إلى النافذة فى شغف وترقّب ، ورأى الدرّاجات البخارية تتوقّف أمام بيت الثعالب ، وعلى متنها رجال المقاومة الفرنسيّة ، فى زى جنود

الجيش النازى ، وبينهم سيّارة تحمل علم ألمانيا الهتلرية ، هبط منها (رمزى) ، فى زى جنرالات النازيّة ، وتقدّم نحو مدخل بيت الثعالب فى خطوات رشيقة ثابتة ، فتألّقت عينا (خالد) ، وهو يقول فى مزيج من الظفر والشماتة والانفعال :

ـــ لقد اجتمع البيض كله فى السلّة يا عزيزى (هملر) .. مُرْ رجالك ببدء الخطة ..

وأردف فى صوت خفيض ، وبلغة عربية :

ـــ لقد انتصرنا على رجال القرن الحادى والعشرين ، فى معركة الزمن .

* * *



٢ ـــ فى بيت الثعالب ..

استقبل (كارل مانهايم) (رمزى) فى احترام ، ومدّ يده عن آخرها أمام جسده ، وهو يهتف بالتحية العسكرية الألمانية :

ـــ هَايِلْ هِتْلِر .

أجابه (رمزى) بتحية مماثلة ، ثم حَدَجَهُ بنظرة باردة ، وهو يقول بألمانية سليمة :

ـــ أرجو أن يكون كل شىء على ما يرام هنا يا (كارل) .

اعتدل (كارل) فى وقفة عسكرية صارمة ، وشمخ بأنفه ، وهو يجيب :

ـــ كل شىء على ما يرام يا جنرال (فون نيشتة) .

دار (رمزى) بعينيه فى أرجاء المكان فى بطء ، وهو يقول :

ـــ وماذا عن إجراءات الأمن ؟

أجابه (كارل) فى ثقة وحزم :

ـــ لا يمكن للذبابة أن تدخل هذا المكان ، دون موافقتنا يا سيِّدى .

أومأ (رمزى) برأسه فى هدوء ، ولكنه لم ينجح فى إخفاء تلك اللهفة ، التى ملأت صوته ، وهو يسأله :

ــ وماذا عن الأسيرَيْنِ ؟

عقد (كارل) حاجبيه فى رِيبَة ، وهو يقول :

ــ أى أسيرين يا سيِّدى الجنرال ؟

تظاهر (رمزى) باللامبالاة ، وهو يقول :

ــ لقد وصلنى أنك قد أوقعت باثنين من زعماء المقاومة الفرنسيَّة .. أليس كذلك ؟

حَدَجَه (كارل) بنظرة طويلة مُسْترِيبَة ، قبل أن يغمغم :

ــ بلى .. هذا صحيح يا سيِّدى .

عادت اللهفة تتسلَّل إلى صوْت (رمزى) ، وهو يسأله :

ــ أين هُما ؟

مرَّة أخرى حَدَجَه (كارل) بنظرة مُسْترِيبَة ، ثم أجاب :

ــ هنا .. ماذا يريد منهما سيِّدى الجنرال ؟

أجابه (رمزى) فى صوت ، مَلأه بكل ما يملك من حزم وصرامة :

ــ لقد أتيت لاصطحابهما ، إلى حيث يتمّ استجوابهما مرَّة أخرى .

ارتفع حاجبا (كارل) فى دهشة ، ثم عقدهما بكل ما يملأ كيانه من سخط ورِيبة ، وقال فى صرامة :

ــ لم يحدث هذا أبدًا من قبل يا سيِّدى الجنرال .

هتف به (رمزى) فى حِدَّة :

ــ سيحدث الآن يا (كارل مانهايم) .

عقد (كارل) كفيه خلف ظهره ، وانتصب فى صرامة ، وهو يقول فى حزم غاضب :

ــ يؤسفنى أن الجواب هو كلّا يا سيِّدى الجنرال .. إن أسْرَى (الجستابو) هم لـ(الجستابو) وَحْدهم .. هكذا أمرنا قائدنا (هِمْلَر) .

صاح به (رمزى) فى غضب :

ــ ولكننى آمُرُك أيُّهَا الـ ..

قاطعه (كارل) فى صرامة :

ــ لست أتلقَّى الأوامر سوى من الجنرال (هملر) يا جنرال (فون نيشته) ــ قد أسمح لك باستجوابهما ، بصفتك أحد رجال المخابرات الألمانية ، ولكن داخل مقرّنا .. أمّا اصطحابهما إلى الخارج ، فهو المستحيل بعينه .

عقد (رمزى) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ــ هل تجرؤ أيها الـ .. ؟

قاطعه (كارل) فى جِدَّة :

ــ هكذا تقضى أوامر الجنرال (هِتْلَر) يا سيِّدى .

خفق قلب (رمزى) فى شدة بين ضلوعه ..

كان من الواضح أن (كارل) هذا ضابط (جستابو) مثالىّ ..

شديد الاعتزاز والفخر بسلاحه ..

شديد الصرامة والحزم فيما يتعلَّق بأوامر قائده ..

وران الصمت طويلًا على حجرة (كارل مانهايم) ، وهو يتبادل مع (رمزى) نظرات صارمة حازمة ، قبل أن يعود إلى صوت (رمزى) هدوءه ، وهو يقول :

ــ لا بأس يا (كارل) .. هناك وسيلة أخرى للتفاهم .

وفجأة كان مسدسه الليزرىّ مصوَّبًا إلى رأس (كارل مانهايم) ، وهو يستطرد فى حزم :

ــ هذه .

اتسعت عينا (كارل) فى دهشة واستنكار ، وهو يهتف :

ــ ماذا تفعل بحق الشيطان ؟.. هل تصوِّب مسدَّسك إلى ضابط (جستابو) ؟

وامتلأ صوته بالغضب والسخط ، وهو يستطرد :

ــ داخل بيت الثعالب ؟

أجابه (رمزى) فى خشونة :

ــ يروق لى أن أفعل أيها الوغد .. هيَّا .. ستقودنى إلى الأسيرين ، وتتنازل عنهما لى برغم أنفك .

عقد (كارل) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ــ لو أنك تظن أننى سأفعل ، فأنت واهم و ..

قاطعه (رمزى) فى مزيج عجيب من الانفعال والسخرية :

ــ مهلًا قبل أن تتبجَّح يا رجل (الجستابو) .. إن هذا المسدَّس المصوَّب إلى رأسك ليس مسدَّسًا عاديًّا .

ثم أدار فُوَّهة مسدَّسه إلى تمثال صغير ، يمثِّل (هتلر) ، وضغط زناده ..

واتسعت عينا (كارل) فى خليط من الرُّعب والذُّهول ، حينما شاهد خيط أشعة الليزر ، الذى انطلق من فُوَّهة المسدَّس ، وأذاب التمثال كلَّه فى لحظة ، وتراجع فى ذعر هائل ، وجحظت عيناه ، وهو يحدِّق فى فُوَّهة المسدَّس ، مغمغمًا :

ــ أى سلاح شيطانىّ هذا ؟

أجابه (رمزى) فى سخرية :

ــ إنه سلاح من أعماق الجحيم يا (كارل مانهايم) ، ولو

نفذت أشعته عبر جمجمتك ، ستعانى آلامًا مبرّحة ، لا حصر لها ، وسيذوب مخك رويدًا رويدًا ، وتشتعل أعضاؤك كما لو أنك داخل قدر نحاسى ، فى فرن حرارىّ رهيب .. هل تميل إلى تجربة ذلك يا (كارل) ؟

كان (رمزى) يعلم أن قوله يخالف حقيقة مفعول أشعة الليزر تمامًا ، ولكنه كان يستغلّ خبرته فى الطب النفسى للإيقاع بقلب (كارل) ، وبث الرُّعب فى أعماقه ، ليستسلم لرغباته تمامًا ..

ولقد نجح ..

لقد ظلّ (كارل) يحدّق فى فُوَّهةِ مسدَّس الليزر فى رُعْب هائل ، ثم لم يلبث أن غمغم فى مرارة :

ـــ لماذا تريد الأسيرين ؟

أجابه (رمزى) فى صرامة :

ـــ هذا شأنى .

حاول (كارل) أن يستجمع شجاعته ؛ ليرفض الانصياع لمطلب (رمزى) ، إلّا أنَّ مشهد التمثال ، الذى أذابته أشعة الليزر ، ظلَّ يلحّ على عقله ، فانفرجت شفتاه ، دون أن يفوه بحرفٍ واحد ، ثم لم يلبث أن أحنى رأسه ، وهو يغمغم فى استسلام :



ثم أدار فُوَّهة مسدَّسه إلى تمثال صغير ، يمثِّل (هتلر) ، وضغط زناده ..

ـــ حسنًا .. إنهما لك ..

* * *

صافح (رمزى) (نور) و (محمود) فى حرارة ، وتهلّلت أسارير الثلاثة بفرحة اللقاء ، وهتف (نور) فى مرح ، وباللغة العربية :

ـــ رائع يا عزيزى (رمزى) .. لقد كنت بطلًا هذه المرّة .

أشار (رمزى) إلى (كارل) ، وحارسى الزنزانة ، وقد وقف الثلاثة يتميّزون غضبًا ، وقال مبتسمًا :

ـــ من حسن الحظ أن صديقنا (كارل) قد استسلم فى سرعة .

ضحك (محمود) ، وهو يقول :

ـــ هذا طبيعى أمام خبير بالطب النفسى مثلك يا عزيزى (رمزى) .

عقد (كارل) حاجبيه ، وهو يقول فى غضب :

ـــ بأية لغة تتحدّثون ؟

أجابه (نور) فى سخرية ، بالألمانية :

ـــ بلغة المستقبل يا عزيزى (كارل) .

زمجر (كارل) ، وهو يقول فى عصبيّة :

ـــ إن مغادرة الزنزانة أمر سهل ، ولكنكم لن تغادروا بيت الثعالب أحياء أبدًا .

أجابه (رمزى) ساخرًا .

ـــ هل تظن ذلك ؟

صاح (كارل) فى حِدّة :

ـــ بل أوقن مما أقول .. إن أوامرنا فى (الجستابو) شديدة الصرامة .. فحتى لو أسرتمونى ، وحاولتم الفرار من هنا ، اعتمادًا على ذلك ، سيطلق رجالى النار علينا جميعًا .. سيقتلوننى معكم لو اقتضى الأمر ، ولكنهم لن يسمحوا لكم بالفرار أبدًا .

تبادل (نور) و (رمزى) و (محمود) نظرات قلقة ، ثم انحنى (نور) ، والتقط أحد مدفعى الحارسين ، ونهض قائلًا :

ـــ ومن قال إننا سنفرّ يا عزيزى (كارل) .. لقد دخل (رمزى) إلى هنا كزائر ، وسيغادر المكان على نفس النحو .

* * *

عبر (رمزى) ردهات بيت الثعالب فى خطوات هادئة ، متأبطًا ساعد (كارل) ، الذى لم ينجح فى إخفاء الحنق

المرتسم على وجهه فى وضوح ، وخلفهما سار (نور) و (محمود) فى زىّ حارسَيْن من رجال (الجستابو) ، وكل منهم يحمل مدفعًا رشاشا ، فى حين علا صوت (رمزى) ، وهو يقول فى صرامة جنرالات الألمان :

ـ كل شىء على ما يرام يا (كارل) ، ولكننى أرجو أن أجد الأمور أفضل فى زيارتى القادمة .

قال هذا ، وضغط مسدّسه الليزرى فى جنب (كارل) ، الذى ضغط أسنانه فى غيظ ، وهو يغمغم :

ـ دعنا نأمل ذلك يا .. يا جنرال (فون نيشته) .

كان الجميع يسيرون فى هدوء نحو مخرج بيت الثعالب ، ورجال (الجستابو) يفسحون لهم الطريق فى احترام ، وهم يؤدون التحية العسكرية ، حتى بلغ الجميع باب مقر (الجستابو) ، فغمغم (كارل) فى سخط :

ـ سيكون من سوء حظك أن نلتقى مرّة ثانية ، أيها الجنرال الزائف ، فلن أتردّد فى قتلك حيذاك .

ابتسم (رمزى) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ مَنْ يَدرِى ؟.. ربّما تكون قد بلغت من العمر أرذله ، حينما نلتقى فى المرّة القادمة يا عزيزى (كارل) و .....

كان ينطق عبارته هذه ، وهم يغادرون المبنى ، ولقد بترها بغتة ، وهو يحدّق فى المشهد العجيب ، الذى ينتظره ..

لقد كان رجال (الجستابو) يحيطون بالمكان ، وقد أسروا كل رجال المقاومة ، الذين ينتحلون شخصية جنود النازية ، وتهلّلت أسارير (كارل) ، فى حين ارتسمت الدهشة على وجوه (نور) و (رمزى) و (محمود) ، أمام ذلك السيل من فُوّهات المدافع الرشّاشة ، المصوّبة إلى صدورهم ، ورأوا (هملر) يجلس فى هدوء ، داخل سيارة مصفّحة ، ترفع على مقدّمتها علم النازية ، ذا الصليب المعقوف ، ويدسّ بين شفتيه سيجارًا ضخمًا ، وهو يقول فى صرامة :

ـ انتهت اللعبة أيُّها السّادة ، لا أحد يغادر بيت الثعالب حيًّا .

* * *



٣ ــ من يطلق الرصاص ..؟

« عملية فاشلة .. » .

هكذا هتفت (برچيت) فى حَنَق ، وهى تومئ بسبابتها فى وجه (سلوى) ، الشاحب الممتقع ، قبل أن تستطرد فى غضب :

ــ لقد كان رجال (الجستابو) على علم بكل ما فعلنا .. لقد أعدُّوا خطتهم لاقتناص الجميع ، وبدلًا من أن نخرج رفيقيك ، فقدنا رفيقك الثالث ، وعشرة من رجالنا .

انتفض قلب (سلوى) بين ضلوعها ، وهى تقول فى لَوْعة :

ــ هناك خائن إذن بين الصفوف ، لا ريب فى ذلك .

تبادل رجال المقاومة الفرنسية نظرات الغضب والاستنكار ، ثم انبرى (آلان) ، أحد قادتهم ، قائلًا فى حِدَّة :

ــ إننى أوافق هذه المرَّة .. هناك خائن بين الصفوف ، وهذا الخائن هو ..

وحَدَجَها بنظرة قاسية صارمة ، قبل أن يستطرد :

ــ أنتِ .

هتفت (سلوى) فى دهشة وذعر :

ــ أنا ؟!

صاح فى وجهها غاضبًا :

ــ نعم .. أنتِ .. أنتِ ورفاقك جواسيس وخونة .. كل شىء يؤكِّد ذلك .

ولوَّح بذراعيه ، وهو يستطرد ، موجِّهًا حديثه إلى رفاقه :

ــ راجعوا معى كل ما حدث ، وستجدون أننى على حق .. لقد امتلأت (باريس) بصور هذه الفتاة ورفاقها الثلاثة لعام كامل ، دون أن يدرى أحد لماذا يطالب النازيون برءوسهم ، ثم ظهروا فجأة ، بلا ماض .. بلا تاريخ ، ومنذ ظهورهم بدأت الهزائم تتوالى فى مرارة .. كشف (الجستابو) مقرّنا فى حانة (چان بول) ، واقتحموه ، وقتلوا (چان) ، وتظاهروا بأسر رفيقى هذه الخائنة ، ثم اقترحت هى وزميلها وسيلة لإنقاذ رفيقيها ، وأقنعتنا بمعاونتهما ، وبعدها تفشل الخطة ، ونفقد عشرة من رجالنا ، هل لديكم تفسيرٌ آخر لكل هذا ، سوى أنها ورفاقها مجرَّد خونة ؟

غمغمت (برچيت) ، وهى ترمق (سلوى) بنظرة صارمة غاضبة :

ـــ كلّا يا (آلان) .. لا يوجد تفسير آخر .

صاحت (سلوى) فى ارتياع :

ـــ ولكننا كنا نسعى لمعاونتكم بالفعل .. ألم ألتقط لكم الموجة السرِّيَّة لبيت الثعالب ؟.. ألم يحاول (رمزى) معاونتكم ، مضحِّيًا ، بحياته ؟

صاح (آلان) غاضبًا :

ـــ وَمَنْ أدرانا أن كل هذا حقيقى ؟!.. لقد صنعت جهازًا لم نر مثله من قبل ، وربَّما كان مجرَّد لعبة ، لإيهامنا بأنك خبيرة إليكترونيات ، ومن أدرانا أن زميلك كان يضحى بحياته بالفعل ، وليس مجرّد ممثل بارع ، أراد أن يوقع بنا جميعًا ؟

واستطرد فى حزم ساخط :

ـــ أنت وأمثالك تعملون على أن تنتصر النازيَّة ، وهذا ما لن يحدث أبدًا .

صاحت (سلوى) :

ـــ ولكن النازية لن تنتصر .. سيتغير مسار الحرب فى الثلوج الروسية ، وستبدأ هناك هزائم الألمان ، وسيخسر (هتلر) نصف جيشه فى انسحابه ، وسيهبط الحلفاء هنا ، ويحرِّرون (باريس) و .....

قاطعها غاضبًا :

ـــ هل ستدعين القدرة على التنبؤ بالمستقبل أيضًا ؟

صاحت فى مرارة :

ـــ إننى لا أدَّعى شيئًا .. إن ما ذكرته لكم مجرَّد تاريخ .

حدَّق الجميع فى وجهها بدهشة ، ثم لوَّحت (برچيت) بذراعها فى غضب ، وصاحت :

ـــ أى هُراء هذا ؟.. التاريخ هو جزء من الماضى ، ولكنك تتحدثين عن نبوءات مستقبلية عجيبة !!

شحب وجه (سلوى) ، وهى تنقل بصرها بين العيون الغاضبة ، والوجوه الساخطة المستنكرة ، ثم أطرقت برأسها وهى تقول فى مرارة :

ـــ حسنًا أيها السادة .. سأخبركم بالقصة كلها .. أعلم أنكم لن تصدِّقوا حرفًا واحدًا مما سأقول ، ولكننى سأخبركم .. أقسم أننى سأخبركم بالحقيقة . الحقيقة فقط .

* * *

عقد (هملر) حاجبيه فى غضب ، وهو يواجه (كارل مانهايم) فى حجرة مكتبه الفاخرة ، فى بلدية (باريس) ، وأشار إلى (نور) و (رمزى) و (محمود) ، الذين يقفون

فى حراسة خمسة من الجنود المدجَّجين بالسِّلاح ، فى ركن المكتب ، وهتف ساخطًا :

ــ لقد خدعوك يا (كارل) .. يا للعار !!.. خدعوا واحدًا كنت أعتبره من أفضل رجال (الجستابو) .

غمغم (كارل) فى توتُّر :

ــ لقد خدعوا إجراءات الأمن يا سيِّدي الجنرال ، وليس ..

صاح به (هملر) مقاطعًا :

ــ لا تتحجَّجْ بإجراءات الأمن يا (كارل) .. لقد كان ينبغى أن تتحقَّق من شخصية هذا الجنرال الزائف ، قبل أن تسمح له بدخول بيت الثعالب .

غمغم (كارل) فى اضطراب :

ــ جرت العادة يا سيِّدى الجنرال ألاّ ..

عاد (هملر) يقاطعه فى صوت هادر :

ــ أية عادة يا ضابط (الجستابو) ؟.. هناك القانون .. قانون (الجستابو) الذى لا يرحم .

أطرق (كارل) برأسه ساخطًا ، أقرب إلى الانفجار ، فى حين تابع (هملر) فى حَنَق :

ــ ماذا كان يمكن أن يحدث ، لو لم أُهْرَعْ إلى هنا ، تاركًا (الفوهلر) فى (برلين) ؛ لأمنع تلك الكارثة ؟.. كانت هيبة (الجستابو) كلها ستنهار ، وكنا سنتحوَّل إلى مهزلة .

غمغم (كارل) فى يأس :

ــ ولكن يا سيِّدى ..

قاطعه مرَّة أخرى فى ثورة :

ــ كفى يا (كارل) .

وعقد كفَّيْهِ خلف ظهره ، وهو يتجه إلى مكتبه ، مستطردًا فى صرامة :

ــ لقد وقَّعت أمر نقلك يا (كارل) .

وجلس خلف مكتبه ، وبسط راحتيه فوقه ، وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يردف فى غلظة :

ــ إلى الجبهة السوفيتية .

شحب وجه (كارل) ، واتسعت عيناه فى ذعر ، ثم لم يلبث أن أدَّى التحية النازية ، وهو يقول :

ــ كما تأمر يا سيِّدى الجنرال .

أشار إليه (هملر) أن ينصرف فى ازدراء ، فدار (كارل) على عقبيه ، ورمق (نور) ورفيقيه بنظرة صارمة ساخطة ، ثم غادر الحجرة فى خطوات سريعة ..

والتفت (هملر) إلى أبطالنا الثلاثة ، وهو يقول فى غضب :

ــ والآن ماذا نفعل بكم ؟

وتركَّزت عيناه على وجه (رمزى) ، وهو يستطرد فى صرامة :

ــ هل تعلم عقوبة من ينتحل شخصية جنرال ألمانى يا فتى ؟

أجابه (رمزى) فى توتُّر :

ــ نعم .. أعلم .

ضرب (هملر) سطح مكتبه بقبضته ، وهو يصرخ :

ــ الإعدام يا فتى .. الإعدام بلا رحمة .

غمغم (نور) فى هدوء ، دون أن يبعد عينيه عن وجه (هملر) الغاضب :

ــ هل تذكر ما فعلناه فى بلاط (خوفو) يا (رمزى) ؟

غمغم (رمزى) :

ــ ماذا تعنى ؟

أجابه فى هدوء :

ــ لقد فشلت القوة فى إنقاذنا ، ولم يعد هناك من سبيل سوى عينيك ، وبراعتك فى التنويم المغناطيسى يا صديقى .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ــ لقد فهمت .

دوَّى صوت (هملر) ، وهو يَصْرَخ فى غضب :

ــ لا حقّ للأسرى فى تبادل الحديث .

اعتدل (رمزى) ، وهو يقول :

ــ لدىّ ما أحبّ أن أخبرك به يا سيِّدى .

عقد (هملر) حاجبيه فى ريبة ، وشبَّك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يغمغم :

ــ هيَّا يا فتى .. تكلَّم .

أشار (رمزى) إلى رفيقيه ، وقال :

ــ ليس أمام هذين .

عاد (هملر) يضرب سطح مكتبه بقبضته فى غضب ، وهو يهتف :

ــ قلت لك تكلَّم .

تنهَّد (رمزى) ، وهو يقول :

ــ هل فحصت سلاحى الخاص يا سيِّدى الجنرال ؟

غمغم (هملر) فى انفعال :

ــ أى سلاح خاص ؟

أشار (رمزى) إلى مسدسه الليزرى ، الذى يستقر أمام (هملر) ، على سطح مكتبه ، وقال فى هدوء :

ــ هذا .. إنه ليس مسدسًا عاديًا كما يبدو .

التقط (هملر) المسدس ، وفحصه فى عناية ، ثم مط شفتيه مغمغمًا فى ازدراء :

ــ بالتأكيد .. إنه مسدس بدائى الصنع ، ضعيف .

ابتسم (رمزى) ، وهو يقول :

ــ هلا صوبته إذن إلى أى هدف يحلو لك ، وأطلقته ؟

رمقه (هملر) بنظرة مستريبة ، وقلب المسدس فى راحته بحذر ، ثم صوبه إلى لوحة معلقة على جدار مكتبه ، وهو يغمغم :

ــ ماذا سيفعل ؟.. هل سيصدر دويًا أكبر ؟

ولكنه لم يكد يضغط زناد المسدس ، ويرى شعاع الليزر الذى انطلق منه ، والذى أذاب إطار اللوحة فى لحظة ، حتى اتسعت عيناه فى ذعر وذهول ، وألقى المسدس جافلًا ، وهو يهتف :

ــ أى سلاح هذا ؟

أجابه (رمزى) فى هدوء :

ــ إنه مجرد تجربة لسلاح مخيف ، ينوى الأمريكيون إنتاجه هذه الأيام ، ليضمنوا النصر فى الحرب يا سيدى الجنرال .

تحسس (هملر) السلاح فى انفعال ولهفة ، ثم هتف :

ــ ولكنك تحمل سره .. أليس كذلك ؟

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ بلى .. ولكننى لن أخبر به سواك يا جنرال .

صاح (هملر) فى وجه حراسه الخمسة فى انفعال :

ــ أخرجوا الأسيرين الآخرين .. هيا .. بسرعة .

ثم عاوده حذره ، فاستدرك فى حزم :

ــ وليبق حارسان لمراقبة هذا الرجل .

وقف (رمزى) ثابتًا ، حتى أخرج الحراس الثلاثة (نور) و (محمود) من الحجرة ، وسأله (هملر) فى انفعال :

ــ حسنًا .. ما سر هذا السلاح الشيطانى ؟

غمغم (رمزى) :

ــ هل لى أن أهمس لك به يا سيدى الجنرال ؟

صاح (هملر) فى انفعال :

ــ بالتأكيد .

ثم أسرع يستدرك :



تطلَّع (رمزى) إلى عينى قائد (الجستابو) مباشرة ، وخيِّل للرجل ، الذى امتلأ التاريخ بالروايات المخيفة عنه ، أن عينى (رمزى) تشعَّان ببريق عجيب ..

— ولكن الحارسين سيمطرانك بالرّصاص ، لو لجأت إلى أية خدعة .

ابتسم (رمزى) ، وهو يقول فى هدوء :

— بالتأكيد يا چنرال .

نهض (هملر) من خلف مكتبه ، وحدَّق فى عينى (رمزى) ، وهو يقول فى لهفة :

— هاتِ ما لديك .

تطلَّع (رمزى) إلى عينى قائد (الجستابو) مباشرةً ، وخيِّل للرجل ، الذى امتلأ التاريخ بالروايات المخيفة عنه ، أن عينى (رمزى) تشعَّان ببريق عجيب ، وأنهما تتسعان وتتسعان ، وخيل إليه أن صوت (رمزى) يأتى من بئر سحيقة ، وهو يقول فى هدوء :

— من الخطإ أن يلقى (الجستابو) القبض علينا يا چنرال .. أليس كذلك ؟

تحجَّرت عينا (هملر) ، وهو يغمغم فى شرود :

— بالتأكيد .

عاد (رمزى) يقول بصوته العميق ، الذى يتسلَّل فى أعمق أعماق زعيم (الجستابو) :

— إننا أصدقاء ، ونعمل لحساب الرايخ الثالث ، والقبض علينا لم يكن سوى خدعة ، لإقناع رجال المقاومة بحسن نوايانا ، ولكنك ستأمر بإطلاق سراحنا فورًا ، وستعيد إلىّ مسدّسى .

عاد (هملر) يغمغم فى شرود :

— بالتأكيد .

ازداد بريق عينى (رمزى) ، وازداد اتساعهما ، وبدا صوته أكثر عمقًا ، وهو يقول :

— أخبر حرّاسك بذلك إذن .

أدار (هملر) عينيه إلى الحارسين ، وقال فى شروده العجيب :

— من الخطإ أن نلقى القبض على هؤلاء الثلاثة .. إنهم أصدقاء ، يعملون لحسابنا ، ولم يكن القبض عليهم سوى خدعة ؛ لإقناع رجال المقاومة بحسن نواياهم ، وأنا آمركم بإطلاق سراحهم ؛ وإعادة ذلك السلاح الرهيب إليهم .

وبلا تفكير أو اعتراض ، أسرع الحارسان يحلّان وثاق (رمزى) ، ويعيدان إليه مسدّس الليزر ، فالتقطه فى ارتياح ، والتفت يتطلّع إلى عينى (هملر) ، وهو يقول :

— والآن أبلغ هذا للجميع ، ودعنى أنصرف مع رفيقىّ .

وفجأة دوّى صوت صارم غاضب يقول :

— على جثتى أيها الطبيب النفسى !!

وفى ركن الحجرة ، وأمام باب جانبىّ وقف الجنرال (فريد ريش هولدشتاين) غاضبًا ، يصوّب مسدّسه إلى (رمزى) ..

ولم يكن ذلك الجنرال سوى شيطان الأجيال (خالد رضوان) ..

* * *



٤ ـ الخروج من الجحيم ..

حدَّق (آلان) و (برچيت) ، وباق رجال المقاومة الفرنسية ، ف وجه (سلوى) ، بمزيج من الدهشة والاستنكار والشك ، قبل أن تغمغم (برچيت) :

ـ المستقبل ؟!.. أىّ هُراء هذا الذى تقصّين يا (سلوى) ؟.. إن قصتك هذه المرَّة تتجاوز كل خيال .

زفرت (سلوى) ، وهى تقول فى يأس :

ـ ولكنها الحقيقة .. لقد أتيت أنا ورفاق من المستقبل .. من القرن الحادى والعشرين ، لنطارد (فريدريش هولدشتاين) ، الذى هو فى الواقع أحد رجال القرن الخامس والثلاثين و.....

صاح (آلان) فى صرامة :

ـ كَفَى !!

ثم التفت إلى رجال المقاومة ، مستطردًا فى حِدَّة :

ـ هل يصدِّق أحدكم قصتها ؟

هزُّوا رءوسهم نفيًا فى بطء ، فاستدار إلى (سلوى) ،

وحدجها بنظرة قاسية ، جمدت لها الدماء فى عروقها ، قبل أن تهتف :

ـ اسمعوا .. إن ما أخبرتكم به هو الحقيقة الخالصة .

ثم أشارت إلى الجهاز الذى صنعته ، لالتقاط موجة بيت الثعالب السِّرِّيَّة ، وهى تستطرد :

ـ هل يمكن لأحدكم أن يصنع مثل هذا ؟.. إنه اختراع فائق متطوِّر بالنسبة لكم ، ولكنه مجرَّد لعبة أطفال فى العصر الذى أتيت منه .

هتف (آلان) :

ـ وما أدرانا أن هذا الشىء معجزة تكنولوچية حقيقية ؟

قفزت إلى جهازها ، وهى تقول فى انفعال :

ـ أية موجة تحب أن تلتقط ؟.. انظر .

أدارت مؤشِّر جهازها فى عصبية ، فتعالت من الجهاز أصوات يابانية ، ثم أدارته مرَّة أخرى ، فأصدر أصواتًا روسية ، وهتفت فى حَنَق :

ـ هل يوجد جهاز واحد فى هذا العصر ، يمكنه أن يلتقط موجات قارَّة أخرى ، بهذا الوضوح ؟

عقدت (برچيت) حاجبيها ، وهى تقول فى صرامة :

ـ هذا ليس دليلًا على صحة قصتك .

صاحت (سلوى) فى مرارة :

ـ أىّ دليل تنشدون إذن ؟

تبادل الجميع نظرات الحَيْرة ، ثم قال (آلان) فى حِدَّة :

ـ أى دليل يمكنك تقديمه ؟

قلبت كفيها فى يأس ، وهى تغمغم :

ـ كل ما لدىّ هو تاريخنا ، الذى هو مستقبلكم ، الذى لن تروْه و ...

وفجأة بترت عبارتها ، وتألّقت عيناها ، وهى تهتف :

ـ نعم .. سترونه .. سأقدّم لكم الدليل فوق شاشة فضيّة .

وتهلّلت أساريرها ، وهى تستطرد فى ارتياح :

ـ فوق شاشةٍ ما ستطلقون عليه يومًا اسم (التليفزيون) .

* * *

تقدّم (خالد رضوان) نحو (رمزى) ، عبر مكتب (هملر) الواسع ، وهو يصوّب إليه مسدّسه ، قائلًا فى غضب وصرامة :

ـ لقد سيطرت عليه بالتنويم المغناطيسى .. أليس كذلك ؟

نقل الحارسان بصريهما بين (هملر) ، الذى بدا شاردًا ، وبين (رمزى) و (خالد) ، وارتسمت الحيرة على وجهيهما ، فى حين أجاب (رمزى) فى صرامة :

ـ بلى .. إنه أحد الأساليب التى طوّرتها التكنولوجيا كما تعلم .

مطَّ (خالد) شفتيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لقد قرأت ذلك فى كتب التاريخ ، بعد أربعة عشر قرنًا من مولدك يا فتى .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يستطرد فى غضب :

ـ ولكن مصرعك ومصرع رفاقك سيسبق مولدكم .

رآه (رمزى) يجذب إبرة مسدّسه ، فالتفت إلى (هملر) ، وقال فى توتُّر :

ـ ما قولك يا قائد (الجستابو) ؟

ظلَّ (هملر) صامتًا شاردًا ، وابتسم (خالد) فى شراسة ، وهو يقول :

ـ لا فائدة .. أنت بنفسك انتزعته من عالم الوَعْى .

تجاهله (رمزى) ، وهو يحدِّق فى عينى (هملر) ، قائلًا فى بطء وعمق وهدوء :

ــ ولكنه يعلم أننا أصدقاء ، وسيمنع أى شخص من أن يمسّنا بسوء ، حتى لو كان أنت يا جنرال (فريدريش) .. أليس كذلك يا (هملر) ؟

غمغم (هملر) :

ــ بالتأكيد .. لا أحد يمسّكم بسوء .

أدرك (خالد) ما يرمى إليه (رمزى) ؛ فهتف فى غضب :

ــ لن أسمح لك .

ولكن حارسا (هملر) رفعا فوّهتى مدفعيهما الرشاشين فى وجه (خالد) ، الذى صاح فى حَنَق :

ــ ماذا تفعلان بحق الشيطان ؟

ابتسم (رمزى) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ ينفذان أوامر قائدهما يا شيطان الأجيال .. ألم يأمرهما بمنع أى شخص يريد أن يمسّنا بسوء .

خفض (خالد) مسدَّسه ، وهو يقول فى حَنَق :

ــ أهنئك أيها الطبيب النفسى .. لقد أنقذك ذكاؤك هذه المرَّة .

قال (رمزى) فى صرامة :

ــ وأوقع بك أيضًا ، بعد جولة عبرَ العصور يا شيطان الأجيال .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (خالد) ، وهو يقول :

ــ أوقع بى ؟!.. يا لَكَ من ساذَج !

وارتفعت سبابته فى وجه (رمزى) ، وهو يستطرد فى غضب :

ــ لن تُوقِعَ بى أبدًا يا رجل القرن الحادى والعشرين .. قد تنجح فى السيطرة على (هملر) ، أو حتى على (هتلر) نفسه ، أما أنا فلا .. لا .

ثم اندفع فجأة نحو الباب الجانبى ، الذى دخل منه ، وصاح (رمزى) فى الجنديَّين :

ــ اقتلاه .. اقتلاه .

ولكنْ الجنديين لم يطلقا رصاصة واحدة ، فقد كان من العسير عليهما أن يقتلا ثالث رجل فى الرايخ الثالث ، فى حين تقتضى أوامرهما منعه من الإساءة إلى (رمزى) ورفيقيه فحسب ..

ورفع (رمزى) مسدَّسه الليزرىّ وصوَّبه إلى (خالد) ، وهو يصرخ :

— لن تواصل الفرار أبدًا .

ولكن أحد الجنديين أطاح بمسدَّس (رمزى) بكعب بندقيَّته ، وهو يصرخ :

— كلَّا .. لا تطلق النار على الجنرال .

سقط المسدَّس تحت قدمي الجنديّ الثانى ، الذى صوَّب مدفعه فى وجه (رمزى) ، وهو يقول :

— أرجوك يا سيِّدى ..

التفت (رمزى) نحو (هملر) وصاح :

— مرهما بقتله .

غمغم (هملر) فى شرود :

— اقتلاه .

تبادل الجنديَّان نظرات الدهشة ، ثم اندفعا خلف (خالد) ، فأسرع (رمزى) يلتقط المسدَّس الليزرىّ ، ويدسّه فى جيبه ، ثم التفت إلى (هملر) ، قائلًا :

— هيَّا .. مر رجالك بإطلاق سراحنا .

وعقد حاجبيه ، وهو يستطرد فى صرامة :

— قد ينجو ذلك الشيطان من الحارسَيْن ، ولكنه لن ينجو منَّا أبدًا .. أبدًا .

* * *

٥ — اللقـــاء ..

احتفظ (رمزى) بزىّ الجنرال النازى ، وهو يجلس إلى جوار (نور) فى واحدة من سيارات (الجستابو) ، يقودها (محمود) عبر طرقات (باريس) ، وهو يرتدى — مثل (نور) — زى جنود النازية ، وسأل (نور) (رمزى) فى اهتمام :

— إلى متى تدوم سيطرتك على (هملر) يا (رمزى) ؟

زفر (رمزى) ، قبل أن يجيبه :

— أعتقد أنه قد استعاد وَعْيَه الآن ، وسيبادر بمطاردتنا ولا شك ، ولكنه لن يذكر شيئًا عن مسدَّس الليزر ، أو وسيلة فرارنا .

سأله (محمود) :

— وماذا عن أوامره بقتل (خالد) ؟

مطّ (رمزى) شفتيه ، وهو يقول فى حَنَق :

— سيتراجع عنها بالطبع .

أومأ (نور) برأسه متفهِّمًا ، ثم قال فى صرامة :

ـ ولكن شيطان الأجيال هذا لن يفلت منّا أبدًا يا (رمزى) .

ثم استطرد قائلًا :

ـ قف هنا يا (محمود) .

سأله (رمزى) فى توتُّر :

ـ ماذا تنوى أن تفعل ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ سنتخلَّى عن ثياب النازية يا (رمزى) ، فلا ريب أن نصف جيش (ألمانيا) فى (باريس) سيبحث عنا بلا رحمة ، ولا بدَّ لنا من وضع خطة محكمة ، وإلَّا حُكِمَ علينا بالبقاء فى هذا العصر إلى الأبد .

واكتسى صوته بصرامة هائلة ، وهو يستطرد :

ـ وسأبذل آخر قطرة دم فى جسدى ، لأحُولَ بيننا وبين ذلك .

* * *

اتسعت عينا (هملر) فى ذهول ، وهو يحدِّق فى وجه (خالد) هاتفًا :

ـ أنا يا عزيزى (فريدريش) ؟!.. أنا أمرت بقتلك ؟!

صاح (خالد) فى غضب :

ـ نعم يا (هملر) .. أنت فعلت ذلك ، وأرسلت حارسيك لقتلى ، ولكننى بترت عنقيهما ، وعدت إليك .

انقلبت ملامح (هملر) فى حَيْرة ، وهو يقول :

ـ مستحيل يا (فريدريش) .. مستحيل أن أكون قد فعلت ذلك .. إننى لا أذكر شيئًا مما حدث يا عزيزى .. لا أذكر شيئًا على الإطلاق .

عضَّ (خالد) شفتيه فى غضب ، وقال :

ـ أعلم ذلك يا (هملر) .. لقد هزمك ذلك الوغد بعينيه فقط .

غمغم (هملر) فى حَيْرة :

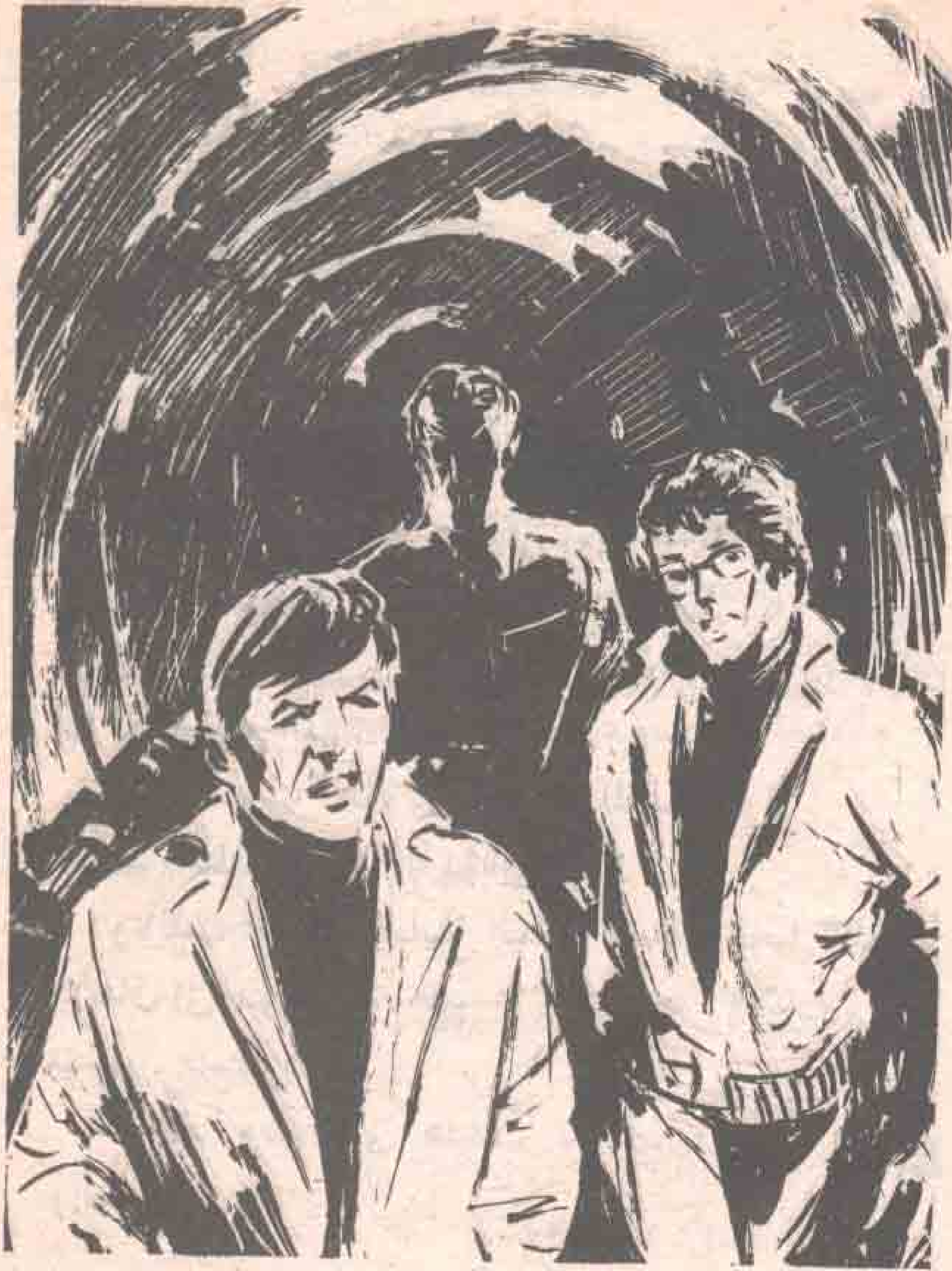
ـ بعينيه ؟!

زفر (خالد) ، وهو يقول :

ـ دعك من هذا .. لقد ربحوا هذه الجولة أيضًا ، ولكننا سنقلب التاريخ كله رأسًا على عقب .

سأله (هملر) فى حَيْرة :

ـ كيف ؟



غمغم (محمود) فى توتُّر ، وهو يسير إلى جوار (نور) و (رمزى) ، فى أنفاق (باريس) المظلمة

شرد (خالد) ببصره لحظات ، ثم قال فى صرامة :

ـ لا داعى للانتظار بعد الآن ، سنقفز بـ (ألمانيا) العظمى فى طفرة تكنولوچية ، إلى عصر الليزر ، والقنبلة الذَّرِّيَّة .. سنهزم الحلفاء كلهم دفعة واحدة .

* * *

غمغم (محمود) فى توتُّر ، وهو يسير إلى جوار (نور) و (رمزى) ، فى أنفاق (باريس) المظلمة :

ـ هل أنت واثق من أننا سنعثر عليهم هنا يا (نور) ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ تمام الثقة يا (محمود) ، فلقد ذكر التاريخ ، بعد نهاية الحرب العالميَّة الثانية ، أن رجال المقاومة الفرنسية كانوا يتخذون أنفاق (باريس) وكرًا لهم .

قال (رمزى) :

ـ هذا صحيح يا (نور) ، ولكن التاريخ ذكر أيضًا أن هذه الأنفاق تعدّ مقبرة ، لمن يجول فيها بلا هدف ، فهى كثيرة متشابكة معقَّدة ، يستحيل الوصول فيها إلى هدف ما ، دون خريطة واضحة ،

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ سنجازف يا (رمزى) .

غمغم (محمود) :

ـــ ولكن يا (نور) ...

قاطعه (نور) فى حِدَّة :

ـــ لا يوجد لكن يا (محمود) .. إن خطر (خالد) لم يعد يَهدُف إلى القرن الخامس والثلاثين وحده ، بل إلى تاريخ الأرض كله ، منذ هذه اللحظة ، وحتى نهاية الزمان .. لو انتصر (خالد) فسيضيع تاريخنا كله ، وستسقط كل الأجيال القادمة ، تحت رحمة هذا الشيطان .. كلَّا يا (محمود) .. إننا لن نتراجع أبدًا .. لن نتراجع .

ارتفع صوت فجأة بين الممرَّات المظلمة يقول :

ـــ أهنئك على هذا المبدإ أيها الرائد .

وتألَّقت أضواء المصابيح اليدوية فجأة ، لتحيل ظلمات الأنفاق إلى ضوء مبهر ، ظهر على أثره وجه (آلان) ، وهو يبتسم ، مستطردًا :

ـــ لقد وصلتم إلى هدفكم يا رجال القرن الحادى والعشرين .

* * *

٦ ـــ خلف الشيطان ..

اندفعت (سلوى) تلقى نفسها بين ذراعى زوجها ، وتفجَّرت دموع السعادة من عينيها ، وهى تهتف :

ـــ حمدًا لله يا (نور) .. حمدًا لله .. لم أتوقَّع لقاءَنا مرة أخرى أبدًا .. أبدًا يا (نور) .

ربَّت على كتفيها فى حرارة ، وهو يقول فى حنان :

ـــ لقد شاء الله (سبحانه وتعالى) أن نلتقى مرَّة أخرى يا عزيزتى .

وأبعدها عن صدره ، وتطلَّع إلى عينيها ، وهو يسألها فى مرح :

ـــ ولكن كيف نجحت فى إقناع رجال المقاومة بأننا من المستقبل .

ضحكت فى مرح ، وهى تقول :

ـــ لقد صنعت لهم تليفزيونًا ، ولقد بهرهم ذلك تمامًا ، فاعترفوا بأننا من عالم يفوقهم كثيرًا .

هتف (محمود) فى دهشة :

ـــ وكيف أمكنك الحصول على أنبوب (الكاثود) ؟

ضحكت قائلة :

ـــ إننى لم أستخدم أسلوب الإسقاط عَبْرَ أنبوب (الكاثود) يا عزيزى (محمود) ، لقد قفزت بهم فجأة إلى التليفزيون ، الذى يعتمد على الإسقاط المباشر .. لقد اقتضت مقتنيات العصر اختصار أجيال من عالم المذياع المرئى .

ابتسم (رمزى) ، وهو يقول :

ـــ إذن فقد نجونا بواسطة تليفزيون .. يا لها من مهزلة !!

ابتسم (نور) ابتسامة باهتة ، ثم قال :

ـــ إننا لم ننج بعد يا رفاق ، فنجاتنا .. بل نجاة العالم أجمع تتوقَّف على سعينا خلف الشيطان .. شيطان الأجيال ..

* * *

شحب وجه (سلوى) ، وهى تجلس بين رجال المقاومة الفرنسيَّة ، يستمعون إلى (نور) ، وهو يقصّ عليهم قصة تحطيم (خالد) لقرص استدعاء فقَّاعة الزمن ، وهتفت (سلوى) فى هَلَع :

ـــ هل تعنى أنه قد حُكم علينا بالبقاء فى هذا العصر إلى الأبد ؟

غمغم فى مرارة :

ـــ أخشى ذلك يا (سلوى) .

أطرق (رمزى) و (محمود) برأسيهما فى أسًى ، فى حين غمغمت (سلوى) فى ارتياع :

ـــ يا إلٰهى !!

ران على المكان صمت مطبق ، قبل أن تتألَّق عينا (نور) ، ويهتف فجأة :

ـــ ما لم نصل إلى ذلك الشيطان .

ارتفعت إليه كل العيون فى دهشة ، وغمغمت (برچيت) فى حَيْرة :

ـــ وبم سيفيدكم ذلك ؟

أجابها فى حماس :

ـــ إنه يمتلك فقَّاعة زمن أخرى ، يمكن استدعاؤها بواسطة قرص مماثل يحتفظ به ، ولو أمكننا الحصول على هذا القرص بمساعدتكم ، فسوف ..

قاطعته (برچيت) بصيحة استنكار :

ـــ بمساعدتنا نحن ؟!.. مَنْ أعطاك هذه الفكرة ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لابدَّ من مساعدتكم لنا يا (برچيت) .

هتفت فى سخط :

ـ ومن قال هذا ؟!.. إن قضيتكم تختلف عن قضيتنا .. إنكم تسعون للعودة إلى المستقبل ، أما نحن فنحارب من أجله .

تدخَّل (آلان) هاتفًا :

ـ ثم إننا نضمن النصر ، كما يقول تاريخكم .

ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، وهو يقول فى جِدَّة :

ـ لا تكن واثقًا هكذا يا (آلان) .. لقد أخطأت (برچيت) حينما قالت : إن قضيتنا تختلف عن قضيتكم ، فكلانا يسعى لهدف واحد ، فلو ظلّ هذا الشيطان طليقًا ، فسينجح فى قلب التاريخ الذى نعرفه رأسًا على عقب ، ولن تُهزم (ألمانيا) النازية أبدًا ؛ لذا فمن الضرورىّ أن نتحد معًا ؛ لنظفر نحن بالرجل ، وتظفرون أنتم بالنصر والحُرِّيَّة .

ساد الصمت والوجوم لحظات ، ثم التفت (آلان) إلى رفاقه ، وهو يقول فى حزم :

ـ إنه على حَق .

ثم اتجه نحو (نور) ، ووضع يده على كتفه فى قوَّة ، وهو يقول فى لهجة رجل حسم أمره :

ـ أنا فى صفك .

دارت (برچيت) بعينيها فى وجه رجال المقاومة ، وقرأت بخبرتها الجواب فى ملامحهم ، ثم التفتت إلى (نور) ، وهى تقول فى حزم :

ـ كلنا فى صفك .

تنفَّست (سلوى) الصُّعَداء ، وتنهَّد (رمـزى) و (محمود) فى ارتياح ، فى حين ابتسم (نور) وهو يقول :

ـ كلنا سنعمل فى صف واحد .

وامتلأ صوته بالفخر والحماس ، وهو يستطرد :

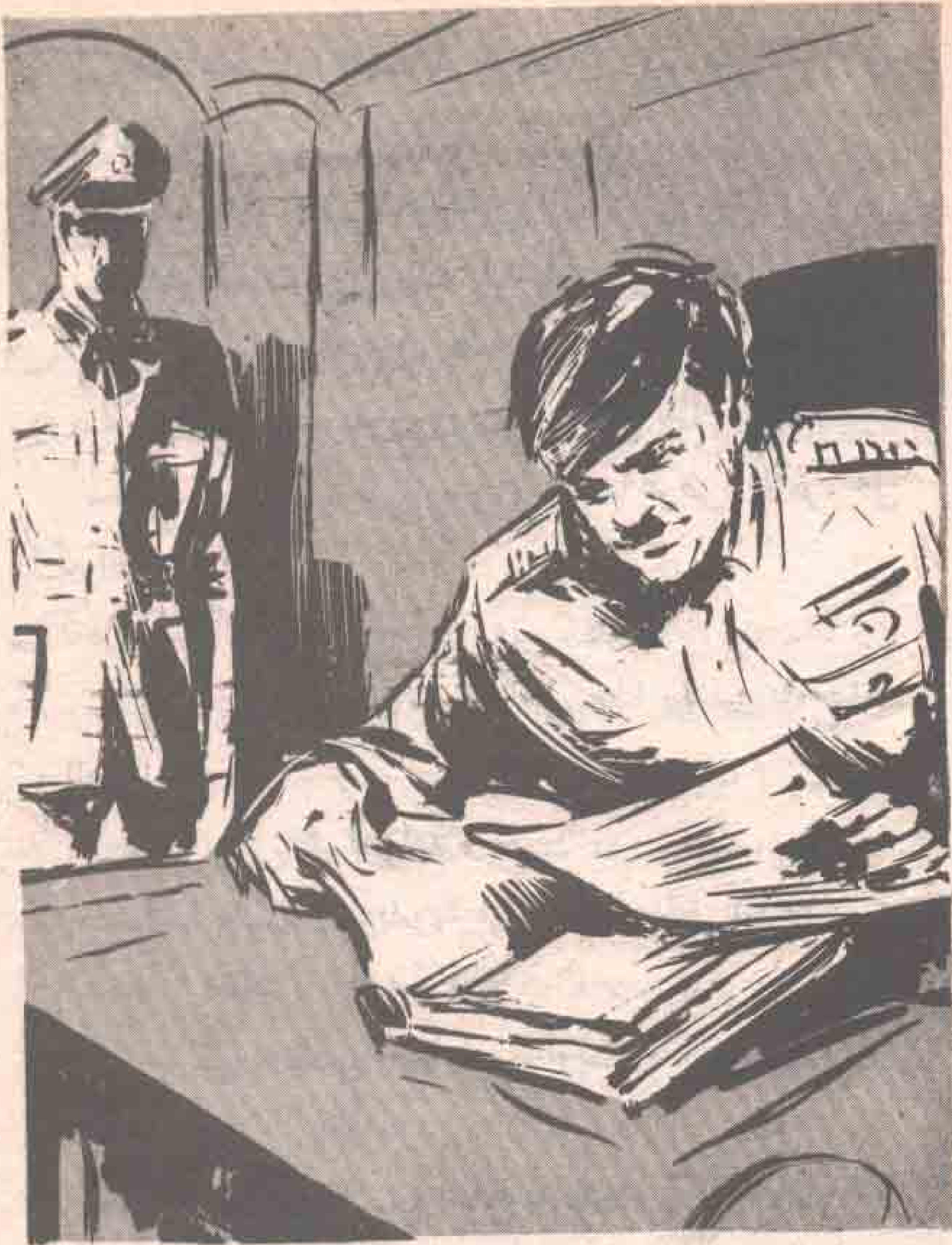
ـ وسنسعى جميعًا خلف شيطان الأجيال .

* * *

عبر (خالد رضوان) حجرة مكتب (أدولف هتلر) بخطوات واسعة ، وتوقَّف أمام زعيم النازية ، الذى قاد نصف العالم يومًا ، ورفع ساعده أمامه بالتحية ، وهو يهتف فى حماس :

ـ هَايِلْ هِتْلَر .

رفع (هتلر) راحته فى عظمة ، ثم أرخى يده إلى جواره ، ومطَّ شفتيه مبرزًا شاربه القصير ، قبل أن يقول فى صرامة :



تألقت عينا (أدولف هتلر) فى شغف لم ينتقل إلى صوته ، الذى ظلّ جامدًا صارمًا ، وهو يتناول الملفَّ ، ويقلّب أوراقه فى هدوء

ـ سمعت أنك تطلب مقابلتى يا (فريدريش) .. ماذا لديك ؟

أجابه (خالد) فى هدوء :

ـ سلاح سيغيِّر مصير (أوروبا) .. بل العالم أجمع أيها (الفوهلر) .

ارتفع حاجبا (هتلر) فى اهتمام واضح ، إلَّا أن صوته ظلّ على صرامته ، وهو يسأله :

ـ أى سلاح هذا ؟

وضع (خالد) أمامه ملفًّا ضخمًا ، وهو يقول :

ـ هاهو ذا ياسيِّدى (الفوهلر) .. إنهما سلاحان فى الواقع : أحدهما يعتمد على تكثيف طاقة الضوء فى خيط واحد مدمِّر ، أطلقت عليه اسم (ليزر) ، والآخر قنبلة ، تعتمد على الانشطار النووىّ المتسلسل ، أطلقت عليها اسم (القنبلة الذريَّة) ، والقنبلة الواحدة يمكنها أن تطيح بـ (لندن) كلها فى ضربة واحدة .

تألَّقت عينا (أدولف هتلر) فى شغف لم ينتقل إلى صوته ، الذى ظلّ جامدًا صارمًا ، وهو يتناول الملفَّ ، ويقلّب أوراقه فى هدوء ، قائلًا :

ــ هذا أعجب ما سمعت يا (فريدريش) .. هل أنت واثق من قولك هذا ؟

ابتسم (خالد) فى سخرية ، وقال :

ــ التصميمات بين يديك يا سيِّدى (الفوهلر) .

أومأ (هتلر) برأسه فى بطء وهدوء ، ثم أغلق الملفَّ ، ووضعه أمامه ، وهو يقول فى لهجة تُوحِى باللامبالاة :

ــ لا بأس يا (فريدريش) .. سأعرض الأمر على الخبراء .

قال (خالد) فى هدوء :

ــ إننى أرغب فى الإشراف على هذا بنفسى يا سيِّدى (الفوهلر) .

أجابه (هتلر) فى صرامة :

ــ فيما بعد يا (فريدريش) .. هذا سابق لأوانه .

أومأ (خالد) برأسه ، قائلًا :

ــ سأكرِّر مطلبى حينما يحين الوقت المناسب يا سيِّدى (الفوهلر) .

مطَّ (هتلر) شفتيه ، وأشاح بوجهه ، وكأنما يعلن انتهاء المقابلة ، فرفع (خالد) ذراعه أمامه ، وهتف :

ــ هايل هتلر .

ثم دار على عقبيه فى حركة عسكرية ، وغادر مكتب (هتلر) فى خطوات واسعة ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يحدِّث نفسه ، مغمغمًا :

ــ اذهب إلى الجحيم يا رائد القرن العشرين ، لقد وضعت اللبنة الأولى فى لعبة تغيير التاريخ .

* * *

استمع رجال المقاومة فى اهتمام إلى خطبة (هتلر) الرنَّانة ، التى نقلها إليهم جهاز (سلوى) ، عن مذياع (برلين) ، ثم هتفت (برچيت) فى توتُّر :

ــ يبدو أن توقُّعاتك قد صدقت أيها الرائد (نور) .. لقد أعلن (هتلر) فى خطبته أن (ألمانيا) قد أصبحت تملك سلاحًا سرِّيًّا ، ويهدِّد باستخدامه ضد (أوروبا) كلها ، إذا ما جرؤت القوَّات المشتركة على الهبوط فى (فرنسا) .

ارتجف صوت (آلان) ، وهو يقول :

ــ هل يعنى هذا أن تغيير التاريخ قد بدأ ؟

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى هدوء :

— ليس بعد .. لقد نقلت كتب التاريخ فى عصرنا خطبة (هتلر) هذه ، وتهديداته للعالم كله باستخدام السلاح السرّىّ ، الذى يحتفظ به فى المخزن رقم ثلاثة عشر ، ولكنه لم يستخدمه أبدًا ، ولم يعرف عنه أحد شيئًا ، حتى بعد هزيمة (ألمانيا) .

قالت (سلوى) فى توتُّر :

— ولكن هذا يعنى أن شيطان الأجيال اللعين قد سلّم (هتلر) تصميمات بعض أسلحة المستقبل ، ولو نجح (هتلر) فى صنع هذه الأسلحة ، فلن تصمد أمامه جيوش الحلفاء كلها .

تنهّد (نور) فى عمق ، قبل أن يقول :

— ينبغى أن نقاتل لمنع حدوث ذلك يا عزيزتى .

سألته (برجيت) فى انفعال :

— كيف ؟!

عقد حاجبيه ، وهو يفكّر فى عمق ، ثم قال فى هدوء :

— إننا نحتاج إلى نقطتين أيها السادة .. أولاهما : اجتذاب ذلك الشيطان (خالد رضوان) إلى هنا ، وثانيتهما : منع (هتلر) من تنفيذ أسلحة المستقبل .

هتفت (برجيت) فى توتُّر :

— مازال سؤالى ساريًا .. كيف ؟

شبّك (نور) أصابع كفّيه أمام وجهه ، واسترخى فى مقعده ، والتزم الصمت طويلًا ، ثم قال فى هدوء :

— أعتقد أننا سنلعب اللعبتين فى آن واحد يا رفاق .

ونهض وهو يستطرد فى حماس :

— سنحوّلها إلى حرب تكنولوجية ، وسندفع (خالد) دفعًا إلى الوصول إلى (باريس) ، وعن طريقه سنحطّم سلاح النازى السرّىّ الجديد .

وتألّقت عيناه ، وهو يردف :

— سنبدأ نحن بصنع أسلحة المستقبل .

* * *



٧ ـــ فى سماء المعركة ..

كانت الأمطار تهطل فى غزارة ، فى تلك الليلة من ليالى شتاء (باريس) ، حينما عبر رجل وفتاة الطريق ، تحت المطر المنهمر ، واتجها إلى مخزن ضخم ، يحتلّ ناصية كاملة ، فى أطراف (باريس) ، وطرق بابه طرقات هادئة ، ومضت فترة من السكون ، قبل أن يطلّ وجه رجل مسنّ من فتحة باب المخزن ، ويتطلّع إلى وجهى الرجل والفتاة ، ثم يفسح لهما الطريق فى صمت ، فيدلفان إلى الداخل فى سرعة ، ويغلقان الباب خلفهما فى إحكام ..

وخلعت الفتاة معطفها المبلّل بمياه الأمطار ، وهى تتطلّع إلى الهيكل المعدنى ، الذى انهمك أكثر من عشرة رجال فى وضع اللمسات الأخيرة له ، والتفتت إلى (نور) تسأله فى اهتمام مشوب بالقلق :

ـــ هل أنت واثق من نجاح هذا الشىء ؟

أومأ (نور) برأسه ، وهو يقول :

ـــ تمام الثقة يا عزيزتى (برچيت) .. إنه سيكون صدمة

لرجال القوّات الجوّية الألمانية ، وسيثير ذهولهم إلى أقصى حدّ .

سأله (آلان) ، وهو يخلع معطفه المبلّل بِدَوْرِه :

ـــ وماذا عن (فريدريش) ؟

ابتسمت (سلوى) ، وهى تجيب :

ـــ هو وحده سيفهم ما يحدث ، وسيُهْرع إلى هنا ، فى محاولة لمنعنا من تحطيم خطته .

تطلّع (آلان) إلى الهيكل المعدنى فى ريبة ، فتدخّل (محمود) ، قائلًا :

ـــ دعك من الشكل الخارجى يا (آلان) .. إنه إنجاز رائع أن نصنع هذه الطائرة فى أسبوع واحد ، ولولا تضافر نصف سكّانْ (فرنسا) لصنعها ، ما تمّ إنجازها فى مثل هذا الوقت ، ولكنها تسير بسرعة الصوت ، أى بخمسة أضعاف سرعة طائرات الرايخ الثالث ، وهى مزوّدة بمدفعى ليزر ، وجهاز موجات فوق صوتية ، كفيل بإيقاف كل المحرّكات ، ولقد زوّدتها عزيزتنا (سلوى) بمجال كهرومغناطيسىّ قوىّ ، سيحيط بها كدرع يدرأ عنها رصاصات الطائرات الأخرى ، وقنابل المدفعية المضادة للطائرات .

غمغم (آلان) فى سخط :

ــ لست أفهم حرفًا واحدًا من كل هذا .

ابتسم (رمزى) وهو يقول :

ــ اطمئن يا عزيزى (آلان) .. ستفلح خطتنا .

عقدت (بريجيت) حاجبيها ، وهي تقول فى قلق :

ــ وماذا لو كان النازيون قد بدءُوا فى صناعة أسلحة المستقبل بالفعل ؟

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى ثقة :

ــ مستحيل يا عزيزتى (برجيت) .. إن صنع أسلحة المستقبل يحتاج إلى استعدادات وتقنيات صناعية ضخمة ، من المستحيل أن يتمّ إنجازها فى ذلك الزمن القصير .

غمغمت (برجيت) فى قلق :

ــ أتعشّم ذلك .

تنهّد (نور) ، وابتسم قائلًا :

ــ اطمئنى يا عزيزتى (برجيت) ، غدا ستحطّم الغطرسة الألمانية ، فى سماء المعركة .

* * *

جاء الصباح التالى على عكس المساء ، صحوًا دافئًا مشرقًا ، وانتعش قلب الطيّار الحربىّ الألمانى (هانز) ، وهو يحلّق بطائرته فى سماء (باريس) ، وتحدّث لاسلكيًّا مع صديقه (رالف) ، قائلًا فى مرح :

ــ صباح جميل يا صديقى .. أليس كذلك ؟

أجابه زميله فى هدوء :

ــ بلا شك يا صديقى .. إنها تبدو جولة عاديَّة .. أليس كذلك ؟

ضحك (هانز) ، قبل أن يقول :

ــ كل جولاتنا فى سماء باريس عاديَّة يا عزيزى (رالف) .. إن طائرات الحلفاء لن تجرؤ على ولوج سماء ، تحلّق فيها نسور النازية .

جاءته إجابة (رالف) على هيئة شهقة قويَّة ، قبل أن يهتف :

ــ (هانز) .. احترس .. هناك طائرة انـ .....

بتر (رالف) عبارته قبل أن يتمّها ، إذ عجز عن تحديد هُوِّية تلك الطائرة ، التى بدت له عجيبة الشكل والتكوين ، فائقة السرعة ، إلى حدٍّ أذهله ، وألجم لسانه ، فى حين جاء ردّ

فعل (هانز) سريعًا رائعًا ، فدار بطائرته فى سرعة ، ليواجه الطائرة المهاجمة ، وأطلق عليها سيْلاً من رصاصات مدفعه الرشّاش ، دون أن يعبأ بتحديد هُوِيَّتِها أو قوّتها ، ولقد أقسم لنفسه — فى تلك اللحظة — أن رصاصاته قد أصابت جسد الطائرة العجيبة ، إلّا أنها لم توقف اندفاعها نحوه ، وبدا جسدها سليمًا ، وكأنّما لم تمسّسه الرصاصات ، مما أصابه بذهول ، جعله يتوقّف عن إطلاق رصاصات مدفعه ، وهو يهتف :

— يا للشيطان !!

وفجأة انطلق من جانبى جسم الطائرة شعاعان من اللّيزر ، أصابا جسم طائرته ، فاشتعلت فيها النيران ، وهو يكرّر صارخًا :

— يا للشيطان !!

أما زميله (رالف) فقد اتسعت عيناه فى ذهول ، وهو يرى طائرة (هانز) تهوى من حالق ، وهى تجرّ خلفها خيطًا من الدُخان الأسود ، وفكّر ألف مرّة فى التراجع والانسحاب ، أمام تلك الطائرة المعجزة ، التى حطّمت كل مفاهيمه عن تطوّر الطائرات المقاتلة ، ووسائل قتال نسور الجو ، إلّا أن كرامته ، واعتزازه بنفسه ، كمقاتل فى قوّات النازية ، جعلاه ينقضّ على

الطائرة العجيبة فى بسالة ، ويطلق رصاصات مدفعه الرشاش نحوها ..

وانحرفت الطائرة ، التى يقودها (نور) ، فى سرعة ومهارة مذهلتين ، بالنسبة لطيّار من منتصف القرن العشرين ، وارتفعت فوق رأس (رالف) ، ثم استدارت لتأتى من خلفه فى سرعة ، جعلته يهتف فى ذعر :

— يا إلٰهى !! لقد التقط ذيل طائرتى .. لن أنج منه أبدًا .

إلّا أن (نور) لم يطلق دفقة واحدة من مِدْفَعَي الليزر فى طائرته ، نحو طائرة (رالف) ، بل اكتفى بمطاردتها ، مستعرضًا كل إمكانات طائرته ، فأخذ يدور حول طائرة (رالف) ، وأمامها ، ثم يعود ليحلّق فوقها ، ويتعقّبها مرّة أُخرَى ، حتّى ارتفعت فى سماء المعركة عشر مقاتلات ألمانية أخرى ، انطلقت لمؤازرة (رالف) ..

هنا فقط بدأت المعركة الحقيقية ..

لقد استخدم الطيارون الألمان كل مهاراتهم ، وخبراتهم الحربية ، إلّا أنّ طائراتهم بدت لـ (نور) كسلاحف بطيئة ، وهو الذى اعتاد قيادة سيارته بسرعة خمسمائة كيلومتر فى الساعة ، فى القرن الحادى والعشرين ..



ولم تستغرق المعركة طويلًا .. ففى أقل من عشر دقائق ، كان (نور) قد أسقط المقاتلات العشر

ولم تستغرق المعركة طويلًا ..

ففى أقل من عشر دقائق ، كان (نور) قد أسقط المقاتلات العشر ..

وأبقى على (رالف) ..

أبقى عليه ؛ لأنه كان يحتاج إلى شاهد ..

شاهد يؤكِّد أن التفوُّق الألمانىّ قد تحوَّل إلى دُعَابةٍ تثير السخرية ، فى سماء (باريس) ..

* * *

كان من الواضح أن (أدولف هتلر) يتميَّز غضبًا ، حينما استقبل (خالد) فى مكتبه هذه المرَّة ، وهو يقول فى عصبية :

ـ من أين سرقت تلك التصميمات ، التى أعطيتنى إياها يا (فريدريش) ؟

اتسعت عينا (خالد) فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ سرقتها ؟! .. إنها تصميماتى أنا .

ضرب (هتلر) سطح مكتبه بقبضته ، وهو يصيح فى غضب :

ـ إذن فقد تسرَّب سرّ تصميماتك يا (فريدريش هولدشتاين) .. لقد سبقنا الأمريكيون أو البريطانيون ، فى صنع ذلك السلاح الضوئى .

هتف (خالد) فى ذهول :

ـ ماذا تقول يا سيِّدى (الفوهلر) ؟

ألقى إليه (هتلر) بثلاثة تقارير كبيرة ، وهو يهتف فى غضب :

ـ اقرأ هذا .

وحَدَجه بنظرة قاسية غاضبة ، وهو يقرأ التقارير فى لهفة ، حتى هتف :

ـ يا للشيطان !! .. لقد سبقنى ذلك الرائد .

سأله (هتلر) فى عصبية :

ـ أى رائد هذا يا (فريدريش) ؟.. هل هزمتك مخابرات الحلفاء هذه المرَّة ؟

عقد (خالد) حاجبيه ، وهو يقول محتدًّا :

ـ إننى أعرف مَنْ فعل هذا يا سيِّدى (الفوهلر) ، وأعرف كيف أُوقفه عند حَدِّه .

لوَّح (هتلر) بذراعه فى سخط ، وهو يقول :

ـ كيف ؟

اكتسب صوت (خالد) صلابة الفولاذ ، وقسوة الصُّلْب ، وهو يقول :

ـ سأسافر إلى (باريس) يا سيِّدى (الفوهلر).. الليلة.

* * *

٨ ـ فى مواجهة الشيطان ..

« لقد وصل (فريدريش) إلى (باريس) .. » .

نطق (آلان) هذه العبارة فى انفعال واضح ، وانتقل انفعاله إلى الجميع ، فتبادلوا نظرات حماسيَّة ، قبل أن يقول (نور) :

ـ الآن يمكننا أن نضرب ضربتنا .

غمغمت (سلوى) فى قلق :

ـ هل تظن أنه سينتظر هجومنا ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. لقد أكَّد لى (رمزى) أنه سيفعل ، وسيستعدّ لمواجهتنا بكل ما يمكنه من وسائل .

ثم التفت إلى (رمزى) يسأله :

ـ هل تظن أنه سيحمل قرص استدعاء فقَّاعة الزمن معه ؟

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ إنه لن يتخلَّى عنه أبدًا ، فهو بمثابة طَوْق النجاة الأخير له .

تنفس (نور) الصُّعَداء ، وهو يقول :

ـ عظيم .

سألته (برچيت) فى اهتمام :

ـ ما خطتك هذه المرَّة أيها الرائد ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـ إن (خالد) ، أو (فريدريش) ، يتوقَّع منَّا هجومًا تكنولوچيًا يا عزيزتى (برچيت) ، ولكننا سنفاجئه .

وتألَّقت عيناه ، وهو يردف فى هدوء .

ـ سنباغته بخطة تقليدية ، و ... ونقتنصه .

* * *

وقف (خالد) يتطلَّع من نافذة حجرته إلى (باريس) طويلًا ، قبل أن يقول فى صرامة ، دون أن يلتفت إلى ضابط (الجستابو) ، الذى يقف وسط الحجرة فى احترام :

ـ هل أصدرت أوامرك بشأن حماية مقرِّى هذا أيها الضابط ؟

أجابه ضابط (الجستابو) :

ـ نعم يا سيِّدى الجنرال .. لقد نفَّذت أوامرك حرفيًّا ، ووضعت الأجهزة التى سلمتنا إياها فى الأماكن المحدَّدة.

ثم تجاسر على أن يردف فى اهتمام :

ـ ما هذه الأجهزة العجيبة يا سيِّدى ؟

أجابه (خالد) فى بساطة :

ـ مستقطبات ليزرية أيها الضابط .. لا تحاول أن تفهم ، فهذا يفوق إدراكك ، ولكننى تعلَّمت هذه الخدعة من ذلك الرائد وفريقه .

هزَّ ضابط (الجستابو) رأسه ، وقد عجز عن الفهم ، وغمغم فى هدوء :

ـ ما دمت ترى ذلك ، فهو صحيح يا سيِّدى الجنرال .

ثم عاد يسأله فى اهتمام :

ـ كيف تتوقَّع الهجوم يا سيِّدى ؟

تنهَّد (خالد) ، وأجاب :

ـ سيهاجمون بآلات عجيبة ، تطلق أشعة ضوئية قاتلة أيها الضابط ، ولكنهم سيفاجئون بأن مستقطباتى الليزرية ستمتصَّها .. كل ما عليك أن تفعله فى هذه اللحظة ، هو أن تهاجم آلتهم بكل رجالك ، وكل قوتك ، وأحضر لى هؤلاء الأوغاد أحياء .

مرَّة أخرى عجز رجل (الجستابو) عن فهم هذه الألغاز ، فاكتفى بأن أومأ برأسه ، مغمغمًا :

ــ كما تأمر يا سيِّدى الجنرال .

وفجأة تألَّق بريق شرس فى عينى (خالد) ، وهو يحدِّق فى شىء ما عبر الطريق ، وقال فى انفعال :

ــ هيَّا أيها الضابط لقد بدأ الهجوم .

كانت هناك سيَّارة عجيبة الشكل ، بالنسبة لهذا العصر ، تتجه نحو الفندق فى سرعة ، ولم يكد (خالد) ينطق بعبارته ، حتى اندفع من مقدِّمتها شعاع ضوئى ، وصرخ هو فى مزيد من الانفعال :

ــ هيَّا أيها الضابط .. إنها المعركة .

* * *

وقف (خالد) يتابع المعركة فى شغف وتوتُّر فائقين ، ورأى أشعة الليزر تنحرف نحو مستقطباته الليزريَّة ، فاختلج قلبه فى ظفر ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة شرسة شامتة ، حينما رأى كل حرَّاسه ينقضُّون على السيَّارة العجيبة ، ويمطرونها برصاصاتهم ، وغمغم ساخرًا :

ــ يبدو أنكم ستذوقون الهزيمة هذه المرَّة ، يا رجال القرن الحادى والعشرين .

فاجأه صوت أكثر سخرية ، يقول :

ــ لست أظن ذلك يا وغد القرن الخامس والثلاثين .

تجمَّدت الدماء فى عروق (خالد) ، واستدار إلى مصدر الصوت فى حركة حادَّة ، واتسعت عيناه فى ذُهول ، وتراجع فى ذُعْر ، وهو يهتف :

ــ أنتم ؟!

كان أمامه (نور) وفريقه كله ، يصوِّبون إليه أسلحتهم ، فاستطرد فى مزيج من الدهشة والحَنَق :

ــ كيف وصلتم إلى هنا ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ــ من أعلى أيها الوغد .. لقد خدعناك ، وخدعنا رجالك بسيارة هيكلية ، يتم تحريكها بالتحكُّم الآلىّ عن بُعْد ، وهبطنا نحن من سقف المبنى المجاور ، إلى سقف هذا المبنى ، وقام أصدقاؤنا من رجال المقاومة الفرنسيَّة باحتلال السقف ، والسيطرة على حرَّاسه ، وهبطنا نحن لنحظى بك .

ظلّ (خالد) يحدِّق فى وجوههم طويلًا فى ذُهول ، ثم ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتيه ، وهو يقول :

ــ إذن فقد ربحتم هذه الجَوْلَة أيضًا أيُّها السَّادة .

أجابه (نور) :

ــ بل المعركة كلها هذه المرّة يا شيطان الأجيال .

أطلق (خالد) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

ــ يَالَكَ مِنْ مَغْرور !!

ثم ضغط قرص استدعاء فقّاعة الزمن فى غضب وحزم ..

* * *



٩ ــ تذكرة إلى الفشل ..

كان الذهول من نصيب (خالد) هذه المرّة ، عندما لم يستجب له القرص ..

لقد كان يتوقَّع أن تحيط به فقّاعة الزمن ، ذات الجدران المضادَّة لكل أنواع الأسلحة ، فور ضغطه على القرص ..

إلا أن هذا لم يحدث ..

واتسعت عيناه فى جزع وذهول ، وهو يكرِّر ضغطه على القرص عشرات المرّات ، حتى قالت (سلوى) فى سخرية :

ــ لا تحاول يا شيطان الأجيال .. نحن أيضًا نستفيد من الأخطاء السابقة .

أكمل (محمود) عبارتها قائلًا :

ــ لقد أدركنا أن ذلك القرص يرسل نوعًا من الإشارات فوق الصوتية ، التى تأتى بفقّاعة الزمن ؛ لذا فقد حرصنا على أن نثبّت فى جدار حجرتك ، منذ لحظات ، جهازًا خاصًا ، من اختراع عزيزتنا (سلوى) ، تنحصر مهمته فى تشتيت موجة الاستدعاء ، وتحويرها ، فلا تأتى الفقّاعة أبدًا .

اتسعت عينا (خالد) فى ذُعر وذُهول ، وهو يغمغم :

ـ مستحيل !.. مستحيل !

اقترب منه (نور) ، وهو يقول فى سخرية :

ـ لقد خسرت المعركة هذه المرَّة أيها الشيطان .

صاح (خالد) فى غضب :

ـ ولن تربحوها يا رائد القرن الحادى والعشرين ، سنبقى جميعًا فى هذا الزمن .

وفى غضب وثورة ، ألقى القرص أرضًا ، واندفعت قدمه لتحطمه تحطيمًا ..

* * *

كان المستحيل أن يفقد (نور) الوسيلة الوحيدة ، لعودتهم إلى زمنهم ، هذه المرَّة ..

إنه لم يكد يلمح (خالد) ، وهو يلقى القرص أرضًا ، حتى اندفع نحوه بكل إصراره ورغبته فى الخروج من الضياع ..

وقبل أن تمس قدم (خالد) القرص بجزء من الثانية ، هوت لكمة (نور) على فكه ، فألقته أرضًا ، واتسعت عيناه فى ذعر ، حينما رأى (نور) يلتقط القرص فى سرعة ، فصاح فى مرارة :



واتسعت عيناه فى ذعر ، حينما رأى (نور) يلتقط القرص فى سرعة ، فصاح فى مرارة : ـ مستحيل !.. مستحيل !

ـــ مستحيل !. مستحيل !
وزاغت عيناه فى محجريْهما ، حينما قال (نور) فى صرامة :
ـــ والآن ماذا نفعل بك ؟
لوَّح الشيطان بذراعه فى رُعب ، وهو يهتف :
ـــ لا تقتلنى .. لا تقتلنى .
جلس (نور) فى هدوء على المقعد المقابل له ، ومطّ شفتيه ، وهو يقول :
ـــ ولكنك تعلم مثلى أن فُقَّاعة الزمن لا تتسع لأكثر من أربعة أشخاص ، ونحن أربعة ، أنا وفريقى ، ثم إننا لا نستطيع تركك هنا ، وإلَّا كان هذا يعنى فشل المهمة ، التى جئنا من أجلها ، وجُبْنا العصورَ سعْيًا وراء نجاحها .
اتَّسعت عينا (خالد) فى رُعب ، وهو يقول :
ـــ ولكنك تكره القتل والدَّمار أيُّها الرائد .. أليس كذلك ؟
هزَّ (نور) كتفيه ، وهو يقول :
ـــ لا يوجد حلٌ بديل .
وصمت لحظة ، تأمَّل خلالها آيات الرُّعب ، المُرْتسِمَة على وجه (خالد) ، قبل أن يقول فى خُبْث :

ـــ إلَّا إذا ..
تعلَّق (خالد) بهذه الكلمة ، كما يتعلَّق غريق يائس بآخر أمل للنجاة ، وهَتَف :
ـــ إلَّا إذا ماذا ؟
ارتسمت ابتسامة ظافرة على شفتىْ (نور) ، وهو يقول :
ـــ سأخبرك يا وغد القرن الخامس والثلاثين .. سأخبرك إلَّا إذا ماذا ......

* * *

شعر ضابط (الجستابو) بالدهشة والحَيْرة ، حينما وجد السيَّارة العجيبة بلا قائد ، وغمغم فى توتُّر :
ـــ كيف كانت تسير إذن ؟
وعقد حاجبيه ، محاولًا فهم ما يحدث فى تلك الليلة العجيبة ، ثم لم يلبث أن هزَّ كتفيه فى يأس ، وقال فى سخط :
ـــ لا ريب أن الجنرال (فريدريش) يعلم .
وأسرع الخطا عائدًا إلى حجرة (خالد) ، ولم يكد يلجها ، ويرى أفراد الفريق ، الذين يجلسون إلى جواره ، حتى انتزع مسدَّسه ، وتراجع هاتفًا فى جَزَع :
ـــ سيِّدى الجنرال ؟!

كان (حالد) يبدو شاردًا ، وهو يرفع كفَّه قائلًا :

ـــ لا عليك أيها الضابط .. إنهم أصدقاء .

تردَّد ضابط (الجستابو) لحظات ، فأردف (خالد) فى شرود :

ـــ إنهم من رجال مخابراتنا هنا .

كانت الإجابة تكفى لبث الارتياح فى نفس ضابط (الجستابو) ، فأعاد مسدَّسه إلى جرابه ، وهو يقول :

ـــ هناك شيء عجيب يحدث هنا يا سيِّدى الجنرال .

أجابه (خالد) :

ـــ أعلم ذلك أيها الضابط .. لقد انتهى كل شيء .. لقد كانت تجربة لفاعلية وسائل الأمن .. مُرْ رجالك بتحطيم تلك السيَّارة ، ونسف بقاياها ، مع الأجهزة التى زرعتها فى أنحاء المبنى .

رفع ضابط (الجستابو) حاجبيه فى دهشة ، ثم أجاب فى استسلام :

ـــ كما تأمر يا سيِّدى الجنرال .

نهض (خالد) فى هدوء ، وقال لـ (نور) ورفاقه فى شرود :

ـــ وداعًا أيها الأصدقاء .. سيرافقكم الضابط إلى الخارج .

تبادل (نور) نظرة ارتياح مع (رمزى) ، ثم أجاب فى هدوء :

ـــ وداعًا يا جنرال (فريدريش) .. وداعًا إلى الأبد ..

واطمأن قلبه إلى أن (خالد رضوان) قد حصل على تذكرته إلى المحطة النهائية ..

تذكرة إلى الفشل ..

* * *



١٠ ـ العودة إلى المستقبل ..

تهلَّلت أسارير (برچيت) ، وهى تهتف فى سعادة :

ـ إذن فقد نجحت مهمتكم .. عاد التاريخ يسير فى مجراه الطبيعىّ .

أجابها (نور) فى ارتياح :

ـ نعم يا عزيزتى (برچيت) .. لقد انتهى كل شىء على ما يرام .

سأله (آلان) فى حَيْرة :

ـ ولكن كيف فعلتم ذلك ؟

أشار (نور) إلى (رمزى) ، وهو يقول فى اعتزاز :

ـ هو سيخبرك ، فهو البطل هذه المرَّة .

ابتسم (رمزى) فى فخر ، وهو يقول :

ـ لقد استخدمت معه التنويم المغناطيسىّ يا عزيزى (آلان) .. لقد كان خائفًا ، مهزومًا حتى أنه كان يرغب فى الوقوع تحت تأثيره ، ما دام هذا هو البديل الوحيد لقتله .. وبعد أن سيطرت على عقله ، جعلته ينسى من هو ، ومن أين جاء . جعلته ينسلخ عن القرن الخامس والثلاثين ، الذى أتى

منه ، ويحيا بكيانه وذاكرته فى ذلك العصر ، الذى سيبقى فيه إلى الأبد .

غمغم (آلان) فى حَيْرة :

ـ لست أفهم شيئًا .

ابتسم (رمزى) ، وهو يقول :

ـ باختصار يا صديقى ، لقد انتهى (خالد رضوان) إلى الأبد ، ولم يعد هناك سوى (فريدريش هولدشتاين) فقط .

هتف (آلان) فى سخط :

ـ وهل تعدّ ذلك نصرًا ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ إننى أكره سفك الدماء يا (آلان) .

مطّ (آلان) شفتيه ، وهو يغمغم :

ـ إننا فى حرب .

تجاهل (نور) عبارته ، والتفت إلى (برچيت) ، قائلًا :

ـ بقيت نقطة أخيرة يا (برچيت) .. إن معرفتكم بما حدث تخلّ بتطوُّر الأحداث الطبيعىّ فى التاريخ ؛ لذا فلا ينبغى أن يذكر أحدكم ما حدث أبدًا .

أجابته (برچيت) فى إخلاص :

ـ إننا ندرك ذلك ، ولقد حطّمنا كل الأسلحة الحديثة ، التى صنعتموها هنا .

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ هذا لا يكفى يا عزيزتى .

سألته فى حَيْرَة :

ـ ماذا تريد إذن ؟

تطلّع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول :

ـ سيمحو (رمزى) كل ما حدث من ذاكرتكم .. هذا حَتْمِىٌّ .

تردّدت طويلًا ، وحاولت أن تعترض ، إلّا أنها غمغمت فى استسلام :

ـ فليكن ، ما دام هذا حتميًّا .

ثم أسرعت تستدرك :

ـ ولكنَّ هناك نُقطتين ، أحب أن استوضحهما أوَّلًا .

سألها (نور) فى هدوء :

ـ ما هما ؟

سألته فى لهفة :

ـ كيف سيمكنكم العودة إلى المستقبل ، ما دمتم تجهلون أسلوب قيادة فقّاعة الزمن ؟

أجابها فى هدوء :

ـ سنعكس البرنامج ، فنعود بنا الفقّاعة إلى العصر ، الذى انطلقت منه ..

سألته فى اهتمام :

ـ وماذا عن أسلحة المستقبل ، التى أعطى (فريدريش) تصميماتها إلى (هتلر) ؟

أجابها (نور) :

ـ هو نفسه سيفسد التَّصْمِيمَات دون أن يدرى ، لقد أمره (رمزى) بإدخال تعديلات تفسدها ، بحيث يعجز الرايخ الثالث عن صنعها ، حتى تنتهى الحرب .

تنهَّدت فى ارتياح ، وقالت :

ـ الآن يمكنكم أن تمحوا كل شىء من ذاكرتنا ، ما دامت الحرب ستنتهى بالنصر ، وبالحرية لمعشوقتنا (باريس) .

* * *

كان لقاء حارًّا فى مكتب القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، فى القرن الخامس والثلاثين ..

لقد استقبل (نور) وفريقه فى حرارة بالغة ، واستمع إلى

قصتهم فى ارتياح ، ثم لوَّح بكفه ، قائلًا فى لهجة تحمل كل الاعتذار .

— يؤسفنى أننا اضطررنا لإخفاء أمر السفر عبر الزمن عنكم أيها السَّادة ، فهكذا تقتضى القوانين ، فلو أن أهل العصور الماضية قد أدركوا تلك الحقيقة العلمية العجيبة ، ما اطمأنّ أىٌّ منهم إلى يومه ومستقبله .

سألته (سلوى) :

— هل كنت واثقًا من نجاحنا ، على الرغم من أنك لم تخبرنا بذلك ؟

ابتسم القائد الأعلى ، وقال :

— عودتكم وحدها تؤكِّد نجاحكم يا سيِّدتى ، فلو نجح هذا الشيطان فى مهمَّته ، لانقلب التاريخ كله رأسًا على عقب ، وما كنا نحن هنا .

قال (نور) فى هدوء :

— ومن قال إن التاريخ لم يتغيَّر ؟

رفع القائد الأعلى حاجبيه ، قائلًا :

— كل شىء يؤكِّد ذلك يا (نور) .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— هل لديك إذن كتب تتحدَّث عن محاكمات (نورمبرج)(*) ؟

ابتسم القائد الأعلى ، وهو يقول :

— بالطبع .. إننا نحترم الكتب والثقافة كثيرًا فى هذا العصر ، على الرغم من انتشار كل وسائل الترفيه المتطوِّرة للغاية .

ثم ضغط بضعة أزرار على مكتبه ، فتحرَّك جزء منه ، كاشفًا فجوة صغيرة ، برز منها كتاب أنيق ، تناوله القائد الأعلى فى رشاقة ، فى حين غمغمت (سلوى) :

— إننى لم أتوقَّع أبدًا أن أجد كتبًا فى هذا القرن .

مطَّ القائد الأعلى شفتيه ، مغمغمًا :

— متعة القراءة لا تزول أبدًا ، مهما بلغت الحضارة يا سيِّدتى .. إنها على العكس .. تتضاعف .

وناول الكتاب إلى (نور) ، مستطردًا :

(*) نورمبرج : مدينة شمال (باڤاريا) ، على نهر (بجنيز) فى (ألمانيا) ، أقيمت بها محاكمة دولية لمجرمى الحرب العالمية الثانية ، بعد انتصار الحلفاء ، وأُدين فيها معظم جنرالات (هتلر) ، ممن بقوا على قيد الحياة بعد الهزيمة .

— ها هو ذا .. ماذا تتوقَّع أن تجد فيه ؟

قلَّب (نور) صفحات الكتاب فى هدوء ، حتى توقَّف عند نقطة ما ، وأشار إليها ، قائلًا :

— هذا .

اتسعت عينا الجميع فى دهشة ، وهتف القائد الأعلى فى ذهول :

— مستحيل !! لقد قرأت هذا الكتاب أكثر من عشر مرَّات ، ولم تكن هذه الصورة هنا أبدًا .

استرخى (نور) فى مقعده ، وابتسم ، وهو يقول :

— ألمْ أقل لك يا سيِّدى ؟.. لقد تغيَّر التاريخ .

وعاد الجميع يحدِّقون فى تلك الصورة ، التى تحمل وجه (خالد رضوان) ، وتحتها كلمات تقول :

— الجنرال (فريدريش هولدشتاين) .. حُوكم كمجرم حرب ، وأُدِينَ ، وتم تنفيذ الحكم بإعدامه عام ألف وتسعمائة وستة وأربعين .

هتفت (سلوى) :

— يا إلهى !! لقد نال ما يستحقُّه .

أومأ (نور) برأسه ، وهو يقول :

— لقد أحدث التغيُّر الذى كان ينشده فى التاريخ يا (سلوى) ، وأضاف صورته إلى كتبه .

تنهَّد (رمزى) ، وهو يغمغم :

— يالها من نهاية !!

ران على الجميع صمت طويل ، قبل أن يقول (نور) :

— أعتقد أنه قد آن الأوان لنعود إلى زمننا أيها القائد .

هتفت (سلوى) :

— نعم .. لا ريب أنَّ (نشوى) ابنتنا تفتقدنا كثيرًا ..

مطَّ القائد الأعلى شفتيه ، مغمغمًا :

— لست أظن ذلك .

سألته فى دهشة :

— كيف ؟!.. لقد قضينا هنا ما يقرب من شهر كامل و..

قاطعها القائد الأعلى لمخابرات المستقبل ، وهو يقول فى هدوء :

— وما قيمة الزمن يا سيِّدتى ؟

أدركت ما يرمى إليه ، فغمغمت فى شرود :

— نعم .. ما قيمة الزمن ؟

كانوا يتناولون مشروبًا لذيذ الطعم ، حينما سألهم القائد الأعلى :

ــ ما رأيكم فى الإقامة هنا فى عصرنا ؟

تبادلوا النظرات ، ثم قال (نور) :

ــ أعتقد أننا نفضل العودة إلى زمننا يا سيّدى و .....

شعر فجأة بدوار يكتنفه ، فحدق فى أكواب المشروب ، وهو يغمغم :

ــ ماذا وضعتم فى مشروبنا ؟

عقد القائد الأعلى حاجبيه ، وهو يقول :

ــ لا شىء أيها الرائد .. لا شىء .

هتف (نور) :

ــ بل لقد وضعتم مخدّرًا .. لقد ..

تلاشى كل شىء أمامه فجأة ، وغاب مع رفاقه فى غيبوبة عميقة ، فى نفس اللحظة التى دلف فيها (طاهر) و (سليمان) إلى حجرة القائد الأعلى ، الذى قال فى حزن :

ــ كم يؤسفنى أن أفعل هذا بكم يا أبطال القرن الحادى والعشرين ، ولكنه القانون ..

سأله (طاهر) فى هدوء :

ــ هل نعيدهم إلى عصرهم يا سيّدى ؟

تنهّد قبل أن يقول :

ــ ليس بعد .. اعملوا أوّلًا على علاج كل جروحهم بالأشعة الأوتوسيلية .. لا أريد أن نترك أىّ أثر خلفنا .

غمغم (سليمان) :

ــ سنمحو من أذهانهم كل ما حدث بالطبع .

أومأ القائد الأعلى برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ بلا شك .

وتطلّع إلى أفراد الفريق فى أسف ، وهو يقول :

ــ وداعًا يا أبطال مصر .. وداعًا يا عمالقة القرن الحادى والعشرين .

* * *



١١ ـ الختـــام ..

استيقظت (سلوى) من نومها فجأة ، على صوت بكاء ابنتها (نشوى) ، فأسرعت إلى حجرتها تطمئنها ، وقضت عندها بعض الوقت ، حتى عادت الصغيرة إلى النوم ، فتسلَّلت (سلوى) على أطراف أصابعها ، وعادت إلى حجرتها ، فوجدت (نور) مستيقظًا ، يسألها فى تكاسل :

ــ ماذا هناك ؟

ابتسمت وهى تقول :

ــ مجرَّد حلم .. لقد عادت إلى النوم على الفور .

تنهَّد وهو يقول :

ــ بمناسبة الحلم .. لقد حلمت أننا قد ذهبنا إلى الماضى والمستقبل و ..

قاطعته فى دهشة :

ــ يا إلٰهى !!.. لقد انتابنى الحلم ذاته .

اتَّسعت عيناه ، وهو يهتف :

ــ يا إلٰهى !!.. هل يحتمل أن ....؟

قفز من الفراش ، وتطلَّع إلى النتيجة الضوئية على الحائط ، ثم عقد حاجبيه ، مغمغمًا :

ــ النتيجة تؤكِّد أننا لم نغادر المنزل أبدًا .

عاد إلى فراشه فى حَيْرة ، ولبث صامتا بعض الوقت ، ثم سألها فجأة :

ــ متى أوينا إلى فراشنا يا (سلوى) ؟

عقدت حاجبيها فى محاولة يائسة للتذكر ، ثم غمغمت فى حَيْرَة :

ــ عجبًا !!.. لست أذكر ذلك .

أجابها فى اهتمام :

ــ ولا أنا .. آخر ما أذكره هو أننا كنا نشاهد الهولوڤيزيون فى حجرة المعيشة .

هتفت فى دهشة :

ــ وأنا أيضًا .

ثم أردفت فى حَيْرَة :

ــ عجبًا !!.. متى أوينا إلى فراشنا إذن ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وتطلَّع فى شرود إلى سقف الحجرة ، وطال صمته ، قبل أن يسألها فى هدوء :

ــ ماذا تذكرين من ذلك الحلم يا (سلوى) ؟

هزَّت رأسها ، وهى تقول :



عقد (نور) حاجبيه ، وتطلَّع فى شرود إلى سقف الحجـرة ، وطـال صمته ، قبل أن يسألها فى هدوء :

ـــ ماذا تذكرين من ذلك الحلم يا (سلوى) ؟

ـــ أشياء عجيبة متفرِّقة .. بلاط فرعونى ، وقلعة قديمة ..

أكمل فى هدوء :

ـــ ومدينة أمريكية من القرن التاسع عشر ، و (باريس) فى الحرب العالمية الثانية .

هتفت فى دهشة :

ـــ هذا صحيح .. كيف عرفت ؟

أومأ برأسه ، وهو يقول :

ـــ ربَّما كان نوعًا من توارد الخواطر يا عزيزتى .

هتفت فى رِيبَة :

ـــ (نور) .. هل تظن أنَّ ..؟

قاطعها فى هدوء :

ـــ لست أظن شيئًا يا عزيزتى .. عودى إلى النوم .. إنه يداعب جفونى فى إصرار .

ثم ابتسم مستطردًا :

ـــ ومهما كان الأمر ، فنحن فى عصرنا ، ووطننا ، وهذا يكفى .

وحينما استغرق فى النوم ، كانت تعلو شفتيه ابتسامة .. ابتسامة ظفر ..

[تمت بحمد الله]